الجـــمـهـوريـة الجـــزائـريـة الديمـــقـراطيـة الـشـعـبـيـة

The People's Democratic Republic of Algeria

وزارة التـــــعـليـــم العـــالي والبـــحث العـــلـمـــي

Ministry of Higher Education and Scientific Research

المركز الجامعي صالحي أحمد النعامة - NAAMA University Center SALHI AHMED

معهد الآداب واللغات — قسم اللغة والأدب

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

صِرَاعُ اَلْهُوِيَّةِ وَالْعَوْدَةِ إِلَى اَلْجُذُورِ فِي رِوَايَةِ

" مَرْيَمْ بَيْنَ اَلنَّخِيلِ "

لِلْكَاتِبِ مُحَمَّدْ وَلدَّالِشِيخْ أَغَا

ميدان: اللغة والأدب العربي — شعبة: الدراسات الأدبية — تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

لجنة المناقشة

د. أمينة بلهاشمي	أستاذة محاضرة ـ أ ـ	رئيساً
د. بغداد أحمد بلية	أستاذ محاضر ـ أ ـ	مشرفاً ومقرراً
أ.د. أحمد قيطون	أستاذ التعليم العالي	مناقشاً

إشراف الدكتور: بغداد أحمد بلية

من إعداد الطالب : سليمان أغـــا

الموسم الجامعي 1446/1445هـ

الموافق ل: 2025/2024م

C.U.N
المركز الجامعي بالنعامة
CENTRE UNIVERSITAIRE DE NAAMA

C.U.N
المركز الجامعي بالنعامة
CENTRE UNIVERSITAIRE DE NAAMA

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

المركز الجامعي صالحي أحمد – النعامة –

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

أنا الممضي أسفله :

السيد (ة) : سليمان آغا

الصفة (طالب – أستاذ – باحث) طالب

الحامل (ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم : 203263392

الصادرة بتاريخ : 2018.08.08

المسجل (ة) بكلية / معهد : الآداب واللغات

قسم : اللغة والأدب العربي

والمكلف (ة) بانجاز أعمال بحث (مذكرة التخرج – مذكرة ماستر – مذكرة ماجيستير – أطروحة دكتوراه) عنوانها : صراع الهوية والعودة إلى الجذور في رواية "حريم بين الذئاب" للكاتب : محمد ولد الشيخ آغا

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية في إنجاز البحث المذكور أعلاه .

التاريخ : 06.05.2025 الموافق لـ 07 ذو القعدة 1446

توقيع المعني

آغا سليمان
AGHA Slimane

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد الله رب العالمين، حمدا طيبا مباركا فيه ملء السماوات والأرض وملء ما بينهما وملء ما شاء من شيء بعد الصلاة والسلام على خير المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الشكر أولا وأخيرا لله سبحانه الذي أعانني على إكمال هذه الجهد ومصداقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من لم يشكر الناس، لم يشكر الله"

يطيب لي أن أتوجه بخاص شكري وعظيم امتناني لأستاذي الفاضل: الأستاذ الدكتور "بغداد أحمد بلية "الذي شّرفني بقبول الإشراف على مذّكرتي وعلى ما قدمه لي من دعم في إنجاز بحثي، بتوجيهاته ونصائحه القيمة، وبإفادته لي بالمعرفة وبطرق البحث

كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير والعرفان إلى أعضاء اللجنة المناقشة وكل أساتذتي الكرام في قسم اللغة العربية وآدابها بالمركز الجامعي صالحي أحمد النعامة، الذين أسهموا في تكويني وتوجيهي طوال هذه المرحلة الجامعية، الذين أعتبرهم بمثابة المنهل الأساسي كنت ولا زلت أنهل منهم كل ما أحتاج.

وأسأل الله أن يجزي الجميع خير الجزاء.

سليمان أغـــا

إهداء

إلى تلك القلوب التي كانت بقربنا يومًا ما...

ها هنا حنينٌ يلفّ أفئدتنا شوقًا إليهم،

وكلمات نبعثها من أعماق قلوبنا، علّها تصل إلى من نفتقدهم بيننا.

إلى من تركوا في أرواحنا أثرًا لا يُمحى،

إلى أبي، وأخي عبد القادر، وأختي أمال...

رحمكم الله وأسكنكم فسيح جناته.

.ستظلون حاضرِين في ذاكرتي، نبضًا لا ينطفئ

إلى عائلتي الكريمة، سندي وملاذي في درب الحياة،

إلى أساتذتي الكرام، منارة العلم ونبراس الفكر،

إلى زملائي الأعزاء، رفقاء الدرب والمسيرة،

إلى كل من له فضل عليّ، وكل من احترم الكلمة والعلم...

سليمان أغـــا

مقدمـــــــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

لا غرو أن الفترة التي استدمرت فيها فرنسا الجزائر المحروسة لأكثر من قرن وربع، قد خلف أثرا عميقا على مختلف نواحي الحياة في المجتمع الجزائري. فلم تقتصر على الاحتلال العسكري، استهدفت الهوية الوطنية بطمس أبعادها المختلفة، من لغة ودين وعادات وتقاليد، عبر سياسة ثقافية ممنهجة تهدف إلى فرض الهيمنة الفرنسية وقطع الجزائريين عن جذورهم. وقد انعكست هذه السياسة على الاتجاهات الأدبية، حيث شكّلت قضية الهوية والانتماء محورًا أساسيًا في الكتابات الجزائرية الفرنكوفونية، خاصة خلال فترة ما بين الحربين [1919-1939]. فقد جسّد الأدباء في أعمالهم الهوة الشاسعة بين الثقافة الاستعمارية والهوية المحلية، مسلطين الضوء على القيم المتضاربة بين المستعمِر والمستعمَر، متخذين العودة إلى الجذور وسيلة لمقاومة الطمس الاستعماري وإعادة تشكيل الهوية الجزائرية وتثبيت ركائزها. إذ لم تكن الرواية الجزائرية الفرنكوفونية مجرد سرد لأحداث درامية، بل أصبحت منبرًا فكريًا وأيديولوجيًا يعكس الصراعات الفكرية التي رافقت الحقبة الاستدمارية. كما يوضح **خضر محجز**: في قوله «**الرواية ليست مجرد أبطال يتصارعون، وأحداث تُروى وسرد يُقرأ لإزجاء وقت الفراغ، بل إن وراءها قيماً و أفكارًا محددة يراد لها الذيوع والانتشار، وكل التقنيات المستخدمة فيها ما هي إلا أدوات لبثّ هذه الأفكار.**»

وفي هذا السياق، يُعدّ محمد ولد الشيخ أغا من أوائل الكتّاب الذين تناولوا هذه الإشكالية في روايته مريم بين النخيل، حيث وظّف السرد المضمر لتسليط الضوء على جدلية الهوية والعودة إلى الجذور، من خلال شخصيات تتأرجح بين تأثيرات الاستعمار والحداثة من جهة، والرغبة في الحفاظ على الموروث الثقافي والاجتماعي من جهة أخرى. حيث عكست هذه الثنائية التوتر الهوياتي في الجزائر الاستعمارية، أين أصبحت الهوية ساحة للصراع بين موروث ثقافي متجذر ومحاولات لتزيفه وإعادة تشكيله من قبل قوى خارجية. وبهذا، تجاوزت الرواية الطابع السردي التقليدي لتصبح شهادة أدبية تجسد تجاذبات الهوية الجزائرية، ما يستدعي تحليلها من منظور الصراع السردي بين القيم الثقافية المتباينة تحت ظل هيمنة المستدمر ومحاولات التمسك بالجذور.

يعود اختيارنا لهذا الموضوع إلى جملة من الأسباب والدوافع، تتراوح بين ما هو ذاتي وما هو موضوعي. أما الذاتي، فجاء اقتراح الموضوع بناءً على توجيه أستاذي المشرف بعد أن طلبتُ منه مساعدتي في تحديد إشكالية بحثية متميزة. ويُضاف إلى ذلك أن الكاتب محمد ولد الشيخ آغا، يُعد من أفراد العائلة، إذ هو عمّ والدي، الأمر الذي زاد من رغبتي في تسليط الضوء على تجربته الأدبية وإبراز إسهاماته. فرغم كونه من الرواد الخمسة الأوائل الذين أسهموا في تأسيس الرواية الجزائرية المكتوبة باللسان الفرنسي، إلا أنه لم يحظ بعد بالاهتمام الأكاديمي الذي يستحقه. من هذا المنطلق، كان شغفنا بدراسة المواضيع النادرة في الساحة الأدبية،

مقارنةً بنظيرتها المكتوبة بالعربية، دافعًا أساسيًا لاختيار هذا البحث. وأما الموضوعي، فتجلى في إعادة قراءة الرواية الجزائرية الفرنكوفونية، خاصة في فترة ما بين الحربين [1919-1939]، من منظور الهوية الجزائرية، وتحليل مدى نجاح الكتّاب الجزائريين في التعبير عن انتمائهم رغم استخدامهم لغة المستدمر. بعيدًا عن التصنيفات الصارمة والقوالب التفسيرية الجامدة، مع تجنب الطروحات التقليدية التي حصرت هذا الأدب في ثنائية الولاء والتبجيل، دون إعادة اجترار مسألة انتمائه أو هويته، بحيث نالت هذه الإشكالية ما يكفي من التحليل والدراسة. ويبدو أن الوقت قد حان لتجاوزها نحو رؤى أكثر انفتاحًا وتحررًا من الأحكام المسبقة.

انطلاقًا من ذلك، نسعى إلى مناقشة إشكالية صراع الهوية والعودة إلى الجذور كما تجلّت في الرواية، وهي ما شكّل محور اهتمامنا وأساس اختيارنا لعنوان المذكرة" :*صراع الهوية والعودة إلى الجذور في رواية مريم بين النخيل للكاتب محمد ولد الشيخ أغا* ." وقد أثارت هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات التي أسهمت في تفكيك الموضوع وتعميق فهمه، ومن أبرزها: **كيف تجلت أبعاد الهوية في الرواية؟ ما العوامل التي عمّقت صراع الهوية لدى الشخصيات؟ كيف طرحت فكرة العودة إلى الجذوركحل لهذا الصراع؟ وما الرموزوالدلالات التي استخدمها الكاتب لتجسيد هذا الصراع؟** هذه هي أهم التساؤلات التي سنحاول الإجابة عنها وإضاءة وكشف اللبس عنها، ولذلك تم اعتماد مناهج متعددة، حيث استُخدم المنهج التحليلي-الوصفي لدراسة البنية السردية وتحليل الشخصيات، والمنهج السيميائي لاستكشاف الرموز والدلالات التي وظّفها الكاتب، إلى جانب المنهج التاريخي لتوضيح أثر السياقات الزمنية والاجتماعية في تشكيل الصراع الهوياتي داخل الرواية. إذ مكّنت هذه المناهج مجتمعة من تقديم قراءة شاملة ومتعمقة للموضوع، رابطة بين البعد الأدبي والسياق الثقافي والتاريخي للنص.

جاء هذا البحث وفق خطة منهجية متكاملة، استُهلّت بمقدمة تحدد الإطار العام للموضوع، متناولةً دوافع اختيارنا، وأهميته، وأهدافه. أما الفصل التمهيدي، فقد خُصِّص لتقديم السيرة الذاتية للكاتب محمد ولد الشيخ أغا والتعريف برواية مريم بين النخيل. كما تضمّن الفصل ملخصًا لمحتوى الرواية وتوضيحًا لأسباب اختياره كنموذج لدراسة إشكاليته. أما الفصل الأول (الإطار النظري والمفاهيمي)، فقد تناول المفاهيم والأسس النظرية المرتبطة بالهوية والصراع الهويات، وذلك من خلال استعراض مفهوم الهوية وأبعادها وتجلياتها في الأدب، مع التركيز على الصراع الهويات في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية خلال الحقبة الاستدمارية، لا سيما في الفترة الممتدة بين الحربين العالميتين. كما نوقش مفهوم العودة إلى الجذور باعتبارها آلية مقاومة ثقافية تهدف إلى استعادة الهوية الجزائرية في مواجهة الاستلاب الاستعماري، وتناول الفصل أيضًا الخلفية التاريخية لتطور مفهومي الهوية والعودة إلى الجذور في الرواية الجزائرية الفرنكوفونية بين سنتي 1919 و1939". في حين خُصص الفصل الثاني (التطبيقي)، الموسوم

بـ"دراسة وتحليل صراع الهوية والعودة إلى الجذور في رواية مريم بين النخيل محمد ولد الشيخ أغا"، لتحليل البنية السردية للرواية، مع إبراز صراع الهوية في رواية مريم بين النخيل. كما تتبّع البحث أثر العودة إلى الجذور كوسيلة لمواجهة التغريب وإعادة بناء الهوية الجزائرية في ظل الظروف التاريخية التي عايشها أبطال الرواية. إضافة إلى ذلك، تناول الفصل كيفية مساهمة هذه العودة في تجاوز أزمة الهوية، سواء من خلال تطور الشخصيات أو من خلال تمثلات هذا الحل في السرد الروائي، مع تحليل الأبعاد الدلالية والتأويلية للصراع عبر رمزية الشخصيات والأسماء، ودلالات المكان والبيئة الصحراوية في تعزيز ثيمة الهوية والانتماء. وفي الختام، تضمنت الدراسة أهم النتائج التي توصلنا إليها، بالإضافة إلى التوصيات التي قد تفتح آفاقًا جديدة للبحث في هذا المجال، مع ملخص لأبرز محاور البحث واستنتاجاته.

وفي سبيل إنجاز هذا البحث، تم الاعتماد على مجموعة من المصادر والمراجع التي ساهمت في إثراء الإطارين النظري والتطبيقي. فمن الناحية النظرية، استندنا إلى مجموعة من الكتب المرجعية التي تناولت موضوع الدراسة من زوايا مختلفة، من أبرزها: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي: نشأته وتطوره وقضاياه **لأحمد منور** (2007)، والرواية والمجتمع الكولونيالي في الجزائر ما بين الحربين **لفضيلة يحياوي** (2007)، وسؤال الهوية في شمال إفريقيا، **لمحمد الكوخي** (2014). أما على المستوى التطبيقي، فقد اعتمدنا على رواية مريم بين النخيل بترجمة **معراج أغا** (2020)، بالإضافة إلى المراجع الفرنسية التي تتناول أعمال **أحمد لنصاري والحاج دحمان**، والتي تسلط الضوء على حياة وروايات محمد ولد الشيخ أغا. وقد مكّنتنا هذه المصادر من بناء أرضية معرفية متينة لفهم أبعاد الموضوع وتحليل إشكالياته بعمق.

وككل دراسة بحثية، واجهتنا مجموعة من الصعوبات التي غالبًا ما تعترض الباحث أثناء عمله، وعلى رأسها قلة المادة العلمية وصعوبة جمعها، خصوصًا فيما يتعلق بهذا الموضوع، بالإضافة إلى ندرة الدراسات السابقة حوله. ومع ذلك، وبفضل الله عز وجل، ثم بفضل التوجيهات السديدة للأستاذ المشرف بغداد أحمد بلية، الذي أتقدم له بجزيل الشكر والتقدير، تمكنت من تجاوز تلك العقبات. لقد كانت ملاحظاته القيّمة بمثابة مرشد أساسي أسهم في تصويب ما شاب هذه الدراسة من أخطاء، وساعدني على تطويرها بشكل أفضل.

وفي الختام، نحمد الله سبحانه وتعالى على ما أمدنا به من صبر وقوة، سائلين أن يكون هذا البحث إضافة قيّمة تساهم في إضاءة الدرب أمام الباحثين المهتمين بهذا المجال.

سليمان أغـــا

النعامة في: 2025/05/06

مدخـل

أولاً: السيرة الذاتية والعلمية للكاتب محمد ولد الشيخ أغا

أ. نبذة عن حياته

وُلد محمد ولد الشيخ أغا عام 1907 في مدينة بشار،[1] بعد عامين من احتلالها من قِبل القوات الاستدمارية. ينحدر من أسرة بارزة، حيث كان والده، آغا الشيخ بن عبد الله بن بوسماحة، أحد أعيان المدينة وأثريائها. ينتمي إلى قبيلة الكرارمة، التي تعود أصولها إلى الولي الصالح سيدي عبد الكريم، المدفون في مدينة الشلالة بولاية البيض.

بحسب الشجرة العائلية المحفوظة في زاوية سيدي محمد بن بوزيان بالقنادسة (ولاية بشار)، يمتد نسبه إلى الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب. وتجدر الإشارة إلى أن عائلة محمد ولد الشيخ لا تربطها أي صلة بقبيلة أولاد سيدي الشيخ في البيض، خلافًا لما ورد في بعض المصادر، مثل كتابات المؤرخ جان دِيجُو (Jean Déjeu). التحق بالكتاتيب في صغره وحفظ القرآن الكريم. درس الشريعة وأصول الفقه على يد الفقيه العالم محمد بن عبد الكريم، **(المعروف ببن شكر)**، خريج جامعة القيروان. انعكست هذه المرجعية الإسلامية بوضوح في أعماله، مما ميّزه عن أقرانه ومثقفي بشار[2]. تلقى محمد ولد الشيخ تعليمه الأولي في مدرسة باستور ببشار، ثم واصل دراسته الثانوية في وهران، لكنه اضطر للعودة بسبب ظروفه الصحية رغم محاولات العلاج. اتجه إلى التعليم الذاتي، حيث انكب على المطالعة وتفاعل مع أعلام الأدب والعلوم. تأثر بالأدب الفرنسي والعالمي.

ب. مسيرته الأدبية

تميزت نشأة محمد ولد الشيخ بشغف مبكر بالأدب والتاريخ، وهو ما انعكس في ولوجه عالم الكتابة في سن مبكرة، مستفيدًا من احتكاكه المباشر بالمثقفين. وقد ساهم تردده المنتظم على مدينة وهران، ومشاركته الفاعلة في الأنشطة المسرحية والسينمائية، في صقل وعيه الأدبي وتعزيز رصيده المعرفي، مما مهد لظهوره لاحقًا ككاتب روائي ومسرحي[3]. مر بمرحلتين أدبيتين؛ الأولى تأثر فيها بالكلاسيكيات الفرنسية، والثانية اتجه فيها إلى المسرح والرواية، رغم انفتاحه الثقافي، ظل محمد ولد الشيخ متمسكًا بجذوره الدينية. متأثرًا بالفكر الإصلاحي السائد ومستلهِمًا من تعاليم شيخه عبد الكريم بن شكر.[4]

يُعد ولد الشيخ أحد أوائل الكتاب الجزائريين الذين اقتحموا ساحة الكتابة بالفرنسية في ثلاثينيات القرن الماضي، وكان أصغرهم

---

[1] ينظر إلى نسخة من الدفتر الاصلي ببلدية بشار تحت رقم 134.

[2] محمد ولد الشيخ آغا. مريم بين النخيل. ترجمة معراج آغا، 2020، ص. 4.

[3] Abdelkader Hani. "Mohamed Ould Cheikh Agha : Un précurseur du roman algérien," Littérature Algérienne, article en ligne, 2009, consulté le 14 février 2025 à 19h34.

[4] Chaouche Nadhim. Problématique de l'identité à travers le roman algérien d'expression française de la première moitié du vingtième siècle : Étude ontologique, Thèse de doctorat, 2019, p. 91

سنًا. على عكس معظم كتاب عصره، لم يعمل في الهيئات الإدارية أو القضائية أو في مجال التعليم الاستعماري. تميز بإتقانه فن التلاعب بالكلمة، ليس فقط للإبداع الأدبي، بل أيضًا للتحايل على الرقابة، كما ورد في هذا الاقتباس: «**محمد ولد الشيخ، كاتب من ثلاثينيات القرن العشرين، أتقن فن التعبيرليكتب دون أن يخضع للرقابة... رو ايته "مريم في النخيل" كانت رؤية للتعايش بين المستعمر القوي والمستعمر الضعيف**»[1]

برز اسم محمد ولد الشيخ أغا عام 1924 بعد نشره القصة القصيرة "رازيا في الصحراء"، تلتها "فجر الإسلام" وعدة قصص أخرى بين 1925 و1928، مثل "المكتوب" و"المتنان"، التي دارت أحداثها عند مدخل مدينة المشرية وقد نُشرت في وهران.

في مجال الشعر، أصدر مجموعته الأولى "أغاني إلى ياسمين" وهو عمل نال إعجاب الناقد الفرنسي **غاستون بيكار**، عقب اطلاعه عليها واستطرد قائلا: «**ياسمين المشتهاة والمحبوبة، ياسمين هي صورة لكل الفتيات الجميلات...**»[2]، وهو في سن الثامنة عشرة، إلى جانب ذلك، خاض تجربة قصيدة النثر، وكتب أعمالاً مثل"الرقصة بالقناع" (1924)، و"أفراح في مأتم"، و"المهملة"، إلى جانب رواية "معاناة سرية". عام 1928، أصدر مسرحيته "الخليفة"، ثم في 1936، نشر روايته الأولى "مريم بين النخيل"، واصل مسيرته بإصدار أعمال مثل "عذراء الدوار" و"المعاناة"[3].

من الابداع الأدبي إلى الابداع في الفن الرابع، تحديدا سنة 1937 ألّف محمد ولد الشيخ مسرحية" خالد والخليفة" و"خالد شمشون الجزائري" تكريما للأمير خالد زعيم الحركة التحررية في ذكرى وفاته الأولى. أعجب بها محي الدين بشطارزي واقترح تقديمها باللهجة المحلية، [4]ورغم محاولاته تلطيف مضمونها، لم ينجُ النص من تعديلات إضافية فرضتها الرقابة الاستدمارية قبل السماح بتقديمه على المسرح.[5] قُدمت على الركح المسرحي عام 1937 في عدة مدن جزائرية أين حققت نجاحًا كبيرًا، مما دفع السلطات الفرنسية إلى منعها عام 1946 بسبب تأثيرها الثوري. استؤنفت عروضها عام 1947، لكنها حُظرت مجددًا، وفي 1951، بعد عرضها في الجزائر العاصمة، أكد محمد ديب على طابعها الثوري، مشيرًا إلى التعتيم الإعلامي الذي رافقها.[6]

في أواخر 1937، فرضت السلطات الفرنسية الإقامة الجبرية على محمد ولد الشيخ في تاغيت، بينما كان يُحضّر لروايته "عذراء الدوار"، وقد كان هذا الكاتب الملتزم قد خطّ مسرحية من أربعة فصول تحت عنوان **"تحيا الجزائر"**، وهي مسرحية لم تُنشر بعد،

---

[1] Saoura. "Over-Blog," consulté le 25 mars 2025, https://saoura.over-blog.com/10-categorie-1077422.html, consulté le 23 avril 2025 à 21h12.

[2] محمد بوزيان. نجل وادي الساورة، مجلة جمعية أساتذة الأدب باريس، فرنسا، رقم99 سبتمبر -أكتوبر2001، ص12.

[3] محمد ولد الشيخ آغا .المرجع نفسه، ص. 6.

[4] Maheieddine Bachtarzi. Mémoires (1919-1939). Alger : SNED, 1968, p. 312

[5] مومن سعد .كتابة الهوية في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية .مذكرة ماجستير، جامعة عبد الحميد بن باديس، 2010، ص. 19.

[6] "Alger-Républicain," 12 décembre 1950.

تجسد عزمه على أن ترى الجزائر فجر الحرية. لكنّه لم يمكث طويلًا حتى أُصيب بتليّف الكبد، ونُقل إلى مستشفى وهران لتلقي العلاج. وفي فجر شتوي من سنة **1938**، وتحديدًا يوم **21يناير**، رحل محمد ولد الشيخ عن عمر لم يتجاوز الواحدة والثلاثين[1] . ورغم أن السبب الرسمي للوفاة كان المرض، فإن نظريات التسميم لا تزال مطروحة. دُفن في مقبرة بلونتان بوهران، ولم يُنقل جثمانه إلى مسقط رأسه في بشار[2].

ثانياً: تعريف عام برواية مريم بين النخيل

تنتمي الرواية إلى فترة ما بين الحربين [1919-1939]، التي شهدت تصاعد الحركات الوطنية في الجزائر ومقاومة سياسات الاندماج الفرنسية. كُتبت في سياق رفض الاستيعاب الثقافي القسري، مما منحها بعدًا سياسيًا وثقافيًا عميقًا. أثارت جدلًا عند صدورها عام 1936 عن دار بلازا في وهران، خاصة أنها نُشرت بالتزامن مع احتفال فرنسا بمئوية استعمار الجزائر، مما أضفى عليها طابعًا خاصًا من حيث التوقيت السياسي.

أثارت رواية "مريم بين النخيل" منذ صدورها جدلًا واسعًا، ولم تحظَ بقبول الأوساط الاستعمارية، خاصة العنصريين منهم وبعض اليهود... من يقرأ الرواية يدرك لماذا؟ إذ اعتُبرت تحديًا للمشروع الفرنسي، لما تحمله من دلالات حول الهوية والانتماء الوطني، لقد لفت النقاد المحليون الانتباه إلى أن الرواية تقوم على حبكة رمزية نتيجتها تفضي إلى انتصار الهوية الجزائرية واستحالة الاستيعاب، في هذا السياق، يعيد محمد ولد الشيخ في عمله الروائي صياغة موضوع الزواج المختلط، الفرنسي-الجزائري، ليُظهر استحالة الاندماج الثقافي ويسعى إلى تأكيد "الهوية الجزائرية وفي هذا الصدد، يرى الناقد **عبد القادر هاني** عبد القادر هاني أن الكاتب الشاب، القادم من الجنوب، قد شهد تطورًا لافتًا، إذ يقول: «**لقد تطور الكاتب الشاب القادم من الجنوب بشكل واضح. فبينما كان يعبّرفيه عن نفسه باللغة الفرنسية التي أحب شعرها، أصبح واعياً بالاختلاف بين الجزائريين وهويتهم. ومن هنا إلى الكفاح من أجل فرض هذه الهوية وتحقيق استقلالها، هناك عمل أدبي واحد فقط، وسيقوم محمد ولد الشيخ بكتابته مستفيدا من آخر موارده**»[3].

يُعد محمد ولد الشيخ أغا الروائي الجزائري الوحيد من جيله الذي يلقى اعترافًا رسميًا في الجزائر المعاصرة، بخلاف العديد من الكتّاب الذين كتبوا بالفرنسية الذين عاصروه. وقد تم إدماج أعماله، لا سيما روايته "مريم بين النخيل"، ضمن التراث الأدبي

[1] محمد بوزيان. نجل وادي الساورة، مجلة جمعية أساتذة الأدب باريس، فرنسا، رقم99 سبتمبر -أكتوبر2001، ص24.

[2]Hani Abdelkader, ibid., p.6

[3] Hani Abdelkader. "En mai 1936, Mohamed Ould Cheïkh, fils de bachagha et écrivain autodidacte, conteste l'ordre colonial," Vitamines DZ, 6 juin 2008, https://www.vitaminedz.com/fr/Algerie/de-la-poesie-puis-un-roman-141589-Articles-0-0-1.html, consulté le 6 avril 2025 à 16h44.

الوطني، باعتبارها أول رواية من فترة ما بين الحربين يُعاد نشرها في الجزائر المستقلة، وكان ذلك في عام 1985، في خطوة تعبّر عن اعتراف متأخر بقيمتها الأدبية والتاريخية، وتُعيد فتح النقاش حول ضرورة قراءتها وتحليلها من منظور معاصر[1]. لاحقًا، وفي سنة **2020** تُرجمت إلى اللغة العربية من قبل معراج أغا، ما ساهم في توسيع دائرة الاهتمام بها وإتاحتها لجمهور عربي أوسع، وتعزيز مكانتها في السياق الثقافي الوطني.

وفي هذا السياق، أشار الباحث **أحمد لنصاري** إلى أن النقد الاستعماري تعامل بانتقائية مع رواية مريم بين النخيل، مبرزًا المقاطع التي تدعم الطرح الاستعماري ومتجاهلًا الأجزاء التي تعكس الهوية الوطنية.[2] ويضيف **لنصاري** أن القراءة النقدية المتأنية تكشف عن حضور قوي للمرجعية الثقافية العربية والإسلامية في متن رواية مريم بين النخيل ما تم إغفاله عمدًا من قِبل النقد الكولونيالي. كما يؤكد أن التأويلات المشوّهة التي لحقت بأدب ولد الشيخ ساهمت في تهميشه وإقصائه من الدرس الأكاديمي، ما يستدعي إعادة النظر في القراءات التقليدية لتلك المرحلة الأدبية[3].

وتأتي **جميلة طلباوي** لتؤكّد على اسم كاتب لطالما سقط سهوا ولم يأخذ حقه من التعريف وهو محمد ولد الشيخ أغا، وترى أن العودة إلى أعماله ضرورة عند تناول الكتابة الأدبية في منطقة الجنوب الغربي الجزائري، تقول في هذا السياق: «**يشرفني أنني أنتمي إلى نفس البيئة، ونفس الوطن، و أتقاسم معهم ذاكرة شعبية واحدة. لذا، أجدني صوتًا أدبيًا ينهل من نفس المنابع، أكتب ذاتي، أكتب الصحراء، أكتب الإنسان، ذلك الآخر المختلف عني. لهؤلاء الكبار الريادة والسبق، ولي إيمان عميق بأنّ النصوص التي نكتبها هي فصول من تاريخ سيظل حيًّا لأجيال قادمة؛ لأنها عصارة الفكر والروح، وهي ترجمان لنبض الأمكنة، وأسرار التاريخ، و أثر الإنسان في هذا الجزء العزيز من الوطن[4].**»

ثالثاً: ملخص الرواية

تدور أحداث رواية "مريم بين النخيل "حول شخصية مريم، البطلة الرئيسة، وشقيقها جان حفيظ، وهما ثمرة زواج مختلط بين الضابط الفرنسي الكابتن ديبوسي، وخديجة المرأة المسلمة. غير أن هذا الزواج سرعان ما يتحول إلى مصدر صراع ثقافي وديني،

[1] Hardi Ferenc. Le roman algérien de langue française de l'entre-deux-guerres : discours idéologique et quête identitaire. 2005, p41.

[2] Lanasri Ahmed, et Mohammed Ould Cheikh. Mohammed Ould Cheikh, un romancier algérien des années trente. Alger, Office des publications universitaires, 1986.

[3] Lanasri Ahmed . "La critique algérienne de l'entre-deux-guerres, Le poids de l'idéologie." Horizons Maghrébins - Le droit à la mémoire, vol. 17, no. 1, 1991, p. 66-71

[4] جميلة طلباوي" .الصحراء في الرواية الجزائرية: البدايات النازفة والانتباه المتأخر," نقلاً عن *جريدة النصر*, https://www.annasronline.com/index.php, اطلع عليه بتاريخ 17 مارس 2025.

حيث يسعى كل من الوالدين إلى توجيه أبنائهما وفقًا فق منظوره الديني والثقافي. يختار الأب، بوصفه "مفكرًا حرًا"، مدرسة فرنسية لأطفاله، لكنه يرفض تعليمهم أي دين، سواء المسيحية أو الإسلام، مما يتركهم في حالة اغتراب ديني.

فجأة يلقى الكابتن ديبوسي مصرعه في إحدى المعارك خلال الحرب المغربية، تصبح الأم، خديجة، المسؤولة الوحيدة عن تنشئة أبنائها، فتسعى جاهدة لاستعادتهم ضمن هويتها العربية الإسلامية. لكن التباين بين خيارات الأبناء يعمق التوتر: يسلك الابن، جان حفيظ، طريق والده وينضم إلى الجيش الفرنسي، بينما تتبنى مريم أسلوب حياة فرنسيًا حداثيًا، فتتدرب على الطيران وتخطب للشاب الروسي إيباتوف.

غير أن التحول الدرامي في وعي مريم يبدأ حين تبدأ تعلم اللغة العربية على يد المدرّس المسلم أحمد، الحدث الذي يبعث الأمل في والدتها، إذ تتمنى أن يتطور هذا التفاعل إلى رابطة عاطفية تعيد ابنتها إلى جذورها العربية. هذا التقارب يثير غضب إيباتوف، الذي يعبر عن استيائه من هاته العلاقة. بتعليقات عنصرية تجاه أحمد تدفع مريم إلى إعادة النظر في هويتها، تقرر فسخ خطوبتها من إيباتوف وتعزز علاقتها بأحمد. مما يجسد إرادة العودة إلى الجذور الثقافية والدينية.

تنقلنا أحداث الرواية من وهران إلى جنوب المغرب، وصولًا إلى منطقة تافيلالت تحديدا، الواقعة على الحدود مع كولومب بشار في الجنوب الوهراني، المنطقة التي شكلت آنذاك معقلًا للتمرد ضد الحماية الفرنسية عشية سقوطها بيد القوات الاستعمارية. في خضم هذه الأحداث، تشارك مريم في سباق جوي على متن طائرتها الخاصة، لكن سرعان ما تأخذ الرواية منعطفًا دراميًا عندما تقع في قبضة الطاغية بلقاسم، سلطان تافيلالت. وفي محاولة لإنقاذها، يتنكر جان حفيظ في زي أمازيغي، مستعينًا بالشابة البربرية زهرة التي تقرر مؤازرته ومساعدته. في هذه الأثناء، يعود إيباتوف إلى المشهد متخفيًا في دور مهرب أسلحة، حيث يقوم بخيانة جان حفيظ وتسليمه إلى السلطان، طمعًا في مقايضة الأسيرين مقابل مزيدا من الأسلحة. مع تصاعد التوتر، يتدخل أحمد، متنكرًا بدوره، ويتمكن من تحرير مريم وشقيقها، في وقت تتقدم القوات الفرنسية نحو احتلال تافيلالت. تنتهي الرواية بعودة الأحداث إلى وهران حيث تُختتم بزواج مريم من أحمد، وزواج جان حفيظ من زهرة، محققين بذلك رغبة والدتهما، خديجة، في عودتهما إلى مجتمعهما العربي الإسلامي.

الفصل الأول: الإطار النظري والمفاهيمي

I. المبحث الأول: الهوية في الأدب: المفاهيم والتجليات

II. المبحث الثاني: العودة إلى الجذور: المفهوم والدلالة الأدبية

III. المبحث الثالث: تاريخ وتطور مفهوم الهوية والعودة إلى الجذور في الرواية الجزائرية الفرنكوفونية في الفترة ما بين الحربين [1919-1939]

I. المبحث الأول: الهوية في الأدب: المفاهيم والتجليات

1. المطلب الأول: الهوية ومضامينها في الأدب

الهوية من المفاهيم الأساسية التي تحدد انتماء الأفراد والجماعات، وتعكس طبيعة تكوينهم الثقافي والاجتماعي والديني. وتختلف تعريفاتها وفقًا للسياقات التي تُستخدم فيها، سواء في الفلسفة، علم الاجتماع، أو الدراسات الثقافية. وبما أن لكل رواية هوية ترتبط بلغتها ومؤلفها وبيئتها الزمانية والمكانية، بالإضافة إلى جمهورها المستهدف، فإنه يمكن غالبًا تحديد الهوية الثقافية التي تنتمي إليها الروايات، لكن ليس دائمًا. إذ يعد الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية مثالًا واضحًا على هذه الإشكالية، حيث لا يزال تصنيفه من حيث الهوية والانتماء يمثل تحديًا للنقاد والباحثين. لذا من الضروري أولًا تحليل مفهوم الهوية، وأبعادها لفهم هذا الإشكال بوضوح.

أولاً: الهوية: المفهوم، الأبعاد والتجليات

أ. الهوية وتقصي المعنى

تُستخدم كلمة "الهوية" بشكل شائع في الأدبيات العربية المعاصرة، وهي تقابل في المنظور الغربي الحرف اللاتيني(id) [1]، الذي اشتُق منه مصطلح identityبالإنجليزية و identité بالفرنسية، وكلاهما يعني "المماثل" أو "المشابه". ويعود أصلها اللاتيني إلى identitas، التي تعني "هو نفسه" أو "عينه". وقد عرّف **قاموس لاروس(Larousse)** الهوية بأنها «**مجموع الظروف أو الحيثيات التي تجعل من الشخص شخصًا مميزًا أو محددًا**»[2].

أما عند الرجوع إلى أمهات الكتب العربية والتراث الفكري العربي، نجد العديد من التعريفات لمفهوم الهوية عرّفها **الجرجاني** بأنها: «**الحقيقة المطلقة المشتملة على حقائق الاشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق** ».[3]

بينما المتصفح للمعاجم العربية القديمة يجدها تخلو من كلمة "الهوية" بمعناها الحديث، فلا يتعدى الشرح فيها كونها مشتقة من الفعل الثلاثي "هوى" بفتح الهاء. فقد وردت لفظة "الهوى" في معجم لسان العرب في مادة "هـ-و-ى" بمعاني مختلفة، منها: "الهُوى" البئر، وقيل: "الهُوة" الحفرة العميقة البعيد قعرها، وهي المهواة. كما جاء "الهَوى" بمعنى العشق. و"هَوى النفس" تعني إرادة النفس، والجمع: الأهواء. وفي كتاب التهذيب، قال اللغويون إن "الهَوى" هو محبة الإنسان للشيء وغلبته على قلبه[4].

---

[1] محمد إبراهيم عيد .الهوية والقلق والإبداع .القاهرة: للنشر والتوزيع، ط. 1، 2002، ص. 19.

[2] أحمد منور .الأدب الجزائري باللسان الفرنسي: نشأته وتطوره وقضاياه .الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ط. 1، 2007، ص. 12.

[3] الجرجاني .كتاب التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري. بيروت: دار الريان للتراث، ط. 1، 1982، ص. 320.

[4] ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم .لسان العرب .ج. 3، حرف الهاء. بيروت: دار صادر، 2003.

وقد وردت لفظة "هوى" في القرآن الكريم في عدة مواضع منها قوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى**﴾[1]،أي نهى نفسه عن اتباع الشهوات. وفي قوله عز وجل :﴿**وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى**﴾ [2]والمقصود بها قرية قوم لوط حين أهوى الله بها.

أما في قاموس المحيط فقد أورد معاني أخرى للفظة، منها: " الهُوة، والْأَهْوِيَّة، والهاوِيَةِ، وكل فارغ، والجبان بالقصر العشق يكون في الخير والشر، النفس، الماهوية، إرادة النفس والمهْوِيِّ، وهوت الطعنة فتحت فاها، والعقاب هويّا انقضت على صيد أو غيره[3]".

كما يُعتبر مفهوم "الهوية" مفهومًا إشكاليًا متعدد الأبعاد، نظرًا لارتباطه الوثيق بمختلف مجالات العلوم الإنسانية، حيث يتفاعل مع عناصر ورموز ثقافية متعدّدة، مثل الدين، واللغة، والتراث[4]. فنجد الدلالة اللغوية والفلسفية، فالمتتبع للتاريخ الفلسفي والفكر العربي العام يجد أن مصطلح "الهوية "استعمل من قبل الإرث الأرسطي بمعنى الوجود [5]. أما من حيث الدلالة اللغوية، فالهوية تُشتق من ضمير الغائب "هو"، مضافًا إليه ياء النسبة، مما يجعلها تعبيرًا عن كينونة الشيء كما هو في الواقع، بخصائصه ومميزاته التي يعرف بها [6].

الهوية بهذا المعنى تعني كيان الإنسان ووجوده كما هو، سواء كان فردًا أو شعبًا أو أمة، بناءً على مقوماته وخصائصه الفريدة، والتي تتيح التعرف عليه والتمييز بينه وبين غيره[7].ويشير في المقابل "جميل صليبا" في معجمه الفلسفي، إلى أن مصطلح "الهوية" ليس عربيًا في الأصل، بل اشتُق من ارتباط المحمول بالموضوع، وهو حرف "هو". ويضيف" :الهوية التي تدل على ذات الشيء كليًا هي ماهية الإنسان، أما إذا كانت جزئية، فتشير إلى حقيقة فرد معين، مثل هوية زيد"[8].

وبالانتقال إلى المعنى الاصطلاحي لمصطلح "الهوية"، نجد أنه من الصعب تحديده ضمن تعريف واحد جامع. ولا شك أن تعدد مفاهيم الهوية يعكس مدى تعقيد هذا المصطلح، نظرًا لزئبقيته وكذا لعموميته وتداخله مع مفاهيم أخرى. فالهوية مفهوم معنوي مجرّد يحمل في طياته دلالات متعددة، ويظل مفتوحًا لمختلف التأويلات والتفسيرات[9].في المنطق والرياضيات، تشير الهوية إلى مفهوم التساوي، غير أن هذا المفهوم يثير إشكاليات فلسفية عميقة. فقد أشار الفيلسوف **لودفيغ فيتغنشتا** (1889–1951)

---

[1] سورة النازعات، الآية 40.

[2] سورة النجم، الآية 53.

[3] الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيرازي .القاموس المحيط .بيروت: دار الكتب العلمية، 2007.

[4] هلالات دلال" .نسق الهوية والتمثيلات في رواية دمية النار لبشير مفتي نموذجًا ".مجلة علوم اللغة العربية وآدابها 12، ع. 3 (2020): ص. 570.

[5] سالم البيض .الهوية، الإسلام، العروبة، التونسية .بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2009، ص. 32.

[6] أحمد بي نعمان .الهوية الوطنية: الحقائق والمغالطات1944 ،. ص. 19.

[7] سعاد ولد جاب الله" .الهوية الثقافية العربية من خلال الصحافة الإلكترونية." رسالة ماجستير في علوم الإعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر، 2005-2006، ص. 134.

[8] جميل صليبا .المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية .ج. 2، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1982، ص. 530.

[9] مازية حاج علي" .الهوية والاستعمار." كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة، ندوة المختبر: الهوية في الأدب الجزائري، 2014، ص. 1.

(LudwigWittgensteini)إلى القول بأن شيئين متطابقين تمامًا (identical) ليس دقيقًا، لأن وجودهما ككيانين منفصلين يتناقض مع فكرة التطابق المطلق. فإذا كانا متساويين في كل شيء، فإنهما في الواقع ليسا شيئين مختلفين، بل هما الشيء ذاته. ومن هذا المنطلق، يرى فيتغنشتاين أن العبارة المنطقية (أ = أ)، التي تعبر عن هوية الشيء مع نفسه، هي في جوهرها بلا معنى، لأنها لا تقدم أي معرفة جديدة أو إضافة حقيقية إلى الفهم له.[1]

أمام هذا الزخم الكبير من التصورات التي حاولت ضبط مفهوم الهوية، لا يمكن إلا الإقرار بصعوبة الوصول إلى تعريف دقيق. إذ يتفق ثلة من الدارسين على أن "الهوية "مجموعة المميزات الجسدية، والنفسية، والمعنوية، والاجتماعية، والثقافية، التي تمنحه شعورًا بوجوده كإنسان له أدوار ووظائف محددة، تمكنه من الإحساس بالقبول والاعتراف به من قبل الآخرين، سواء كانوا أفرادًا أو جماعات أو ثقافات ينتمي إليها[2]." ولكن، من جهة أخرى، يكشف ارتحال مصطلح الهوية بين البيئات المعرفية المختلفة عن تباين مفاهيمها تبعًا لاختلاف التخصصات كالفلسفة، والأنثروبولوجيا، والسيكولوجيا، والسوسيولوجيا، وحتى الرياضيات. وهذا يعكس طابعه الديناميكي، حيث إنه ليس ثابتًا، بل يخضع لتغيرات مستمرة بفعل المؤثرات الجديدة، ما يؤدي إلى تجدد بعض عناصره واختفاء أو اندماج أخرى. ومن هذا المنطلق، تتطلب الهوية إعادة تعريف مستمرة، تواكب التحولات الاجتماعية والثقافية والتاريخية. فلا يمكن فهمها باعتبارها كيانًا جامدًا، بل هي بنية متحولة تستند إلى وعي بالماضي، وفهم للحاضر، واستشراف للمستقبل، هذا ما يجعلها في حالة تطور دائم[3].

ب. أنواع الهوية

- **الهوية الفردية**

تشير الهوية الفردية إلى تميّز الشخص عن الآخرين، من خلال مجموعة من الخصائص الذاتية والجسدية والاجتماعية. ورغم أنها تبدو مفهومًا بديهيًا للوهلة الأولى، فإنها في الواقع ظاهرة معقدة ومتعددة الأبعاد. لإحساسها بالذات واستمراريتها عبر الزمن، كما تعكس العلاقة التفاعلية بين الفرد ومجتمعه. في هذا السياق تناولت عدة نظريات تشكّل الهوية الفردية، ولعل من أبرزها نظرية عالم النفس **إريك إريكسون (Erik Erikson)** (1902–1994)، الذي نظر إلى الهوية على أنها عملية ديناميكية تتطور على مدار

[1] Ludwig Wittgenstein. Tractatus Logico–Philosophicus, trans. C.K. Ogden and F. Ramsey, with an introduction by Bertrand Russell. London: Routledge and Kegan Paul, 1922, pp. 138–139

[2] شرقي رحيمة". الهوية الثقافية الجزائرية وتحديات العولمة ".مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد 193، جوان 2013، ص. 193.

[3] فتيحة بوغازي .صحافة المواطن والهوية المهنية للصحفي، ماجستير في علوم الإعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر 3، الجزائر، 2010-2011، ص. 92-93.

الحياة، متأثرة بالعوامل النفسية والاجتماعية[1]. لم يقتصر مفهوم الهوية على تكوّن الشخصية، بل يشمل إدراك الذات والتماثل الداخلي (self-sameness)والاستمرارية (continuity) عبر الزمن، ما يعطي للفرد شعورًا بالتكامل الشخصي.[2]

تتجلى الهوية الفردية في بُعدين أساسيين: الأول موضوعي؛ يتمثل في الخصائص الفيزيائية والجينية التي تجعل كل فرد فريدًا، مثل ملامح الوجه، وبنية الجسم، والحمض النووي. والثاني ذاتي؛ يتجسد في إدراك الفرد لذاته وشعوره بالتميز رغم وجود أوجه تشابه مع الآخرين[3]. كما أن هذه الهوية لا تقتصر على وعي الشخص بنفسه، بل تتأثر أيضًا بالطريقة التي يدركه بها الآخرون ضمن محيطه الاجتماعي، ما يضفي عليها بعدًا تفاعليًا.

- **الهوية الجماعية**

يشير هذا النوع من الهوية إلى مجموعة من المعايير التي تحدد مكانة الفرد داخل مجتمعه، ما يسمح له بالتعرف عليه اجتماعيًا. وتتجسد هذه الهوية في السمات والخصائص التي يُنسب بها الفرد من قبل الآخرين والجماعات المختلفة داخل المجتمع. فهي هوية اجتماعية معترف بها، حيث يدرك الفرد دوره فيها ويشارك بفعالية وذلك من خلال انتماءاته المتعددة[4]،هذا ما يعزز اندماجه في النسيج الاجتماعي. يُوضح عالم الاجتماع **ماكس فيبر (M Weber)** أن: **«الهوية الجماعية ليست مجرد مفهوم نظري، بل هي نظام من العلاقات الاجتماعية التي تجمع الأفراد ضمن إطار مشترك. تنبع هذه الهوية من إحساس موحّد بالانتماء العاطفي، إضافةً إلى وحدة المصالح التي تربط الأفراد ببعضهم. كما أنهم يشتركون في ثقافة محددة تساهم في تحديد أدوارهم الاجتماعية والمسؤوليات التي تميزهم عن غيرهم من الأفراد والجماعات»**[5]. بذلك، تصبح الهوية الجماعية عاملًا أساسيًا في تشكيل التماسك الاجتماعي، حيث تقوي الشعور بالانتماء والتفاعل المشترك بين أفراد المجموعة.

ج. أبعاد الهوية

- **الهوية الدينية**

تُعرَّف الهوية الدينية بأنها مجموعة من العقائد والمبادئ والقيم والرموز التي تميّز أمة معينة، ما يمنحها إحساسًا بالتفرّد عن غيرها من الأمم[6]. كما أنها تشكّل عنصرًا أساسيًا في بناء الوعي الجماعي، إذ تؤثر في السلوكيات والتقاليد وتحدد أنماط الانتماء داخل

[1] عزمي بشارة" .تأملات في مسألة الهوية ".دورية تبين للدراسات الفكرية والثقافية2022 ،، حجم 11، رقم 29، ص. 41.

[2] هارلمبس وهولبورن .سوسيولوجيا الثقافة والهوية، ترجمة حاتم حميد محسن. دمشق: دار كيوان للطباعة والنشر، 2010، ص. 105.

[3] أحمد بن نعمان .مصير وحدة الجزائر بين أمانة الشهداء وخيانة الأمراء الخفراء .الجزائر: دار الأمة، 2005، ص. 290.

[4] ينظر :محمد العربي ولد خليفة .المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية الجزائرية .منشورات تالة، 2007، ص. 62.

[5] اليكس ميشللي .الهوية .دمشق: دار الوسيم للخدمات الطبيعة، ط. 1، 1993، ص. 79.

[6] عبد الكريم بكار .تجديد الوعي .دمشق: دار القلم، ط. 1، 2000، ص. 69-70.

المجتمع، ما يعزز الشعور بالوحدة والارتباط بين أفراده. ولكل ديانة عباداتها وطقوسها التي تميزها عن غيرها.

تتميز الهوية الإسلامية بقدرتها على استيعاب مختلف الهويات وجمعها تحت مظلتها، ذلك لأنها تستند إلى عقيدة راسخة وأصول ثابتة تمنحها قوة ووحدة فريدة. فهي خصبة تجاوزت الحدود العرقية والثقافية، إذ تجمع جميع المنتسبين إليها ضمن إطار مشترك يقوم على القيم الدينية والتاريخ العريق. كما تتميز بامتلاكها لغة واحدة، هي العربية، التي توحّد خطابها الفكري والثقافي، إلى جانب امتدادها الجغرافي المتصل والمتشابك. وتكمن غايتها الأساسية في تحقيق التوحيد وإعلاء كلمة الله، ما يجعلها ذات بعد روحي وإنساني شامل، تسعى إلى تحرير الإنسان من كل أشكال العبودية لغير الله[1].

- **الهوية الثقافية**

يرى **مالك بن نبي** أن «**الثقافة لا تقتصر في مفهومها على الأفكار فحسب، بل تشمل أيضًا جوانب أوسع بكثير، مثل أسلوب الحياة في مجتمع معين من ناحية، والسلوك الاجتماعي الذي يوجه تصرفات الأفراد في ذلك المجتمع من ناحية أخرى**»[2]. يبرز مفهوم الهوية الثقافية تلك المبادئ الأصلية السامية والذاتية التي تنبع من الأفراد أو الشعوب، وهي الركائز التي تمثل كيان الإنسان الشخصي سواء الروحي أو المادي من خلال تفاعل هذين العنصرين. يهدف ذلك إلى إثبات هوية أو شخصية الفرد أو المجتمع أو الشعوب، بحيث يشعر كل فرد بانتمائه الأصلي لمجتمع ما، يميزه عن باقي المجتمعات الأخرى[3]. تُبنى الهوية الثقافية من خلال التفاعل المستمر بين الفرد وبيئته، حيث تتشكل مشاعر الفرد وعلاقاته الاجتماعية بناءً على التاريخ والواقع الثقافي المحيط به. إن عملية تكوين الهوية الثقافية تحتاج إلى وقت طويل، حيث تمر بمراحل عدة تتداخل فيها عناصر تاريخية وثقافية ونفسية، لتنتج في النهاية هوية ثقافية متكاملة تعكس الانتماء إلى أمة أو مجتمع معين[4].

سؤال "من نحن؟" يعتبر تعبيرا عن هويتنا مقارنةً بالآخر، ذلك المختلف الذي لا يمكننا إدراك ذاتنا إلا في ضوء وجوده. فالآخر، بثقافته المختلفة، يشكّل نقطة مرجعية لفهم هويتنا الخاصة، سواء من خلال الحوار أو التفاعل الثقافي. ووفقًا لهذا المفهوم، فإن الهوية الثقافية تنحسر عند حضور الآخر[5]، إذ تتشكل ثقافات متباينة نتيجة اختلاف الشعوب في رؤاها ومواقعها. رغم الاختلاف، هذا التفاعل يؤدي إلى عملية تهجين ثقافي(hybridity) ، يشمل الجوانب اللغوية، الثقافية والعرقية، هذا ما أشار إليه **هومي بابا**

---

[1] ينظر: مجلة البيان، العدد 128، ندوة الهوية الإسلامية.

[2] مالك بن نبي. مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين. دمشق: دار الفكر، 2000، ص. 13.

[3] محمد زغو" .أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب ".الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر، عدد 4، 2010، ص. 94.

[4] شرقي رحيمة.، المرجع السابق، ص. 193.

[5] علي أسعد وطفة .الهويات الأصولية في عصر العولمة .سوريا، 2010، ص. 44.

(Homi K. Bhabha)بمفهوم "الفضاء الثالث" أو "الفضاءات البينية (liminal spaces) "تمثل هذه الفضاءات مناطق ديناميكية تمنح الثقافة فرصةً للإفصاح عن ذاتها والتشكل في سياقات جديدة، ما يجعل الهوية عملية متحولة، وليست ثابتة أو مغلقة[1].

- **الهوية الاجتماعية**

الهوية الاجتماعية هي بنية معقدة تتشكل من خلال تفاعل الأفراد وعلاقاتهم، حيث يشكل هؤلاء الأفراد عناصرها التكوينية. إذ لا يمكن للفرد إثبات هويته أو التعبير عنها بمعزل عن الآخرين، بل من خلال الانتماء، حيث يتم تحديد سلوكياته من خلال منظومة من المعايير والقيم المشتركة التي تحدد هويته الاجتماعية.

على صعيد أخر طوّر **هنري تاجفل (Henri Tajfel) وجون تيرنر(John Turner)** عام 1979 نظرية الهوية الاجتماعية، التي تؤكد أن الانتماء إلى جماعة يشكل مصدر فخر واحترام ذاتي للأفراد، تعمل الجماعات كجسر يربط الأفراد بعالمهم الاجتماعي، حيث يميل الإنسان بطبيعته إلى تصنيف الآخرين ضمن فئات اجتماعية. وتشبه عملية التصنيف هاته المستخدم في العلوم الطبيعية، الذي يجمع العناصر وفقًا لصفات أساسية مشتركة، ما يسهل وضع تعميمات واستنتاج روابط داخل وبين هذه الفئات.[2]

ثانياً: الهوّية الجز ائرّية

أ. مفهومها

يتخذ مفهوم الهوية عند أبو القاسم سعد الله شكلين أساسيين: الأول هو **الجزأرة**، التي تعني الهوية ذات الطابع المحلي والمرتبط بالانتماء الوطني، حيث يرى أن تحقيق الهوية يكون من خلال تعزيز الثقافة الوطنية في المدن والمؤسسات والعقول الجزائرية، وهو ما عبّر عنه بقوله: «**نستعمل مصطلح الجزأرة لإضفاء الطابع الثقافي الوطني على مدننا، لتكون حقًا وحقيقة جز ائرية.** »[3] أما الشكل الثاني فهو الهوية الشاملة، حيث يرى أنها لا تقتصر على البعد المحلي بل تتسع لتشمل الانتماء العربي والإسلامي، ما يجعلها أكثر شمولية وترابطًا مع القيم القومية والإنسانية.

تجسد الهوية الجزائرية بالمفهوم الحضاري، انتماءها العميق إلى الأمة العربية الإسلامية بكل مكوناتها، إذ تقوم على ثلاث محددات رئيسية :الدين الإسلامي، اللغة العربية، والأصل الأمازيغي .ورغم هذا الإطار العام، فإن الهوية الجزائرية ليست مجرد انعكاس للانتماء العربي الإسلامي، بل هي نتاج تراكمات تاريخية، وتأثيرات محلية وعالمية ساهمت في تشكيلها وتحديد ملامحها[4].

---

[1] رضوى عاشور. "الصوت، فرانز فانون، إقبال أحمد، إدوارد سعيد." مجلة ألف، للبلاغة المقارنة، مصر، إدوارد سعيد، "التقويض النقدي للاستعمار"، العدد 25، 2005، ص. 75.

[2] عزمي بشارة .المرجع السابق، ص. 29.

[3] مراد وزناجي" .مفهوم التاريخ عند أبو القاسم سعد الله" ، دار عالم المعرفة، الجزائر، 2015، ص. 99.

[4] محمد السويدي .مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته .الجزائر: المؤسسة الوطنية، ط. 1، 1991، ص. 41.

ب. جذورها وتحولاتها عبر الزمن

يُنْظَرُ إلى الهوية الجزائرية على أنها إحدى الهويات العريقة والمتنوعة، المتجذرة في عمق التاريخ وتحولاته. وقد شكلت دراسة هذا المفهوم محور اهتمام الباحث والمؤرخ **أبو القاسم سعد الله**، الذي كرس أكثر من ربع قرن للبحث والتنقيب في معالمها الثقافية عبر الحقب التاريخية المختلفة، محاولًا استكشاف تأثيراتها السياسية والاجتماعية والفكرية.

يعد **العهد الروماني**، الفترة التي تشكلت فيها العلاقة بين الرومان وسكان الجزائر، أين تجلت معالم الهوية داخل هذه الرقعة الجغرافية، إذ أكد سعد الله أن الحدود الرومانية لم تكن فقط لحماية ممتلكاتهم بل لضمان السيادة على شمال إفريقيا[1]، ما جعل الأرض عنصرًا ثابتًا في الهوية الجزائرية. أما عن الجانب الثقافي، فقد تجسد في إنشاء المدن مثل تيمقاد وجميلة وتيبازة[2]،الشيء الذي يعكس التفاعل بين الثقافة الرومانية والسكان المحليين. بينما المجال اللغوي أفصح على انتشار اللاتينية في الحياة الحضرية[3] لكنها لم تكن شاملة، حيث ظلت الهوية اللغوية للسكان قائمة من خلال الترجمة والفهم دون انتشار الكتابة اللاتينية بينهم بشكل واسع، باستثناء بعض النخب مثل **أبوليوس**، الذي برز كروائي فيلسوف عبر روايته "الحمار الذهبي."

بينما **العهد الإسلامي**، فقد رأى سعد الله أن سكان شمال إفريقيا لم ينتموا سابقًا لحضارة خاصة بهم، بل كانوا مسرحًا للحضارات دون إنتاج حضاري مستقل.[4]إذ أكد أن الفتح الإسلامي لم يكن استعمارًا، بل جاء بتأثير إيجابي تجلى في تغيير البنية الثقافية والاجتماعية عزز من هوية الجزائر ضمن إطار الحضارة الإسلامية، على عكس الطرح الاستشراقي الذي سعى لربط الهوية الجزائرية بالانتماء الأوروبي عبر التأريخ للحضارة الرومانية. ارتبطت هذه المرحلة بظهور الفتوحات الإسلامية في بلاد المغرب، حيث لعب الإسلام دورًا محوريًا في شمال إفريقيا، تمامًا كما حدث في الجزيرة العربية. وقد اعتنق البربر الإسلام، ليس فقط لكونه دينًا عادلاً، ولكن أيضًا لكونه أداة تطوّر اقتصادي واجتماعي، فضلاً عن كونه عاملًا للوحدة السياسية، حيث تخلّى أهل البلاد عن النظام القبلي، واتجهوا نحو تشكيل كيان سياسي موحّد.

على الصعيد الثقافي، كان تأثير الحضارة العربية الإسلامية واضحًا، حيث انتشرت حركة التعريب تدريجيًا، بدايةً من المدن، ثم السهول، وأخيرًا الجبال. وعلى الرغم من بقاء اللغة الأمازيغية المحكية، فإنّ الثقافة المكتوبة كانت بالعربية، كما أنّ الحياة العلمية والفنية في المغرب الأوسط كانت جزءًا لا يتجزّأ من التيارات الفكرية القادمة من المشرق والأندلس .وبذلك، أصبح المغرب العربي

[1] أبو القاسم سعد الله .تاريخ الجزائر الثقافي (من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن التاسع الهجري) ,ج. 1، ط. 1، الجزائر: عالم المعرفة، 2015، ص. 36.

[2] المرجع نفسه، ص. 36.

[3] المرجع نفسه، ص. 36.

[4] المرجع نفسه، ص. 5-6.

عمومًا، والجزائر خصوصًا، جزءًا من المساحة الفكرية العربية، مع احتفاظه بخصوصيته التاريخية والثقافية[1].

أما في **العهد العثماني**، الذي امتد من القرن التاسع هجري (الخامس عشر ميلادي) حتى سنة 994 هـ (1585 م)، كان المغرب العربي تحت نفوذ ثلاث دول رئيسية: المرينية، الزيانية، والحفصية[2]. ورغم قلة اهتمام المؤرخين الجزائريين بهذا العهد، فقد تناولته بعض الأعمال مثل كتابات أبي راس، ابن المفتي، والورتلاني. كما لم يحظَ باهتمام كبير حتى من علماء الجزائر خلال العهد الفرنسي بسبب احتكار الفرنسيين للأرشيف العثماني، لا سيما ما يتعلق بالحياة الثقافية. ومع ذلك، تم استرجاع هذه الوثائق والمخطوطات بعد الاستقلال، ما ساهم في تسليط الضوء على تلك الفترة. [3].شهدت الهوية الجزائرية خلال العهد العثماني تأثيرات إيجابية وسلبية. فمن الجانب الإيجابي، ساهم العثمانيون في حماية الهوية الإسلامية عبر التصدي للاستعمار الأوروبي، وتعزيز العقيدة الإسلامية، والحفاظ على وحدة البلاد. كما لعب الجهاد دورًا موحدًا بين الجزائريين والعثمانيين في صد العدوان الصليبي[4]. أما الجانب السلبي، فقد تمثل في استئثار العثمانيين بالحكم وإقصاء الجزائريين، ما أدى إلى الاستبداد السياسي ونهب الثروات[5]. إضافة إلى فرض اللغة التركية في الإدارة وتهميش العربية، مما أضعف الهوية الثقافية. في سياق متصل، تعرضت المرأة الجزائرية أنداك للتهميش، ولم يُبذل جهد كافٍ لتطوير الحركة الثقافية والعلمية، ما أدى إلى ركود ثقافي سببه حماية عثمانية تبعه إستدمار فرنسي، هذه المرحلة، شكلت تحديًا خطيرًا هدد مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية.

وعليه، فالهوية الجزائرية مرت بمراحل تاريخية متنوّعة، لعبت الحضارة العربية الإسلامية دورا أساس في ترسيخ إرث فكري وحضاري قويّ، لا يمكن الاستغناء عنه، بل كان داعمًا لمعالمه، في لغة والعادات والتقاليد.

ج. و اقعها في ظل التحديات الاستعمارية الفرنسية

تفردت الهوية الجزائرية بخصوصيتها التاريخية، إذ أصبحت علامة مسجلة باسمها مرتبطة بأرضها تميزها عن باقي شعوب العالم. وخير من عبّر عن ذلك الشيخ الامام **عبد الحميد بن باديس** بقوله: «**إن هذه الأمة الجز ائرية ليست هي فرنسا ولا يمكن أن تكون فرنسا، ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت؛ بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها وأخلاقها، وفي عنصريتها وفي**

[1] ميمونة مناصرية .هوية المجتمع المحلي في مواجهة التحديات من منظور أساتذة جامعة بسكرة، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه العلوم في علم اجتماع التنمية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2010-2011، ص. 281-282.

[2] أبو القاسم سعد الله .المرجع نفسه، ص. 40.

[3] المرجع نفسه، ص. 32-33.

[4] المرجع نفسه، ص. 13.

[5] المرجع نفسه، ص. 14.

دينها، ولا تريد أن تندمج، ولها وطن محدود هو الوطن الجزائري، بحدوده المعروفة. »[1]

خضعت الهوية الجزائرية لصراعات عدة ذلك على مدار قرن ونيف من الاستدمار، حيث عانى الشعب الجزائري من شتى السياسات الاقصائية استهدفت اللغة، الدين، والعادات والتقاليد. سعيا من فرنسا إلى إبادة هويته أو دمجها قسرًا داخل ثقافته، في المقابل، شكّلت المقاومة الشعبية، ثم السياسية لاحقًا، بمختلف تياراتها الأيديولوجية، ردًّا حاسمًا على هذه المحاولات عبّرت عن رفضها القاطع لكل أشكال الاحتلال وتبعاته. كان الإصرار على إثبات الوجود والحفاظ على الهوية الوطنية بمثابة نضال مستمر، هدفه الدفاع عن أصالة هذه الأمة الضاربة جذورها في أعماق التاريخ، ومواجهة كل محاولات الطمس والتغييب التي فرضها الاستعمار.[2] يقول **جاك دريدا** في هذا الصدد: «**إننا نعرف من خلال معرفتنا البسيطة، ولكن الأكيد، أن الجزائر لم تكن أبدًا مقاطعة فرنسية، وأن الجزائر (Algérie) ليست حيًا شعبيًا، لقد كنا نعتقد منذ طفولتنا أن الجزائر بلد قائم بذاته، وأن الجزائر (العاصمة) هي مدينة في هذا البلد الغني بثقافته المتعددة ولغاته (العربية والأمازيغية)، وما تحمله من اختلافات في الميزات، مما يثري الوسط الثقافي الجزائري ويعزز علاقات أبنائه**»[3].

فالمتأمل في هذه المقومات سيلاحظ أنها كانت عبر السنين صمام أمان لحماية هويات المجتمعات أمام كل التحديات والمخاطر التي واجهتها في فترات مختلفة. وبشكل خاص، الهوية العربية والإسلامية، التي حاول الاستعمار الصليبي طمسها والقضاء على مقوماتها، إلا أن تمسكها بمبادئها وثباتها عبر الزمن، ساهم في بقائها واستمرارها. وقد أشار إلى هذا الأمر ناصر **الدسوقي رمضان** في إحدى مقالاته، حيث قال: «**لا يمكن لأي أمة أن تبقى وتتميز دون هوية، فهي بمثابة بصمتها التي تميزها عن غيرها، والأساس الذي يجمع أفرادها. ورغم أن الهوية قد تتجدد عبر الزمن، إلا أن ثوابتها لا تتغير. فإن فقدت الأمة هويتها، فقدت استقلالها وتميزها، مما يؤدي إلى انهيار روابط الولاء بين أبنائها، وتفكك نسيجها الاجتماعي، ليكون المصير الحتمي هو السقوط الحضاري. وعندها، تصبح عرضة لاستغلال الأمم الأخرى، التي تغزو فكرها، وتطمس وجودها، وتمحو أثرها من صفحات التاريخ**[4]».

إنّ المجتمع الجزائري كيان عريق الأصول، ثريّ الثقافة، وقويّ التكوين، إذ امتلك كل المقومات التي مكّنته من الحفاظ على هويته وانتمائه عبر مختلف مراحل تاريخه ونضاله خاصة خلال الاحتلال الفرنسي، حيث قاوم بكل السبل للحفاظ على مقوماته الحضارية.

---

[1] محمد عبد الرؤوف عطية .التعليم وأزمة الهوية الثقافية .القاهرة، مصر: مؤسسة طيبة للطبع والنشر، ط. 1، 2009، ص. 48.

[2] بن الشيخ حكيم ."الهوية عنوانًا للذات والوطنية الجزائرية" .رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطية2023 ، العدد 1، الحجم 4، ص. 156-171.

[3] جاك دريدا .أحادية الآخر اللغوية، ترجمة محمد موهوب. مراكش، المغرب: المطبعة والوراقة الوطنية، 2021، ص. 68.

[4] ناصر دسوقي رمضان .الهوية الإسلامية والمؤامرة عليها2009 ،. نقلاً عن موقع الألوكة.https://www.alukah.net/sharia . ، اطلع عليه بتاريخ: 19/03/2025.

ثالثاً: الهوية السردية (L'identité narrative)

يحتل فن الرواية مكانة بارزة في الأدب، لما يتمتع به من قدرة على تصوير الواقع ومساءلته بأساليب متعددة. ومن هنا برز مفهوم "الهوية السردية"، الذي يعكس كيفية تجلي الهوية داخل البناء الروائي. قد تميّز الرواية بفضل موقعها المميز ضمن الفنون التعبيرية، بالإضافة إلى انتشارها الواسع وملاءمتها لروح العصر. وقد تفوقت الرواية على غيرها من الأجناس الأدبية، مثل الشعر، في التعبير عن قضايا معقدة بأساليب فنية متجددة[1].

يرى **بول ريكور** (1913-2005) أن التشابك بين الهوية والسرد هو ما يمنح الذات القدرة على الاندماج وإعادة تشكيل هويتها باستمرار. فالسرد، بحسبه، ليس مجرد انعكاس مباشر للواقع، بل هو بنية تخييلية ذاتية تعيد تشكيل الأحداث والتجارب ضمن إطار زمني سردي يمنحها معنى جديدًا.[2] وبهذا، تُبنى الهوية السردية خلال فعل الحكي، لا بوصفها معطًى جاهزًا بل كصيرورة ديناميكية تتكوَّن داخل النص بدلاً من أن تكون مجرد استعادة لتجربة سابقة أو معطًى خارجي يسبق فعل السرد[3]. وفي هذا السياق، يرى **حاتم المورفلي** أن السرد يلعب دورًا محوريًا في معالجة مسألة الهوية لدى **بول** ريك **نفسه**، إذ يتيح تجاوز النظرة الأحادية للتاريخ، مما يسمح بإعادة بناء الهوية بطريقة ديناميكية ومتعددة. فالسرد يمنح الأفراد والجماعات فرصة لإعادة سرد قصصهم بطرق مختلفة، مما يفتح المجال أمام التعددية الثقافية بدلًا من فرض رؤية موحدة أو حتمية للهوية[4]. كما يؤكد **سعد محمد رحيم** أن الهوية السردية تتشكل في تفاعل جدلي بين اللغة والتاريخ، من خلال عمليات جدلية معقدة. فموقع الهوية السردية هو موقع ثقافي يتأسس على الرموز والشعارات، ما يجعلها غير ثابتة أو محددة بشكل قاطع. فهي تتكون من معانٍ ورموز وسياقات ثقافية وتأويلات متعددة تنبثق من التفاعل بين التاريخ والتخييل،[5] ما يمنحها طابعًا مرنًا وقابلًا للتحول المستمر. يرى **إدوارد سعيد** أن الهوية القومية ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالسرد، سواء كان ذلك في سرد تاريخ الأمة،أو رواية أحداثها المؤسسة، أو توثيق وقائعها الأصلية. كما يتعدى إلى صياغتها واعادة تشكيلها، جاعلا العلاقة بين الهوية والتاريخ والسرد علاقة تكاملية. بذلك، يغدو السرد أداة رئيسية لفهم الهوية الثقافية ومنحها معناها الخاص.[6]

---

[1] علجية مودع" .المسرح الجزائري وسؤال الهوية لمحمد فلاق أنموذجًا" ، ندوة المختبر، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2014.

[2] محمد فلي الجبوري" .الهوية السردية : المفهوم والتجلي " .مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة المثنى السماوة، العراق، مجلد 18، عدد 1442 هـ/ 2021م، ص. 270.

[3] بول ريكور .الوجود والزمان والسرد، ترجمة سعيد الغانمي. بيروت، لبنان: المركز الثقافي العربي، ط. 1، 1999، ص. 264.

[4] حاتم المورفلي .الهوية والسرد بول ريكور، بيروت، لبنان: دار التنوير، 2009، ص. 131.

[5] سعد محمد رحيم .المثقف الذي يدس أنفه، بغداد، العراق: دار سطور، 2016، ص. 81-82.

[6] إدوارد سعيد .الثقافة والإمبريالية، ترجمة: كمال أبوديب. بيروت، لبنان: دار الآداب، ط. 1، 1998، ص. 391.

2. المطلب الثاني: ماهية الصراع الهوياتي

يُعد صراع الهوية حالة من التوتر النفسي والاجتماعي التي تنشأ عندما تتباعد الهوية الذاتية عن الهوية التي يفرضها المجتمع، أو نتيجة للتغيرات الاجتماعية والسياسية التي تؤثر على الهوية الثقافية والدينية للأفراد والجماعات. إذ أن البحث عن الهوية هو نزعة ذاتية واجتماعية تهدف إلى تحقيق الشعور بالانتماء، حيث يسعى الفرد إلى ترسيخ الشعور بالانتماء إلى جماعة ما تميزه عن الآخرين. وتقوم الهوية بطبيعتها على التمايز من خلال المحددات الثقافية والاجتماعية التي تحدد خصائص الأفراد والجماعات. وهكذا يصبح صراع الهوية عملية مستمرة تعكس التفاعل الديناميكي بين الذات والآخر، والفرد والمجتمع، والثوابت والمتغيرات في تشكيل الانتماء الثقافي.

أولًا: الصراع: المفاهيم، الأشكال، والتجليات الأدبية

أ. البعد المفاهيمي للصراع

تعكس الأدبيات المختلفة تعددية التعريفات لمفهوم الصراع، حيث تتباين وجهات النظر حوله وفقًا لاختلاف بؤر الاهتمام والمجالات البحثية. ويرجع هذا التباين إلى اختلاف نقاط التركيز التي يوليها الباحثون والمتخصصون أهمية كبيرة عند دراسة وتحليل الصراع.[1]

- **الصراع في اللغة:** تعود أصل كلمة "صراع" إلى الجذر (ص ر ع)، الذي يشير إلى النزاع والخصومة والتدافع بين طرفين أو أكثر، بهدف الغلبة أو تحقيق مصلحة معينة. يقول **ابن منظور** في لسان العرب: الصِّرَاعُ: المُنازَعَةُ، وصَرَعَهُ يَصْرَعُه صَرْعًا وصِرَاعًا: طَرَحَهُ على الأَرضِ" [2]. أما **الفيروزآبادي** في القاموس المحيط فيعرّف الصراع بأنه: "الصِّرَاعُ: المُغالَبةُ، وصَرَعَهُ: أَلقاهُ على الأَرضِ" (صارعه) مصارعة وصراعا، غالبه في المصارعة، (صَرَّعهُ) صرعه شديد. [3]

تدل لفظة "صرعى" في القرآن الكريم على الهزيمة والسقوط نتيجة الصراع، كما في قوله تعالى: ﴿**سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ**﴾[4]. وقد ارتبط الصراع بتاريخ البشرية منذ نشأتها كما في قصة قابيل وهابيل في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾[5]، تُظهر هذه القصة أن الصراع قد ينشأ من الغيرة أو الطمع أو الرغبة في السيطرة،

---

[1] "حول تعقّد مفهوم الصراع وتداخل أبعاده والمتغيرات المؤثرة فيه." ضمن: International Encyclopedia of the Social Sciences (IESS)، تحرير: ديفيد ل. سيلز، المجلد 3، نيويورك: The Macmillan Company and the Free Press، 1968، ص. 220-242.

[2] إبن منظور الإفريقي .لسان العرب، ج. 7، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ص. 64.

[3] إبراهيم مصطفى وآخرون .المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، إستانبول، تركيا، د. ط، د. ق، مج. 1531.

[4] سورة الحاقة، الآية 7.

[5] سورة المائدة، الآية 27.

وبالتالي فهو جزء من الطبيعة البشرية، ويتجلى بأشكال مختلفة عبر التاريخ، سواء في العلاقات الاجتماعية أو السياسية.

أما في اللغة اللاتينية، فإن كلمة كلمة conflit تعني (صدمة) (Choc)، وتستخدم أيضًا للتعبير عن" المقاومة"(Lutte) أو" القتال"(Combat)، وأحيانًا للتعبير عن" الصراع المفتوح "الذي قد يتطور إلى نزاع مسلح[1].

- **الصراع اصطلاحًا: مفهوم الصراع عند بعض المفكرين:** يرى **ابن خلدون** أن الصراع يتجسد في كل الوسائل المستخدمة سواء كانت مشروعة أو غير مشروعة كالمشاجرات والخصومات والمنازعات والحروب. وهو يرى أنه جزء من التنافس بين العشائر الباحثة عن السلطة[2].لأنه قانون لا مفر منه لتطور المجتمعات، حيث أن الدول تنهض وتسقط على أساس ديناميكية الصراع بين القوى المتنافسة. كما يعرّف **ميشيل كروزييه** الصراع بأنه استجابة الفرد أو الجماعة لعدم قدرتها على التكيف مع بيئتها، بسبب الرهانات التي تنطوي عليها طبيعة العمل والعلاقات الاجتماعية، سواء كانت رسمية أو غير رسمية[3].

وفي السياق النفسي، تُعرّف **دائرة المعارف الأمريكية** الصراع بأنه: «**حالة من التوتر النفسي أو الضغط النفسي الناجم عن التعارض أو عدم التو افق بين رغبتين أو أكثر من رغبات أو حاجات الفرد.** »[4]

- **الصراع في الأدب:** يُعد الصراع عنصرًا جوهريًا في بناء الحبكة الدرامية، فهو المادة الأساسية التي تُبنى منها التوتر الذي يحرك الأحداث"[5]".ووفقًا **لمجدي وهبة وكامل المهندس**، فإن الصراع هو «**الصدام بين الشخصيات الذي يؤدي إلى تطور الأحداث. ويمكن أن يكون داخليًا أي داخل الشخصية، أو بين الشخصية وقوى خارجية مثل القدر أو البيئة أو الشخصيات الأخرى التي تحاول فرض إرادتها.** »[6]وبذلك، يتجلى الصراع كأداة رئيسية تمنح العمل الأدبي حيويته، حيث يدفع الشخصيات إلى التغيير ويزيد من تفاعل القارئ مع القصة.

ب. أشكال الصراع

- **الصراع النفسي**

يُعد الصراع تجربة إنسانية معقدة تنشأ عندما يواجه الفرد رغبتين متعارضتين، مما يسبب الحيرة والتردد والقلق، ووفقًا لنادية عاشور فإن «**الصراع النفسي يعكس حالة انفعالية غير سارة تحدث نتيجة تعارض بين دو افع الفرد، مما يؤدي إلى شعوره**

[1] ناصر قاسيمي .سوسيولوجيا المنظمات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2014، ص. 9.

[2] عبد الغني مغربي .التفكير الاجتماعي عند ابن خلدون، ترجمة: محمد الشريف بن دالي. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص. 97.

[3] ناصر قاسيمي .الصراع التنظيمي وفعالية التسيير الإداري، رسالة دكتوراه دولة، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 2004-2005، ص. 9.

[4]The Encyclopedia Americana International Edition. Danbury, Connecticut: Gerolier Incorporated, 1992, p. 537.

[5] يم فتحي .معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، صفاقس، تونس، د. ط، 1986، ص. 222.

[6] مجدي وهبة، كامل المهندس .معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط. 2، 1984، ص. 224.

بالضيق والتوتر»[1]. في الأدب، وخاصة في الرواية، يُستخدم الصراع النفسي لإبراز تعقيدات الشخصيات وجعلها أكثر واقعية. ويتضح ذلك في الحوار الداخلي، حيث تعكس الشخصيات أفكارها المتضاربة ومشاعرها العميقة. وكما يرى أديب الخالدي، فإن **«الصراع النفسي يساهم في رفع الحجاب عن العواطف الداخلية للشخصيات، ويكشف عن جوهرها وما يدور في أعماقها»**[2].هذه التناقضات تجعل الشخصيات أكثر حيوية، وتساعد القارئ على التفاعل معها والتعاطف مع معاناتها.

لا يُضفي الصراع النفسي عمقًا على الشخصيات فحسب، بل هو أيضًا محرك أساسي للأحداث. كلما زاد تعقيده، زادت جاذبية القصة وقوتها، وغالبًا ما تخضع الشخصيات التي تعاني من صراعات داخلية لتحولات كبيرة، مما يجعل الرواية أكثر تشويقًا وواقعية.

- **الصراع الديني**

لعب العامل الديني دورًا أساسيًا في إثارة النزاعات بين الحضارات المختلفة. حيث تنشأ النزاعات الدينية بين أتباع الديانات المختلفة، أو بين الطوائف داخل الدين الواحد، أو حول قضايا دينية ذات أهمية خاصة[3]. ويُعد الاختلاف الديني من أبرز أسباب هذه الصراعات، حيث يؤدي إلى اختلافات في الفكر والسلوك ونمط الحياة، مما يجعله محفزًا للتوتر والصراع. وعلى مرّ التاريخ، كانت هناك حروب وصراعات استُخدم فيها الدين لتبرير العنف، مما أدى إلى تقويض القيم الإنسانية وتحويل الصراعات إلى مواجهات أكثر دموية وأطول أمدًا[4].فأي تهديد للهوية الدينية يشكل تحديًا خطيرًا للجماعة، لأنها الإطار الذي يحفظ ثوابتها المقدسة ويضمن استمرارية معتقداتها. وفي أوقات الحروب والاضطرابات، تصبح الهوية الدينية أكثر أهمية لأنها توفر للأفراد الشعور بالانتماء والمعنى وسط الفوضى[5].

ونظرًا لأهمية هذا الصراع في تشكيل المجتمعات، فقد لعب الأدب، وخاصة الرواية، دورًا بارزًا في تسليط الضوء على تعقيداته ومظاهره المختلفة. وتعكس الروايات الصراع الديني من خلال حبكاتها المعقدة وشخصياتها التي تعاني من توترات بين معتقداتها الدينية والواقع الاجتماعي أو السياسي المحيط بها سواء بين طوائف مختلفة أو داخل الطائفة الواحدة.

---

[1] نادية عيشور .الصراع الاجتماعي بين النظرية والممارسة، دار بهاء الدين، قسنطينة، الجزائر، 2008، ص. 39.

[2] أديب الخالدي .المرجع في الصحة النفسية، نظرة جديدة، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، 2009، ص. 124.

[3] سامية ربيعي. في مفهوم النزاعات الدينية، المجلة الجزائرية للأمن الإنساني، 2016، ص. 117.

[4] أحمد وهبان .الصراعات العرقية واستقرار العالم المعاصر، دراسة في الأقليات والحركة العرقية، دار الجامعة الجديدة للنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، 2004، ص. 166.166

[5] رحيم كاظم ثائر .العولمة والمواطنة والهوية، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، كلية الآداب، جامعة القادسية، بغداد، العراق، ع. 1، مج. 8، 2009، ص.290

- **الصراع الثقافي**

يعد الصراع الثقافي وسيلة رئيسية للتنافس بين الشعوب، فالثقافة هي المصدر الأساسي للهوية وأصل التوتر بين الأمم والمجتمعات. وغالبًا ما يسعى هذا الصراع إلى محو الهوية الأصلية واستبدالها بمفاهيم جديدة تجعلها تابعة لا مستقلة ورائدة. وبالتالي، فإن الهجوم على الهوية الثقافية هو هجوم على جوهرها ذاته. وفي هذا السياق، يقول **أحمد العربي ولد خليفة**: «**الثقافة مهمة كمصدر يغذي الهوية الفردية والجماعية، وبالتالي تصبح الهوية استراتيجية تستخدم في الصراع ونفي الآخر**»[1].

تعكس الرواية هذا الصراع من خلال السرد والحوار، حيث يبرز التداخل الثقافي وتأثيره على الشخصيات، سواء من خلال الصدام المباشر أو التفاعل التدريجي بين الثقافات المختلفة. وهكذا يصبح الصراع الثقافي عنصرًا ديناميكيًا يثري الحبكة ويعمق التحليل النفسي والاجتماعي للشخصيات.

- **الصراع الاجتماعي**

يُمثل الصراع الاجتماعي أحد أبرز أشكال السرد في الرواية، مُبرزًا تفاعل الشخصيات في بيئة تتضارب فيها المصالح والأفكار والتقاليد. يعكس هذا الصراع ارتباط الكاتب بمجتمعه وتأثيره في الأحداث من حوله، مما يمنحه القدرة على التعبير عن هموم المجتمع وتحولاته، ومشاركة الآخرين آلامهم وآمالهم، والتأثر حتمًا بالأحداث التي تدور حوله على مسرح الحياة.[2] ومن خلال الحبكة وتطور الشخصيات، يستطيع الكاتب تقديم رؤى نقدية تعزز النقاش حول هذه القضايا.

يعرّف قاموس العلوم الاجتماعية الصراع بأنه «**حالة يكتسب فيها موقف ما قيمتين متناقضتين إحداهما إيجابية والأخرى سلبية**»[3]، وهو ما يتجلى بوضوح في الصراعات الاجتماعية داخل المجتمعات المختلفة. ويتجسد هذا الصراع عندما تواجه جماعة اجتماعية ما - سواء كانت قبلية أو عرقًية أو دينًية أو طبقة اجتماعية أو مجموعة اقتصادية - مصالح متضاربة مع جماعات أخرى، مما يؤدي إلى توترات وتناقضات قد تساهم في إعادة تشكيل الواقع الاجتماعي.[4]وفي هذا السياق، يرى عالم الاجتماع **لويس كوسر** (**Lewis Coser**) أن الصراع الاجتماعي يمثل حالة من التنافس أو الصراع بين الأفراد أو الجماعات بسبب تضارب المصالح أو القيم، وهو ما قد يكون دافعًا للتغيير والتطور المستمر[5].

---

[1] أحمد العربي ولد خليفة .المسألة الثقافية، قضايا اللسان والهوية، دار تالة، الأبيار، الجزائر، د. ط. دن، ص. 105.

[2] أحمد موساوي .في أدب نجيب الكيلاني: أبعاد الصراع وامتداداته، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط. 1، 2009، ص. 89.

[3] نادية عيشور .المرجع السابق، ص. 72.

[4] داكرني جيمس .النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، ترجمة كلي عبد الحي، دار واظمة للنشر والتوزيع، الكويت، ط. 1، 1985، ص. 140.

[5] عبد الرحمن خليفة .إيديولوجية الصراع السياسي، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2005، ص. 156.

ثانياً: الفترة الاستدمارية وصراع الهوية في الجزائر [1919-1939]

ترجع جذور أزمة الهوية في الجزائر إلى فترة الاحتلال الفرنسي، وهو تطور لم يكن وليد اللحظة ولم يكن عفويًا. بل كان بالأحرى نتيجة تخطيط دقيق واستكشاف ممنهج، حيث تم إيفاد المستشرقين والرحالة لإجراء دراسات عن المنطقة ووضع استراتيجيات لإخضاعها، وقد قدم هؤلاء الرحالة تقارير مفصلة عن المدن الجزائرية، والتي كانت بمثابة مصدر معلومات قيّم للسلطات الفرنسية أثناء توجيه حملاتها التوسعية. كما أسهمت مساهماتهم الأدبية التي صاغها مستكشفون من جنسيات مختلفة، بما في ذلك شخصيات بارزة مثل نيكولاي، خمينيت ،شو وبفايفر، في رسم صورة الجزائر[1].

بعد نجاح عملية الغزو سنة 1830 وبسط السيطرة تدريجيًا، أدرك الاستدمار الفرنسي أن ديمومته مرهون بفرنسة الأمة الجزائرية. لدى، أشرف على تطبيق هذه السياسة على مختلف القطاعات الحيوية المتعلقة بمقومات الأمة الجزائرية[2]،ولتحقيق ذلك، لجأ الاستعمار إلى استراتيجية أعمق، تقوم على قمع كل أشكال المقاومة من خلال القضاء على الشخصية الجزائرية في نفوس الأفراد، وقد تحقق ذلك من خلال الاستهداف المنهجي لمختلف مكونات الهوية الجزائرية، بما في ذلك جوانبها الثقافية والتاريخية واللغوية والدينية. وعملت هذه العناصر على تعزيز الإحساس بالوحدة والانتماء والهوية الوطنية، وبالتالي تعزيز مفهوم الأمة الموحدة والمتماسكة.[3] استعان الاستعمار الفرنسي أيضًا بحملات دعائية صوّرت الاستيطان الفرنسي على أنه "رسالة تمدن" تهدف إلى تحديث الجزائريين الذين وُصفوا "بالمتخلفين". ومن خلال هذه الادعاءات، حاول المستوطنون إضفاء شرعية على وجودهم، وتصوير استيطانهم كعملية بناء وتطوير، وليس غزو واستغلال.[4]

كان لصدمة الاستعمار تأثيرات عميقة مست مختلف جوانب الحياة السياسية، الاقتصادية، والثقافية، حيث فرض المستعمر سيطرته باعتباره "الآخر" المسيطر[5]. وكان من أبرز أدواته في ترسيخ هذه السيطرة فرض الهيمنة اللغوية والثقافية الفرنسية في التعاملات اليومية. وقد أدى ذلك، على مدى عقود إلى تفجّر إشكالية الهوية الوطنية[6] .فضلًا عن التناقضات والتوجهات الإيديولوجية التي ميزت الفكر السياسي الجزائري خلال تلك الفترة، والتي تجسدت في الصراع حول الهوية الوطنية في الجزائر ما بين الحربين [1919-1939]، لا سيما تلك التي نشأت بين تيار الاندماج، الذي جسده فرحات عباس برؤيته السلبية لتاريخ الجزائر،

---

[1] حافظ صبري" .دور الاستخبارات الفرنسية في احتلال الجزائر"، مجلة الكلمة: أدبية فكرية شهرية، العدد 104، ديسمبر 2015، ص. 61.

[2] بن أزواو فتح الدين" .السياسة الاستعمارية الفرنسية الدينية والثقافية في الجزائر 1830-1954"، مجلة البحوث التاريخية، 2021، المجلد 5، العدد 2، ص. 278.

[3] بشير بلاح .تاريخ الجزائر المعاصر، من 1830 إلى 1989 ,ج. 10، الجزائر: دار المعرفة، 2006، ص. 152.

[4] عبد الملك خلف التميمي. الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي: المغرب العربي، فلسطين، الخليج العربي، دراسة تاريخية مقارنة، عالم المعرفة، 1983، ص. 139.

[5] محمد الكوخي .سؤال الهوية في شمال إفريقيا، إفريقيا الشرق، المغرب، د.ط، 2014، ص. 25.

[6] عبد الغفار رشاد .الرأي العام والتحول الديمقراطي في عصر المعلومات، القاهرة، مكتبة الآداب، 2003، ص. 131.

والحركة الإصلاحية، التي شكّلت رد فعل قويً لإثبات أصالة وعراقة المجتمع الجزائري.[1]

ثالثاً: الصراع السردي في الرواية

يتجلى الصراع داخل بنية النص السردي من خلال التفاعل بين عناصره السردية. ويمكن تعريف الصراع بأنه «**الاحتكاك بين الشخصية ونفسها، بين عواطفها الذاتية أو عقيدتها، أو بينها وبين شخصيات أخرى، وكلما كان الصراع قويًا، كان العمل الروائي أكثر نجاحًا وعمقًا**»[2].فالصراع عنصر أساسي في تطور الشخصيات، لأنه يعكس التجربة الإنسانية بأبعادها المختلفة. ولكي يصل الصراع إلى ذروته لا بد أن تتضمن الرواية شخصية محورية ذات طابع قوي وعنيد، ترفض الحلول الوسط وتسعى إما لتحقيق أهدافها كاملة أو التحطم في سبيلها.[3] وبهذا التصاعد في الصراع، يتطور الحدث الروائي ويأخذ شكله الدرامي المتكامل.

تسعى الرواية إلى كشف النقاب عن الواقع وتعقيداته من خلال الغوص في أعماق النفس البشرية ونقل التوترات والتحديات التي تواجهها الشخصيات. ورغم أن بعض الروايات قد تعكس واقعاً اجتماعياً متوحشاً، إلا أن البعد الإبداعي الذي يوفره الصراع الروائي، من خلال تشابك اللغة والحوار والمكان والعناصر الفنية الأخرى، يعمل على تعزيز مستويات التعبير والإيحاء داخل النص. يعد الصراع في سياق الرواية الجزائرية الفرنكوفونية[4] من أبرز المكونات السردية التي تعكس تعقيدات الواقع الجزائري بكل أبعاده التاريخية والاجتماعية والثقافية. ويظهر الصراع بأشكال متعددة، سواء في العلاقة بين المستعمِر والمستعمَر، أو في التوترات الداخلية للفرد الجزائري نتيجة الصراع بين الهوية والانتماء. وقد تميزت هذه الرواية في ذلك الوقت بتنوع الأساليب السردية. فقد لجأ بعض الكتاب إلى السرد الواقعي الذي صوّر بدقة الحياة اليومية للجزائريين في ظل الاستعمار وأبرز معاناتهم. واستخدم البعض الآخر الأسطورة والرمزية كأدوات سردية للإشارة إلى المعاناة بطرق غير مباشرة، خاصة في مواجهة الرقابة الاستعمارية. وقد أضفى هذا التنوع السردي على الرواية الجزائرية طابعاً ديناميكياً يعكس تعدد الرؤى داخل المجتمع الجزائري آنذاك.[5]

---

[1] موفق زازوي" .الهوية الوطنية في التاريخ بين الاندماجيين والإصلاحيين: فرحات عباس الشاب وعبد الحميد بن باديس نموذجان"، الفكر المتوسطي، مجلة فصلية علمية محكمة، مخبر حوار الديانات والحضارات في حوض البحر المتوسط، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، عدد 26، ص. 93.

[2] عزيزة مريدن .القصة والرواية، دار الفكر، دمشق، سوريا، د.ط، 1980، ص. 28.

[3] علي أحمد باكثير .فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية، دار المعرفة، القاهرة، مصر، ط. 1984، ص. 56.

[4] مصطلح الفرنكوفونية La Francophonie باللغة الفرنسية، يرجع إلى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي 1880م فقد وضعه عالم الجغرافيا المصطلح الفرنسي: (أونزيم ركلو Onesime Reclus وذلك للدلالة على الدول التي تستعمل اللغة الفرنسية ثقافة أو تبعية استعمارية ومع مرور الوقت ارتبطت هذه الصفة بمجموع المستعمرات الفرنسية القديمة الناطقة كلياً أو جزئياً باللغة الفرنسية سواء في إفريقيا أو جزء من الشرق أوسط وغيرها من البؤر الخاضعة للنفوذ الكولونيالي الفرنسي، من بداية القرن العشرين. وقد تطورت الفرنكوفونية كنزعة قومية وأيديولوجية مهيمنة إلى الفرنكوفونية كمؤسسة دولية مهيكلة تضم عددا كبيرا من الدول، ومنها بعض الدول العربية والإسلامية. ينظر بد الحكيم كشاد، الفرانكفونية وظاهرة أدب الرواية العربية 2020.

[5] رشيد بن مالك .الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية: دراسة في الخطاب والسرد، دار القصبة، الجزائر، 2005.

II. المبحث الثاني: العودة إلى الجذور: المفهوم والدلالة الأدبية

1. المطلب الأول: الفهم الأدبي للعودة إلى الجذور

يُنظر إلى العودة إلى الجذور في الأدب على أنها استرجاع للماضي الثقافي والفكري بهدف بناء الهوية واستعادة القيم التي ضاعت أو هُمّشت بسبب التغيرات المعاصرة. وتكتسب هذه العودة في سياق الأدب طابعًا مميزًا، حيث تعتبر بمثابة إحياء للتراث الشعبي والثقافي في مواجهة التأثيرات الأجنبية، لا سيما خلال الفترة الكولونيالية وما بعدها. وتعتبر هذه العملية بمثابة وسيلة للمقاومة الثقافية وتعزيز مشاعر الانتماء.

أولًا: المفهوم اللغوي والاصطلاحي

لفظة العودة مشتقة من الجذر العربي "عَود"، معنى العودة بعد فترة من الغياب أو الهجرة، كما ورد في المعاجم العربية. ووفقًا لما جاء في معجم لسان العرب **لابن منظور**" :عادَ يعودُ عَوْدًا وعَوْدَةً وعِيادًا: رجع"، أما **الجوهري** في **الصحاح** فيقول" :عاد إليه يعود عودة وعودًا: رجع، ومنه المثل العربي: العود أحمد"[1] ، وهو تعبير يدل على أن الرجوع بعد الابتعاد يكون أكثر فائدة أو خيرًا. وجاء في القاموس المحيط **للفيروزآبادي**:" العَوْدُ: الرُّجوعُ إلى الشيءِ بعد التَّرْكِ"[2].

كما ورد لفظ" الرجوع "في القرآن الكريم في سياق إعادة الخلق، حيث يقول الله تعالى :﴿**وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ**﴾[3]، في إشارة إلى العودة إلى الحالة الأولى بعد الانفصال أو الفناء.

أما الجذور فهي صيغة جمع" جذر "وتعرف بأنها الأصل أو الأساس الذي ينبثق منه الشيء، سواء في اللغة أو الفكر أو الثقافة أو الهوية. ويشير المصطلح إلى أسس التراث والحضارات. ويُستعمل المصطلح في اللغة العربية، يُقال:" جَذَرَ الشيءَ يَجْذِرُه جَذْراً: أصَّلَه: وأصل كل شيء: جذر كل شيء: أصل كل شيء". وَيَزِيدُ ابْنُ سِيدَهْ تَفْصِيلًا: جذر كل شيء أصله،[4]." ما يدلّ على أن الجذر هو أساس النمو والاستمرار.

اصطلاحيًا تشير عبارة "العودة إلى الجذور" «سعي الأفراد أو المجتمعات لاستعادة هويتهم الأصلية وتراثهم الثقافي والتاريخي بعد فترات من الاغتراب أو صراع الهوية. وتتميز هذه العملية بإحياء اللغة الأصلية، واستعادة العادات والتقاليد، واستعادة التاريخ الوطني في مواجهة الهيمنة الثقافية الأجنبية. ويعد هذا المفهوم استجابة لصراعات الهوية التي يواجهها الأفراد والمجتمعات نتيجة

---

[1] ابن منظور - أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري .لسان العرب، دار المعارف، بيروت، لبنان، الجزء 3، ص 329.

[2] الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب .القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ص 310.

[3] سورة الروم، الآية 27.

[4] ابن منظور، المصدر السابق، ص 103.

للتغيرات السريعة أو التأثيرات الخارجية.

ويشكل مفهوم" العودة إلى الجذور "عنصرًا محوريًا في مسعى **حسن حنفي** الفكري، الذي يرتكز على إعادة قراءة دقيقة للتراث العربي الإسلامي من وجهة نظر متجددة. ويتجاوز هذا المسعى مجرد استرجاع الماضي، بل هو بمثابة حافز لإعادة بناء الهوية الحضارية للأمة. يؤكد **حنفي** في مؤلفاته المهمة، مثل" التراث والتجديد "و"من الإيمان إلى الثورة"، على فكرة أن الهوية العربية الإسلامية تستمد ثباتها من تراثها الحضاري. ويؤكد أن العودة إلى هذا التراث ضرورة حتمية لمواجهة التبعية الفكرية والثقافية. وكما عبّر عن ذلك بقوله: «**العودة إلى المنبع وتأكيد الهوية الحضارية من أجل رفض كل التحديات الثقافية التي تُفرض باسم الغرب أو الشرق.** »[1]

ثانياً: دو افع العودة إلى الجذور

أ. الأزمة الهوياتية

تميز الاستدمار في المغرب العربي، بخلاف نظيره في المشرق، باستهداف مباشر للهوية ومكوناتها. فقد سعى المشروع الاستدماري إلى تفكيك النسيج الاجتماعي وتحييد البنى التقليدية التي كانت تدعم التماسك الاجتماعي وخلق انقسامات داخل المجتمعات، الأمر الذي أدى لاحقًا إلى تصدعات عميقة على مستوى البنية الهوياتية[2]. كما هو الحال في الجزائر، فقبل الاحتلال الفرنسي كانت هوية الشعب الجزائري تتسم بخصوصيات ثقافية فريدة يسودها الانسجام والتكامل، وتعكس رصيدًا ثقافيًا مشتركًا يجمع مكونات الأمة. إلا أن الاحتلال الفرنسي للجزائر، من خلال سياساته الاستدمارية، استهدف الهوية الوطنية ومقومات الشخصية الجزائرية، بما في ذلك الدين واللغة والثقافة والتاريخ[3]، بهدف إضعافها وتشويهها وصولًا إلى القضاء عليها لأن استمرارها يعني بقاء الوعي القومي والمقاومة، وهو ما لم يكن يضمنه الاحتلال العسكري وحده، وقد تجسدت هذه السياسات في محاولات الفرنسة والتنصير والاستيعاب القسري، مما كان له آثار عميقة على الثقافة الوطنية وأحدث شرخًا في الأمن الهوياتي.

أمام هذا الواقع، برزت الحاجة الملحةإلى العودة إلى الجذور الثقافية والتاريخية لتعزيز الأمن الهوياتي، فلم تعد مسألة استعادة الهوية الجزائرية مجرّد حنين إلى الماضي فحسب، بل كخطوة لبناء مستقبل يحترم الخصوصيات ويواجه آثار الإرث الاستعماري[4].

---

[1] حسن حنفي .الدين والثورة في مصر، مكتبة مدبولي، مصر، الجزء 3، 2007، ص 168.

[2] حامي حسان" .الأزمة الهوياتية في المجتمع الجزائري بين التنازع الإيديولوجي والتوظيف السياسي"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ,العدد 29، جامعة المسيلة، جوان 2017، ص 55.

[3] Yvonne Turin. Affrontements culturels dans l'Algérie coloniale, Maspéro, Paris, 1971, p. 164.

[4] أحمد وادي" .السياسة الاستعمارية الفرنسية وانعكاساتها على ثقافة المجتمع والأمن الهوياتي في الجزائر"، مجلة الناقد، عدد 2، 2019، ص 291.

ب. البحث عن الانتماء

على مر التاريخ، كانت الأرض عنصرًا أساسيًا في تشكيل الهوية والانتماء. فالوطن عامل مهم يكمّل الهوية الجزائرية[1] وشعور قوي بالمواطنة والانتماء. ونظرًا لأهمية هذا العنصر - الوطن - في تكوين الهوية الوطنية الجزائرية والحفاظ عليها، وقد أدرك الاستعمار الفرنسي ذلك فاتبع سياسة مصادرة الأراضي بهدف فصل الجزائريين عن بيئتهم الطبيعية وإضعاف ارتباطهم بجذورهم. ولم تكن هذه الممارسات مجرد سياسة اقتصادية، بل كانت أداة استراتيجية لضرب الهوية الوطنية وتقويض أسسها. وبحرمانهم من أرضهم، لم يفقد الجزائريون موردهم الاقتصادي فحسب، بل عانوا أيضًا من فقدان رمزي للانتماء، مما أجبرهم على البحث عن أنفسهم من خلال لغتهم ودينهم وتقاليدهم. وفي هذا السياق، يؤكد **فرانس فانون** على الإحساس القوي بنزع الملكية: «**إن القيمة الأكثر أهمية بالنسبة للمقهور هي الأرض، لأنها شيء محسوس، فالأرض تمنح الشعب المستعمر الخبز وتضمن له الكرامة.** »[2]

وفي هذا السياق، يطرح المؤرخ **شارل روبير أجيرون** (**Charles-Robert Ageron**) أطروحته التي يؤكد فيها أن استعادة الجزائريين لأرضهم، رغم تعاقب الاستعمارات، تظل مسلّمة غير قابلة للجدل. ويستشهد بتكرار الجزائريين، عبر التاريخ، لما قاله الهاشميون للقائد الفرنسي **بوجو** (**Bugeaud**) سنة 1841 :«**هذه الأرض هي وطن العرب، أنتم مجرد ضيوف عابرين. حتى لو مكثتم ثلاثمائة سنة، فلا بد أن ترحلوا في يوم من الأيام**».[3] ويؤيد هذا الطرح الجنرال الفرنسي جوليان في قوله: «**إن للجزائريين مشاعر وطنية و اتصال بالأرض وأن هذه الروافد لم تتحول إلى ضمير وطني إلا بعد الاحتلال**»[4]، يعكس هذا التصريح بوضوح فهم الجزائريين العميق لارتباطهم القوي بأرضهم ورفضهم القاطع لأي محاولة لمحو هويتهم.

ج. الإقصاء والتهميش

ثبت أن الإقصاء والتهميش يشكّلان من أبرز الدوافع التي تدفع الأفراد والجماعات إلى العودة إلى أصولهم وهوياتهم الثقافية والتاريخية، كردّ فعل على محاولات محاولات الطمس والإنكار. وقد تبيّن أن إنكار الاعتراف بوجود الفرد داخل المجتمع يولّد مشاعر الاغتراب، يُفضي إلى البحث عن الجذور لتعزيز الانتماء. كما أن النزاعات لها تأثير ضار على التعددية، مما يؤدي إلى فرض هوية واحدة، ما يُفاقم أزمات الهوية. وكما يوضح أحد الباحثين بإيجاز: «الصراع **القائم على فكرة النفي والإقصاء... فكر لا يؤمن**

[1] مولود قاسم نايت بلقاسم. شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830, ج2، دار الأمة، الجزائر، ط2، 2007، ص 266.

[2] عايدة أديب بامية .تطور الأدب القصصي الجزائري , (1967–1925) ترجمة محمد صقر، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 11.

[3] Mohammedi-Tabti Bouba. La société Algérienne avant l'indépendance dans la littérature : lecture de quelques romans, Office des Publications Universitaires, 1986, p. 24

[4] أبو القاسم سعد الله .الحركة الوطنية الجزائرية 1900–1930 ,دار العرب، بيروت، لبنان، ج2، ط4، 1992، ص 71.

بالجوار أو الحوار أو المشاركة، ويرى ذاته المتفخمة تحتل المشهد الكوني بأكمله»[1].

يتسم تهميش السكان الأصليين بتفاوتات مادية واجتماعية، حيث يُحرم السكان الجزائريون من الحقوق الأساسية بينما يتمتع المستعمر بنمط حياة مترف. ويظهر هذا التناقض جليًا في المجال الحضري، حيث تتميز المدينة المستعمرة ببنية تحتية متطورة بينما تظل مدينة السكان الأصليين فقيرة ومهملة. و قد تناول فرانز فانون هذا التباين في كتابه "معذبو الأرض "، حيث يصف مدينة المستعمِر بأنها «**مدينة صلبة مبنية بالحجر والحديد، أنوارها ساطعة، شوارعها معبدة، وصناديق قمامتها تحمل نفايات لم يعرفها الآخرون يومًا، ولا حلموا بها».**[2] وعلى النقيض، فإن مدينة السكان الأصليين، التي وُصفت في الأدبيات الكولونيالية بأنها "مدينة الأهالي" أو "مكان سيئ السمعة "تعاني من الإهمال والتهميش، وتفتقر إلى أبسط مقومات العيش الكريم، مما يعكس النظرة الاستدمارية الدونية تجاه السكان المحليين ومحاولات تكريس تخلفهم.ويختزل أحد الباحثين الفرنسيين هذا الواقع حين يقول: « **بين فرنسا والجزائر ألف كيلومتر فقط من مياه البحر، لكن بين الأحياء الأوروبية في المدينة وأحياء 'السكان الأصليين' مسافة فلكية خلقها الاستعمار**»[3].

ثالثاً: العودة إلى الجذور كحركة مقاومة ثقافية ضد الاستعمار

مثّلت العودة إلى الجذور في الرواية الجزائرية الفرنكوفونية خلال فترة ما بين الحربين العالميتين [1919-1939] شكلاً من أشكال المقاومة الثقافية، إذ أصبحت الرواية فضاءً لمفاوضة الواقع الاستعماري وفضح ممارساته. إذ استخدم الكُتّاب الجزائريون الرواية كأداة لتحليل المجتمع، معتمدين على اللغة الفرنسية لإعادة تعريف علاقتهم بالمستعمر. وكشفت هذه الروايات، بشكل غير مباشر، عن أزمة الهوية الجزائرية في ظل الحكم الاستدماري، حيث سعى الكُتّاب إلى تأكيد وجودهم في فضاء ثقافي فرضه المستدمر[4].

ساهمت الرواية الجزائرية في فتح نقاش واسع حول الهوية والعلاقة مع المستدمر، متجاوزةً مجرد التفاوض لتصبح أداةً للمقاومة الثقافية الخفية .ورغم محاولات التيار الجزائرياني احتكار مفهوم "الهوية الجزائرية"، إلا أن الكُتّاب تمكنوا تدريجياً من تطوير خطاب أدبي مستقل، مهد الطريق لظهور أدب مقاومة عبّر بوضوح عن رفض الاستعمار، وساهم في تشكيل وعي وطني أكثر نضجاً.[5] في هذا السياق، يُشير الحاج دحمان إلى أن الرواية الجزائرية الفرنكوفونية، رغم كونها أُنتجت في ظل الحكم الاستدماري وتأثرها

[1] عطية الويشي .الصراع في الفكر العربي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2007، ص 7.

[2] فرانز فانون .معذبو الأرض، المؤسسة الوطنية للفنون الطبيعية (موف للنشر)، الجزائر، 1990، ص 5.

[3] Mohammedi-Tabti Bouba. Ibid, p. 241.

[4] Khelouz, Nacer. Le roman Algérien de l'entre-deux-guerres à l'épreuve du politique, en lisant Robert Randau et Abdelkader Hadj Hamou, 2007, p. 286, Thèse de doctorat, University of Pittsburgh.

[5] Khelouz Nacer. "Les écrivains algérianistes et arabo-berbères face à la France coloniale ", The French Review, vol. 85, no. 1, 2011, p. 141.

بالاستشراق، اتسمت منذ البداية بطابع احتجاجي. لم يكن الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية تعبيرًا جماليًا فحسب، بل كان أيضًا وسيلة احتجاج على الاستدمار، منتقلًا من النقد الضمني إلى تأكيد صريح للهوية الوطنية. ومع مرور الوقت أصبح هذا الأدب أكثر صراحةً في رفضه للاستدمار، مساهمًا في نمو الوعي الوطني. وأرسى هذا التحول التدريجي أسس أدب جزائري فرنكوفوني عبّر عن الهوية الوطنية وقاوم الاغتراب الثقافي، ممهدًا الطريق لظهور أدب أكثر التزامًا في العقود التالية.[1]

[1] Chikh Talbi. "Le roman algérien d'expression française des années vingt " : Une écriture romanesque face à l'assimilation, Résultats du savoir, vol. 4, no. 1, 2019, pp. 384–406

2. المطلب الثاني: دلالة العودة إلى الجذور في الرواية الجزائرية الفرنكوفونية خلال فترة ما بين الحربين العالميتين [1919-1939]

تدل العودة إلى الجذور الجزائرية في الروايات الفرنكوفونية على ظاهرة أدبية وثقافية تتسم ببعد مقاوم يعكس سعي الكتاب إلى تأكيد هويتهم في مواجهة التغريب والاستدمار الثقافي، فالأدب الفرانكفوني لم يكن وسيلة للتعبير فحسب، بل كان أداة لاستعادة الذات والتشبث بالهوية الوطنية رغم الكتابة بلغة المستدمر. وفي هذا السياق، يمكن تعريف الاحتجاج الثقافي بوصفه فعلًا تواصليًا وليس مجرد تعبير جمالي أو فكري. ويرجع ذلك إلى حقيقة أنه مفروض بفعل عوامل سياسية واجتماعية واقتصادية متداخلة. لذلك يمكن اعتبار الرواية وسيلة للتعبير غير المباشر من خلال شخصيات وأحداث ذات دلالات رمزية. تتناول الرواية هذه القضايا ضمن حبكة روائية، على عكس المقالات النقدية أو النصوص الفكرية المباشرة. ولم تكن هذه التقنية مجرد خيار أدبي، بل كانت استجابة استراتيجية للقيود الاستدمارية، مما دفع الكتّاب إلى اعتماد الرمزية التي مكنتهم من التحايل على الرقابة وتجنب القمع[1].

أولًا: الرمز والتأويل: قراءة في العنوان والمكان ودلالة العودة إلى الجذور

في سياق التحليل الأدبي، تم توظيف النمط الرمزي في التأويل في عدد من النصوص، أبرزها نصوص شكري خوجة ومحمد ولد الشيخ. في هذه الأعمال يبرز الرمز في هذه النصوص، وكما يؤكد **بول ريكور (Paul Ricoeur)** فإنه يمتلك" فائضًا من المعنى". ويعمل هذا الفائض الذي يبقى بعد التفسير الحرفي على توجيه التحليل نحو آفاق تأويلية أوسع. بهذا المعنى، يعمل الرمز كمحفز يسمح باستكشاف جوهر التمثيل والغرض منه[2].

أ. رمزية العنوان

يعتبر العنوان محورياً في تفكيك النص وتأويله، إذ يشكل العنصر الأهم في الخطاب السردي. فهو يحدّد هوية النص، وتدور حوله الدلالات وتتعلق به، فهو أشبه برأس الجسد بالمعنى المجازي.[3] ويشدد **إيكو** على أهمية العنوان في العملية التأويلية، ويعتبره" المفتاح الأول للتأويل". فالقارئ، وفقًا له، يستوعب العنوان قبل البدء في القراءة، مما يثير فضوله ويدفعه إلى الخوض في أعماق العمل الأدبي. فالعنوان لا يعمل كمدخل إلى النص فحسب، بل هو بمثابة توجيه للقارئ، وتحفيزه على البحث عن معانيه ومضامينه[4].

لا تعمل العناوين في الرواية الجزائرية كمداخل للسرد الروائي فحسب، بل كوسيلة للتعبير عن الرمزية الثقافية وبعث الهوية

---

[1] Hadj Dahmane. "Naissance de la communication culturelle d'expression française en Algérie ", Ibid, pp. 19–34

[2] بول ريكور .نظرية التأويل: الخطاب وفائض المعنى، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط9، 2006، ص 97.

[3] خليل موسى. قراءة في شعرية النص الرومانسي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2000، ص 16.

[4] صديق نور الدين .البداية في النص الأدبي، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 1994، ص 70.

الاجتماعية والنفسية، تماشيا مع السياقات التي كتب فيها الأدب الجزائري، خاصة خلال فترة ما بين الحربين العالميتين. فعدد كبير من الروايات الجزائرية الفرنكوفونية التي ظهرت خلال هذه الفترة تحمل عناوين تحمل أسماء علم مثل أحمد وزهرة ومأمون ومريم وغيرها، وهي عناوين مشبعة بدلالات ثقافية واجتماعية عميقة، وبالتالي تشكل مكوناً أساسياً من مكونات الهوية الروائية. وتعكس هذه العناوين كذلك تطلع الكتاب إلى تجسيد هويتهم الثقافية والاجتماعية في سياق ديناميات معقدة من الهيمنة والتشويه، وبالتالي فهي بمثابة قناة لفهم الطبيعة المتعددة الأوجه لتلك الهوية في إطار الاحتلال الفرنسي[1]. ويبدو هذا التقارب الشديد في اختيار العناوين لدى الروائيين بمثابة تأكيد قوي على انتمائهم ووسيلة للكشف عن هوياتهم الاجتماعية في مواجهة محاولات طمسها وتهميشها.

تحيل الرمزية الثقافية في العناوين القارئ إلى أبعاد تاريخية وجغرافية، وتقدم صورة للانتماء الوطني والهوية الثقافية، فاسم مريم مثلاً يرتبط بالنخيل والصحراء، بينما يستحضر اسم مصطفى تاريخ الإسلام، وهذه الأسماء أكثر من مجرد أسماء، فهي تحمل رموزاً ثقافية تحيل إلى سياقات تاريخية واجتماعية محددة. ففي رواية شكري خوجة على سبيل المثال، يحمل اسم" العلج "دلالات قوية على الشدة، وقد يرمز إلى شخصيات تعاني من أزمة هوية أو خيانة وندم، ويعكس انتقال الشخصيات من مكان إلى آخر في سياق الاحتلال. وهكذا، يمكن القول إن الألقاب في الرواية الجزائرية تصبح أكثر من مجرد أسماء، بل هي مفاتيح لفهم أعمق للواقع الاجتماعي والسياسي الذي ولدت فيه[2].

ب. رمزية المكان

لطالما اعتُرف بالمكان كعنصر محوري في تشكيل حياة الناس، حيث يعمل على ترسيخ إحساسهم بكيانهم وتعزيز هويتهم. فبدلاً من كونه مجرد حيز جغرافي، فهو عامل حاسم في تحديد السلوكيات والتصورات، نظرًا لارتباطه العميق بإحساس الأفراد بذواتهم، ومن منظور هندسي، يُعرّف المكان بأبعاده الطوبوغرافية التي تحكمها القياسات والأحجام.[3]، لكن من وجهة نظر ثقافية ونفسية، يتجاوز المكان هذه الحدود ليصبح جزءًا لا يتجزأ من الذاكرة والهوية الفردية والجماعية. خاصةً عندما يكون الكاتب الجزائري مرتبطًا بالمكان الذي يكتب عنه وبالناس الذين يعيشون فيه[4]. لا يقتصر دور المكان في الروايات الجزائرية الفرنكوفونية خلال فترة ما بين الحربين العالميتين على مجرد إطار جغرافي للأحداث، بل يمتد ليحمل دلالات ثقافية تعزز الهوية الوطنية وترسخ الانتماء،

[1] عزيز نعمان ." التمثيل الثقافي في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية لمرحلة ما بين الحربين" ، الخطاب، 2024، ص 101–117.

[2] المرجع نفسه، ص 95، ص 101–118.

[3] حمادة تركي زعيتر .جماليات المكان في الشعر العباسي، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2013، ص 29.

[4] محمود قاسم .الأدب العربي المكتوب بالفرنسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د.ط، 1996، ص 13–14.

ففي رواية" مريم بين النخيل "توظف الواحة كرمز لعالم عربي أصيل. وفي رواية" العلج، أسير البرابرة"، يرمز البحر الأبيض المتوسط إلى الهوية الجزائرية العابرة للحدود، مستحضرًا ماضي الجزائر كقوة بحرية مؤثرة. يتجاور تصوير القرى والمساجد كفضاءات تجسد روح الجزائر القديمة مع تصوير المدن المستدمرة كرموز للهيمنة الأجنبية ومحاولة محو الهوية الأصلية، وتعكس الرواية الجزائرية بوضوح هذا الانقسام، حيث يتم استحضار الفضاء الجزائري - الصحراء والواحات والقرى - كمسرح أساسي للأحداث، مقابل المدن المستدمرة التي تجسد النفوذ الأجنبي وتعمل هذه الأداة الأدبية على تأكيد فكرة العودة إلى الجذور وما يترتب على ذلك من تعزيز الارتباط بالأرض.

ثانياً: توظيف الشخصيات والأحداث في استعادة الهوية الجزائرية

لقد كان مفهوم الشخصية موضوع اهتمام منذ عهد **أرسطو**، عندما ارتبطت الشخصية بالحدث، والحدث بالشخصية. وأصبحت الأحداث هي العامل المتحكم في تشكيل ملامح الشخصيات وإعطائها أبعادها الضرورية والمحتملة[1].وقد شهدت الرواية الجزائرية الفرنكوفونية خلال فترة ما بين الحربين العالميتين تطوراً ملحوظاً، حيث كانت الرواية الجزائرية وسيلة للتعبير عن أزمة الهوية التي عاشها الجزائريون في ظل الاستعمار الفرنسي. ورغم أن بعض الروايات الجزائرية في تلك الفترة بدت وكأنها تعكس الأيديولوجية الاستعمارية، إلا أن الفحص الدقيق يكشف عن وجود مقاومة ثقافية خفية. كما تقدم هذه النصوص، في تعبيرها الخفي عن المقاومة الثقافية، انعكاسًا مؤثرًا للصراع الداخلي الذي تعيشه الشخصيات العالقة بين ثقافتين متضاربتين، في محاولة للتكيف مع المعايير الثقافية الفرنسية المفروضة وفي الوقت نفسه السعي للحفاظ على جذورها الجزائرية.

في هذا السياق، تقدم رواية" مريم بين النخيل "لمحمد ولد الشيخ نظرة ثاقبة لهذا الصراع، حيث تعاني بطلة الرواية مريم من شعور بالاغتراب بين ثقافتين: الثقافة الفرنسية التي نشأت فيها والهوية الجزائرية التي تحاول إعادة التواصل معها. وهكذا يتكشف السرد في الرواية كاستكشاف متعدد الأوجه للهوية الثقافية، مسلطًا الضوء على التحديات والتعقيدات التي ينطوي عليها التنقل بين هويتين ثقافيتين مختلفتين. ومع تقدم السرد، تجد مريم خلاصها في التمسك بلغتها وثقافتها الأصلية، مما يشير إلى أن العودة إلى الجذور ليست مجرد خيار، بل ضرورة حتمية لمواجهة الطمس الثقافي. كما يتجلى هذا الصراع أيضًا في رواية" مأمون مشروع مثل أعلى "لشكري خوجة، حيث يجسد بطل الرواية النموذج الجزائري الذي يحاول الاندماج في الحضارة الفرنسية لكنه يصطدم بحقيقة أن المجتمع الفرنسي لا يقبله كجزء منه. ويعكس هذا السيناريو استحالة الاندماج الكامل في النظام الاستعماري، مما

[1] حسن بحراوي .بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 1، 1990، ص 208.

يدفع الشخصية إلى إعادة تقييم انتمائه الأصلي. يتخذ الصراع شكلًا أكثر تعقيدًا في رواية" أحمد بن مصطفى القومي "لمحمد بن شريف، حيث يجسد بطل الرواية نموذج الجزائري في الجيش الفرنسي، ويتأرجح بين ولائه للدولة الاستدمارية ووطنه. غير أن إدراكه في النهاية أنه أداة في يد المستدمر يقوده إلى رفض هذا الدور والعودة إلى انتمائه الأصلي، مما يؤكد استحالة التماهي مع السلطة المحتلة. وفي رواية" زهرة زوجة المنجمي "لعبد القادر حاج حمو، تصل شخصية" ملياني إلى مرحلة من الضياع والتوهان، حيث يصبح الانفصال عن الهوية شبه كامل. غير أن السرد يصل إلى ذروته في محاولة استعادة ما ضاع من خلال التشبث بآخر رموز الانتماء، في مسعى يائس لتجنب الضياع التام.

تتشابك الشخصيات بشكل معقد مع الأحداث التاريخية والرمزية التي تلمح إلى المقاومة، مما يعزز فكرة أن العودة إلى الجذور ليست مجرد خيار فردي، بل هي استجابة طبيعية لمقاومة الاستعمار[1]. وفي هذا السياق، يقول **عزيز نعمان** :«**لا تعايش بين الشعوب على حساب الدين والثقافة، وإن كان ذلك ممكنًا في الظروف الطبيعية، فكيف يكون الحال في ظل الاستعمار والاستيطان والاستدمار؟ التي تعمّق الهوة بين الجلاد وضحيته بل إن هذه الظروف تجعل التقارب والالتقاء، على أي صعيد كان، أمرًا غير مرغوب فيه مبدئيًا لدى الطرفين**. »[2]

ثالثاً: التقنيات السردية المستخدمة لإبراز العودة إلى الجذور

لم يكن الأدب الجزائري مجرد إنتاج ثقافي، بل تحول إلى ساحة نضال رمزي، يحمل على عاتقه مسؤولية إعادة بناء الذاكرة الوطنية وترسيخ الهوية الجزائرية في وجه سياسات المحو الاستدمارية. ومن أبرز هذه التقنيات السردية:

أ. الاسترجاع الزمني(Flashback)

يُستخدم الاسترجاع الزمني لإعادة النظر في الماضي، حيث يتم إبعاد التطور الزمني عن اللحظة الحاضرة لتسهيل استرجاع الذكريات والأحداث الماضية. ووفقًا **لإبراهيم خليل**، فإن هذه التقنية تساهم في ربط الحدث الحالي بما حدث في الماضي، مما يتيح للقارئ فهم أعمق للأحداث وتوضيح تأثيراتها على الحاضر[3].ففي الرواية الجزائرية الفرنكوفونية، لا يقتصر دور الاسترجاع على البعد الفني، بل يتم توظيفه كأداة لإحياء الهوية الثقافية وإعادة قراءة التاريخ في سياق مقاومة الطمس الاستدماري. وفي هذا الصدد، يعمل السرد كوسيلة للحفاظ على الذاكرة الجماعية، حيث تسترجع الشخصيات جذورها وتستحضر الأحداث التاريخية

[1] Chikh Talbi. Ibid, p. 384-406.

[2] عزيز نعمان. المرجع السابق، ص 101-103

[3] إبراهيم خليل .بنية النص الروائي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، 2010، ص 104.

لمواجهة محاولات الطمس الثقافي. ويستخدم الاسترجاع الزمني كوسيلة أدبية لإبراز العلاقة الجدلية بين الماضي والحاضر، وبالتالي تعزيز الوعي التاريخي وتسهيل إعادة تشكيل الوعي الجماعي.

تتجلى هذه التقنية في العديد من الروايات الجزائرية الفرنكوفونية، ففي رواية" العلج أسير البرابرة"، تمت هيكلة السرد لإبراز الدور التاريخي للجزائر كقوة بحرية، وإجراء مقارنة بين مجدها السابق وفترة الاستدمار الفرنسي، كما أن الكشف عن التحولات التي فرضها الاحتلال. في رواية" مريم بين النخيل"، يتم باستخدام فلاش باك زواج خديجة من النقيب ديبوسي لتوضيح جذور التوترات الحالية. وبالمثل، تستكشف رواية" أحمد بن مصطفى القومي" دور الجزائريين في الحرب العالمية الأولى، وتدحض المزاعم الاستدمارية التي اختزلتهم في دور التابعين وتؤكد على دورهم في صناعة تاريخهم الخاص. ولا يقتصر التواتر الزمني في هذه الأعمال على الذكريات الشخصية، بل يمتد إلى الذاكرة التاريخية الجماعية، مما يضفي على الروايات بعدًا توثيقيًا يعزز مصداقيتها. ويتجلى نضال المقاومة الشعبية، كما يظهر في رواية" العلج أسير البرابرة "التي تصور الجزائر العثمانية كدولة ذات سيادة وتاريخ مستقل.

ب. التناص(Intertextuality)

يُعدّ مفهوم التناص الذي طورته **جوليا كريستيفا** أحد أهم المفاهيم النقدية الحديثة. ويطرح هذا المفهوم بوصفه تفاعلاً بين النصوص، وأيضاً بوصفه عملية تشرب وتحويل لنصوص أخرى. ووفقًا لها، فإن النص ليس كيانًا مغلقًا، بل يظل منفتحًا على النصوص السابقة ومتأثرًا بالسياقات الاجتماعية والثقافية المختلفة[1]. وبالتالي، فإن القارئ يضطلع بدور محوري في فك هذا التفاعل، وبالتالي يضفي على النص أبعادًا متعددة من المعنى.

في سياق الرواية الجزائرية الفرنكوفونية ما بين الحربين العالميتين [1919-1939]، يتخذ التناص طابعًا يتجاوز كونه تقنية أدبية لتتحول إلى حيلة ثقافية موجهة نحو مواجهة طمس الهوية وتعزيز الذاكرة الجماعية. فهي ليست مجرد عنصر تزييني، بل هي أداة لاستعادة الهوية. حيث يدمج الكُتّاب مجموعة متنوعة من النصوص، بما في ذلك المصادر الدينية والتاريخية والأدبية ضمن النص الفرنسي بهدف تعزيز ارتباطه بالتراث الوطني. إن هذا التفاعل الديناميكي بين اللغة الفرنسية والمحتوى الجزائري له دور فعال في إعادة تشكيل النصوص الاستدمارية من منظور محلي، وبالتالي تفكيك الخطاب الاستدماري من داخله وإعادة صياغته وفق رؤية مستقلة.

[1] عبد الله الغذامي .الخطيئة والتكفير: من البنيوية إلى التشريحية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة، 1998، ص 298.

فعلى سبيل المثال، تُقدّم رواية "أحمد بن مصطفى" تفاعلاً مع الأدب العسكري الفرنسي من خلال شخصية "القومي"، لكن في الوقت نفسه تحمل الشخصية دلالات مزدوجة تفضح آليات التجنيد والولاء القسري، وتكشف عن توتر الهوية التي يعيشها الجزائري في ظل الاستدمار. كما يقدم النص جانبًا من التراث اللامادي لمنطقة أولاد نايل، حيث يظل الرقص الشعبي شاهدًا على هوية المكان، يقاوم الاندثار رغم مغريات الحداثة التي ادّعى المحتل إدخالها في مطلع القرن العشرين، مما يعكس ارتباط الجزائريين العميق بثقافتهم وهويتهم[1] . هذا الارتباط يعزز فكرة أن الجزائر ليست جزءًا من الإرث الفرنسي، بل لها جذورها العميقة في تاريخها وثقافتها.

تستحضر رواية" زهرة زوجة المنجمي "لعبد القادر حاج حمو، زهرة زوجة المنجم، توازيًا واضحًا مع الأدب الواقعي، مع دمج عناصر من الثقافة الشعبية الجزائرية، مثل الأسماء والمفردات المحلية، لإعادة تشكيل الهوية داخل اللغة الفرنسية نفسها. أما شكري خوجة في روايته" مأمون مشروع مثل أعلى "فيستلهم نصوصاً فلسفية ودينية من التراث الإسلامي، مستلهماً قيم الإصلاح والنهضة من شخصيات مثل مأمون أو من فكر رواد الإصلاح المسلمين، مما يعطي للرواية بعداً أخلاقياً وتاريخياً متجذراً في التقاليد الجزائرية. في روايته "مريم بين النخيل"، يستحضر محمد ولد الشيخ صورة "مريم"، ذات الثقل الديني العميق في الإسلام والمسيحية، ويربطها بالنخلة، رمز الجذور والانتماء، مُنشئًا نصًا رمزيًا يُعزز حضور الهوية المحلية ضمن قالب لغوي فرنسي .وبالمثل، نجد في رواية "العلج، أسير البرابرة" نصًا تاريخيًا يُعيد النظر في سرديات القرصنة "البربرية"، التي كانت موضوعًا رئيسيًا في الأدب الأوروبي، والتي يُعيد الكاتب الجزائري توظيفها بسخرية.

ج. الإثنية (Ethnicity)

تعدّ الإثنية سمة بارزة في الروايات الجزائرية الفرنكوفونية، متجاوزة دورها كمجرد عنصر سردي لتصبح استراتيجية نصية تعكس الهوية الثقافية الجزائرية في مواجهة الاستدمار. وقد مكّن هذا النهج الكتّاب من استعادة الخطاب الثقافي المصادر وتوطين نصوصهم. إن مفهوم **شانتال زابو(Chantal Zabus)** لـ " النص الإثني"في علاقته بالرواية الجزائرية مفهومٌ ثاقبٌ بشكل خاص: فهي تؤكد أنه «**مزروع في الروايات المكتوبة باللغة الأوروبية، من أجل استعادة الخطاب والمناخ الأصلي التقليدي**»[2].

يُنظر إلى النص الإثني باعتباره عنصرًا جوهريًا داخل الرواية، وعاكسًا لمقاصد المؤلف، حيث يبدو "كحجر ثمين أو متأصل كقطعة

[1] عزيز نعمان .المرجع السابق، ص 98-99.

[2] Chantal Zabus. Le palimpseste africain. Indigénisation de la langue dans le roman ouest-africain europhone, traduit par Mathilde Labbé et Raphaëlle Théry en collaboration avec Chantal Zabus et Henry Tourneux, Éditions Karthala, Paris, 2018, p. 195

أثرية"[1]. وبقدر ما تتحدد الرواية بأدبيّتها، فإنها تتحدد أيضًا بعناصرها الثقافية والإثنية، التي تساهم في بناء خطاب مضاد للتمثيل الاستدماري. وقد تم الاعتراف بهذا الخطاب المضاد من قبل بعض الكتّاب في فترة ما بين الحربين العالميتين، وأصبح أكثر وضوحًا في الخمسينيات مع المؤسسين الفعليين للرواية الجزائرية الفرنكوفونية[2]. أمثال مولود فرعون محمد ديب وكاتب ياسين.

يظهر هذا الصراع جليًا في رواية" مريم بين النخيل "لمحمد ولد الشيخ، حيث تتجلى فيها بطلة الرواية ممزقة بين الثقافة الاستدمارية التي نشأت فيها وجذورها الجزائرية. ومع ذلك، فإن تعلقها بالمكان واللغة يعيدها إلى هويتها الأصلية، مما يعكس استحالة طمس الشخصية الجزائرية رغم محاولات الاندماج القسري. وفي رواية" مأمون مشروع مثل أعلى "لشكري خوجة، يبرز النص استحالة الاندماج الكامل في المجتمع الفرنسي، حيث تظل الشخصيات مقيدة بأصلها الثقافي، مما يؤكد على رفض الهوية الجزائرية الاندماج في النظام الاستدماري.

د. الإثنوغرافيا (Ethnography)

يُعنى تخصص الإثنوغرافيا بدراسة الحياة اليومية للمجتمعات في فترة زمنية محددة، ويتناول تفاصيل العادات والقيم والتقاليد والفنون والعناصر الثقافية التي تشكل هوية الجماعة ضمن مفهوم الثقافة.[3]

كانت الرواية الجزائرية الفرنكوفونية، بمثابة وسيط أدبي وشهادة إثنوغرافية توثق التفاعلات الاجتماعية في ظل الاستدمار الفرنسي، وهي الفترة التي بُذلت خلالها جهود لطمس الهوية الجزائرية. وقد وظف الكتاب الجزائريون هذه الوسيلة لترسيخ الهوية الوطنية، حيث قدموا صورة دقيقة للمجتمع الجزائري تبرز خصوصيته الثقافية وعمقه التاريخي. وعلى الرغم من الحيز المادي المشترك بين الجزائريين والمستدمرين، إلا أن عملية الاستيعاب الثقافي كانت بعيدة المنال، حيث حافظت كل مجموعة على هويتها المتميزة، مما أعاق تشكيل كيان ثقافي موحد[4].

وقد تجلّى هذا الطابع الإثنوغرافي في العديد من الروايات، فكان بمثابة تعبير عن المجتمع والقومية في مواجهة القيم الاستعمارية. ففي رواية" مريم بين النخيل "لمحمد ولد الشيخ، يقدم النص تصويرًا حيًا للحياة في الواحات ، حيث تمثل النخلة رمزًا للهوية والاستمرارية الثقافية. كما تقدم الرواية سردًا إثنوغرافيًا شاملًا لطقوس الزواج التقليدية والأغاني الشعبية ودور المرأة في المجتمع

[1] Chantal Zabus. Ibid, p, 216.

[2] عزيز نعمان .المرجع السابق، ص 101-119.

[3] حسين فهيم .أدب الرحلات، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، العدد 138، (يونيو/1989)، ص 14.

[4] بوزيد مولود ."الخصوصية الثقافية في "رواية ابن الفقير" لمولود فرعون"، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها, 2020, المجلد 12, العدد 1, ص 94–99.

المحلي، وبالتالي فهي بمثابة شهادة إثنوغرافية قيّمة توثق أسلوب الحياة في الجنوب[1]. في رواية" مأمون مشروع مثل أعلى "لشكري خوجة، يبرز التناقض بين الحياة الجزائرية التقليدية ونمط الحياة الأوروبية التي فرضها المستعمر، حيث يتجلى الانقسام الثقافي في تفاصيل الطعام واللباس واللغة. مما يجعل الرواية رحلة ثقافية وسردية في آن واحد. إن إدماج العناصر الإثنوغرافية في هذه الروايات يضفي عليها الواقعية ويؤكد انتماءها إلى النسيج الثقافي للمجتمع والأمة. وبالتالي، فهي تقف كشهادات حية، تحافظ على الذاكرة الجماعية وتخلد الهوية الجزائرية للأجيال القادمة.[2]

هـ. التهجين اللغوي(Linguistic hybridity)

يُعرّف التهجين اللغوي بأنه تقاطع الكلمات والتراكيب بين اللغة العامية والفصحى، مع دمج مفردات وصيغ من لغات أجنبية، ويمكن أن يؤثر ذلك على وضوح المعنى ويؤدي إلى إرباك المتلقي[3]. ومع ذلك، يفترض **باختين (Bakhtine)**أن التهجين يمكن أن يكون عنصرًا إيجابيًا يساهم في توليد معانٍ جديدة وإثراء الخطاب[4].

يتجلى التهجين اللغوي في الروايات الجزائرية الفرنكوفونية من خلال إدخال كلمات وعبارات عربية سواء بالفصحى أو بالدارجة إلى النص الفرنسي، مما يعكس الهوية الثقافية الجزائرية. لم يعتمد الكتّاب اللغة الفرنسية بشكلها" النقي" كما هو الحال في فرنسا، بل أعادوا تشكيلها بإضافة عبارات عامية وتعبيرات عربية وأمازيغية وأسماء محلية لأشياء مادية وغير مادية، مما أعطى النصوص طابعاً مميزاً يعكس البيئة الجزائرية[5]. ويؤكد **خلوز** على أن هذا التعديل لم يكن مجرد نزعة أسلوبية بل كان ضرورة إبداعية وسياسية لتأكيد الذات الجزائرية داخل اللغة المفروضة[6].ورغم أن هذه التعديلات تبدو عادية، إلا أنها تحمل رسائل ضمنية مفادها أن الشعب الجزائري كان موجودًا بثقافته ولغته قبل وصول المستدمرين، وبالتالي فهي تناقض الرواية الاستدمارية التي سعت إلى إنكار هذا الوجود. ولقد مكّنت هذه التقنية الكتّاب الجزائريين من إيصال رؤيتهم إلى الجمهور الفرنسي، ودحض الادعاءات الاستدمارية بأن الاستدمار جاء لنقل الحضارة إلى شعوب بلا هوية أو ثقافة[7].

---

[1] سليم بتقه .الأدب الإثنوغرافي في الجزائر المستعمرة، نقلاً عن الموقع https://www.aranthropos.com، أطلع عليه بتاريخ: 19/03/2025.

[2] عزيز نعمان .المرجع السابق، ص 101-119.

[3] بن يشو، جلال .حنو تخطيط لغوي لتهذيب لغة الإعلام في الجزائر، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، (التخطيط اللغوي في الجزائر)، ط. غير محددة، الجزائر، 2011، ص 321..

[4] باختين ميخائيل .الكلمة في الرواية، ترجمة يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 1988، ص 28.

[5] يوبي خالد، طاسيست سيد أحمد. "تجليات الهجنة اللغوية والثقافية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وتعامل المترجم في ضوء نظرية التلقي"، مجلة كراسات الترجمة، المجلد 30، العدد 1، صفحات 148، 2024.

[6] Khelouz Nacer. Ibid, p. 134-137.

[7] Ibid, p,139-140.

III. المبحث الثالث: تاريخ وتطور مفهوم الهوية والعودة إلى الجذور في الرواية الجزائرية الفرنكوفونية في الفترة ما بين الحربين [1919-1939]

1. المطلب الأول: الرواية الجزائرية الفرنكوفونية

نشأت الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية في ظل الاستدمار الفرنسي منذ عام 1830، حيث استخدمها الكُتّاب الجزائريون كأداة لمقاومة الهيمنة الثقافية والتعبير عن الهوية الوطنية. إذ ظهرت قبل نظيرتها المكتوبة بالعربية، وعكست الصراع بين المستعمِر والمستعمَر، لذلك فإن دراسة الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية [1919-1939] تتطلب فهم السياق التاريخي والاجتماعي الذي نشأت فيه وتحليل أبرز أعمالها، مع التركيز على مسألة الهوية الأدبية وعلاقتها بالهوية الوطنية الجزائرية في ظل الاستدمار.

أولًا: واقع الرواية الجزائرية الفرنكوفونية في الفترة ما بين الحربين [1919-1939]

إن الرواية كجنس أدبي هي الأكثر استيعابا لواقع المجتمع ومشاكله والأفضل للتعبير عنها، لأنها انعكاس للواقع الذي يتميز بدوره في ثرائه وتعقيده، كما تهدف إلى تصوير الواقع في مختلف تمثلاته وجوانبه. ولا شك في أن الرواية الجزائرية الفرنكوفونية تدين بوجودها للوضع الاستدماري القمعي. فقد سعت فرنسا منذ احتلالها للجزائر سنة 1830 إلى جعل الجزائر مقاطعة فرنسية، ولتحقيق ذلك كان عليها أن تعمل على محو كل مقومات هذه الأمة ومحو آثارها، بدءا بوضع استراتيجية استدمارية محكمة شملت مختلف جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية[1].

وقد جاءت ولادة الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية في ظروف استثنائية، كما تشير إلى ذلك **أم الخير جبور**: «**وُلد الأدب الجزائري بعيدًا عن المصادفة أو التلقائية، بل كان نتاج عوامل عديدة اجتمعت بفعل الصراع الداخلي والخارجي**».[2]والجدير بالذكر أن الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية كُتبت قبل نظيرتها العربية بفترة طويلة، مما يعكس تأثير الظروف التاريخية والسياسية على ظهورها.

إن تتبع مسار الأدب الجزائري المكتوب بالحرف الأجنبي يقودنا إلى الحديث عن الثقافة الجزائرية الفرنسية إبان الاستدمار، لأن ظهوره كان نتيجة الاحتكاك بين الثقافتين، وبالتالي فإن أدباء فترة الاحتلال اتخذوا لغة العدو سلاحا لهم للتعبير عن آلام الشعب الجزائري ومعاناته وتصوير آماله وتطلعاته. وتميز الأدب الجزائري الحديث بخاصية فريدة قلما نجدها في الأدب العربي عبر التاريخ، فقد تشكّل وفق ضرورات تاريخية معقدة فرضتها سياقات متعددة. وقد ساهمت ثلاثة عناصر رئيسية في تشكيله على مر الزمن:

---

[1] مفقودة صالح .المرأة في الرواية الجزائرية، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2009، ص 26.

[2] جبور أم الخير .الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، أطروحة لنيل دكتوراه في النقد الأدبي الحديث، جامعة وهران، كلية الآداب والفنون، 2011، ص 18.

العنصر المحلي الذي يعكس الهوية والتراث الجزائري، والعنصر العربي الذي يمثل الامتداد الثقافي والحضاري للأمة العربية، والعنصر اللاتيني الفرنسي الذي فرضه الاستمار وترك بصماته اللغوية والثقافية. وقد اجتمعت هذه العناصر في مزيج من الصراع والتفاعل والاندماج، فنتج عن ذلك أدب جزائري فريد يعبر عن هذه الهوية المركبة[1].وقد أضفى هذا التفرّد على الأدب الجزائري خصائص معقدة تطورت مع مرور الزمن، مما جعله مختلفاً عن الآداب الأخرى المكتوبة باللغة العربية. وقد أدى انصهار الروح المشرقية الجزائرية مع الثقافة الفرنسية التي تبناها بعض الأدباء الجزائريين إلى ظهور هوية أدبية مزدوجة تتجاوز حاجز اللغة للتعبير عن مضامين فكرية وأدبية تعكس الواقع الجزائري، حتى وإن كتبت بلغة المستعمر[2].

في البداية، اقتصر الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية على النقد الضمني، حيث حاول الكتّاب إيصال رسائلهم من خلال شخصيات خيالية تعاني من أزمة هوية، كما في روايات شكري خوجة ومحمد ولد الشيخ. ولكن مع مرور الوقت، تطور هذا الأدب ليصبح أكثر صراحة في رفضه للاستدمار، ممهدًا الطريق لظهور أدب المقاومة الذي تبلور لاحقًا[3]، حيث انتقلت الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية من خطاب متردد إلى خطاب ثوري صريح في الخمسينيات والستينيات[4].

ثانياً: نشأة وتطور الرو اية الجز ائرية الفرنكوفونية في الفترة ما بين الحربين [1919-1939]

أسهمت الظروف الثقافية والاجتماعية والسياسية منذ عام 1880 في ظهور نخبة جزائرية ناطقة بالفرنسية في إطار مشروع استدماري يهدف إلى إدماج الجزائر في الهوية الفرنسية. غير أن هذه النخبة أصبحت فيما بعد فاعلة أدبيا حيث كتب الكثير منها باللغة الفرنسية. وقد أدى ذلك إلى تقسيم المجتمع إلى نخبة" متحضرة "وعامة" همجية"، وفقًا للتصورات الاستدمارية. وعلى الرغم من هذه السياسة، إلا أن نجاح فرنسا كان محدودًا، إذ لم تتمكن من محو الهوية الجزائرية التي ظلت راسخة بقوة[5].

وتؤكد الدراسات التي قام بها مختصون في الأدب الجزائري، وعلى رأسهم المؤرخ والباحث **جان ديجو(JeanDéjeux)** وجود أول نص أدبي كتبه جزائري بالفرنسية، وهو قصة بعنوان" انتقام الشيخ"، مستمدة من التقاليد الاجتماعية الجزائرية، كتبها **محمد بن**

[1] حنفاوي بعلي .أثر الأدب الأمريكي في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية، الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2004، ص 159

[2] فاطمة الزهراء حبيب .ترجمة العناصر الثقافية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية (رواية لماذا تحلم الذئاب لياسمين خضرا) دراسة تطبيقية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، معهد الترجمة، جامعة وهران، الجزائر، 2015، ص 45.

[3] Khelouz Nacer, Ibid, p,138

[4] Ibid, p, 286.

[5] يوسف بكار .في الأدب المقارن: مفاهيم وعلاقات وتطبيقات، فلسطين، 1996، ص 38.

رحال ونشرها في مجلة الأدب والفن الجزائرية التونسية سنة 1891[1]، ولكن الباحث يذهب بعد ذلك إلى أن بحثه المكثف عن نصوص أخرى لجزائريين آخرين في الصحف والمجلات التي نشرها الفرنسيون في الجزائر بين 1830 و1920 لم يسفر إلا عن نتائج هزيلة"[2]. ولم يعثر إلا على نصوص قليلة تحمل أسماء عربية مثل الجزائري والراوي التي شك بقوة في أنها أسماء حقيقية لمستوطنين فرنسيين، باستثناء اثنين هما أحمد بوري الذي نشر سنة 1912 في جريدة الحق رواية مسلسلة بعنوان (المسلمون والنصارى)، وعلق على الرواية بأنها كتبت" بماء الورد"كناية عن التناقض فيها، عندما يصور العلاقة بين الفرنسيين والجزائريين على أنها في غاية الانسجام والتناغم، والثاني اسمه" سالم القبي الذي نشر مجموعات شعرية باللغة الفرنسية[3].

وترجع هذه الفجوة بين 1891م وعشرينيات القرن العشرين إلى عوامل وأسباب كثيرة أخرت ظهور فن الرواية إلى بداية القرن العشرين، وفي مقدمتها سياسة العدوان التي مارسها الاستعمار ضد الشعب الجزائري، ومحاولة حرمانه من حريته وكرامته والقضاء على مقوماته وهويته، مما أدى إلى تعميق الهوة والتنافر بين الطرفين، وبالتالي لم يحدث أي تلاقح فكري بسبب عدم الانفتاح على الآخر سواء سياسيا أو فكريا أو ثقافيا. ومن جهة أخرى، سياسة التجهيل التي انتهجتها فرنسا تجاه الشعب الجزائري من أجل إبعاده عن الأفكار التحررية والوعي الوطني والقومي"[4].

أ. بواكير الرواية الجزائرية الفرنكوفونية في الفترة ما بين الحربين [1919-1939]

يقول **أحمد لنصاري**: عندما يستحضر المرء الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، عادة ما يحدد مكان ولادته مع مولود فرعون، إن لم يكن جان عمروش. ومع ذلك، فمنذ عشرينيات القرن الماضي، ولدت الأعمال الرومانسية مع ظهور نواة من الروائيين والشعراء الشباب الذين لا يزالون مجهولين. ومن هؤلاء شكري خوجة، وحاج حمو عبد القادر، وقائد بن شريف، ومحمد ولد الشيخ.[5]

وقد حمل النص الأدبي الجزائري المكتوب باللّغة الفرنسّية خلال فترة العشرينات نبوءة ولادة أدبّية جديدة[6]، مما جعل هذا العقد طفرة حقيقية للأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية. وعلى الرغم من ميل بعض الكتاب والباحثين إلى التقليل من أهمية هذا

---

[1] Jean DéJeux. Situation de la littérature maghrébine de langue française, OPU, Alger, 1982, p. 18.

[2] غنية كبير" .النقد الأكاديمي الغربي وتلقيه للرواية الجزائرية التأسيسية والتأصيلية"، اليوم الدراسي الوطني الثالث حول السرد "فلسفة السرد"، قسم الأدب العربي، جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريريج، 2016، ص 04.

[3] أحمد منور .المرجع السابق، ص 88.

[4] المرجع نفسه، ص 130.

[5]Lanasri Ahmed. "La critique algérienne de l'entre-deux-guerres, Le poids de l'idéologie," Horizons Maghrébins - Le droit à la mémoire, 1991, vol. 17, no. 1, p. 66-71

[6] حنفاوي بعلي .أثر الأدب الأمريكي في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية، الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2004، ص 159-160.

الأدب الذي ظهر بين الحربين العالميتين، إلا أن هذا التطور لا يمكن إنكاره. وفي هذا السياق، يشير **أحمد منور** في كتابه "الأدب الجزائري باللسان الفرنسي "إلى أن الفترة الممتدة بين 1920 و1945 لم تشهد سوى محاولات أدبية قليلة في مجال الرواية، حيث لم يكتب بالفرنسية سوى خمسة أعمال أدبية فقط.

ويذهب جان ديجو إلى أن سنة 1920 كانت نقطة انطلاق حقيقية لهذا الأدب الوليد، إذ شهدت صدور رواية" القائد بن شريف **"أحمد بن مصطفى القومي"** التي كانت بداية مسيرة الروائي الجزائري باللغة الفرنسية[1]. تلتها عدة إصدارات روائية أخرى، أبرزها رواية" زهرة زوجة المنجمي "**لعبد القادرحاج حمو**، التي نُشرت عام 1925، والتي طالما اعتبرت أول رواية جزائرية باللغة الفرنسية[2]. قبل أن يعاد قراءة التاريخ الأدبي الجزائري بمنظور أكثر شمولية.

لعلّ السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو: لماذا استغرق الأدب الجزائري كل هذا الوقت الطويل ليظهر ويبرز على الساحة الأدبية؟ تكمن الإجابة على هذا السؤال في السنة التي سبقت نشر الرواية الأولى، أي نهاية الحرب العالمية الأولى وإعلان مبادئ ويلسون، التي أعقبها تراخ نسبي من جانب الإدارة الفرنسية، بموجب قوانين 4 فيفري 1919، التي ألغت معظم مواد قانون الأهالي العنصري. واعتبرت الإدارة الفرنسية أن المزايا الممنوحة للجزائريين كانت بسبب دورهم في الحرب العالمية الأولى، سواء من خلال مشاركتهم في المعارك إلى جانب الفرنسيين أو من خلال مساهمتهم في تشغيل المصانع الفرنسية أثناء الحرب. وقد أدت هذه الإجراءات إلى منح الجزائريين الحق في تشكيل الأحزاب السياسية والمشاركة في الانتخابات وإصدار الصحف لأول مرة منذ الاحتلال[3]، وهي المكاسب التي تم توقيتها بعناية من قبل فرنسا الاستدمارية لتتزامن مع الاحتفالات بالذكرى المئوية لاحتلال الجزائر (1930). وكان الهدف من هذه الذكرى هو إظهار نجاح الأساليب الاستدمارية الفرنسية في" ترويض "الجزائريين ونجاح المستوطنين في تحويل الجزائر، كما زعموا، إلى مستعمرة. كما كانت فرصة لإظهار ما زعموا أنه التقارب والتعايش بين الشعبين الجزائري (الأهالي) والفرنسيين (الكولون والمعمرين)[4].

غير أن هذا الواقع لم يُثنِ الأدباء الجزائريين عن الإبداع والإنتاج الأدبي الذي ساهم في ازدهار السرد الجزائري خلال هذه الفترة. ومن أهم الروايات التي صدرت بين عامي 1925 و1930 رواية" خضراء راقصة أولاد نايل "التي كتبها **سليمان بن إبراهيم`** بالاشتراك

---

[1] Jean DéJeux. Situation de la littérature maghrébine de langue française, OPU, Alger, 1982, p. 59.

[2] أحمد منور .المرجع السابق، ص 73-74.

[3] عبد الرحمن بن إبراهيم ابن العقون .الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصرة(1920-1936) ، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 72.

[4] محمود علالي .دراسات لكتابات الذكرى المئوية لاحتلال الجزائر، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ المعاصر، إشراف: بوعزة بوضرساية، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2009/2008، ص 48-53.

مع **إتيان دينيه** سنة 1926، وهي من أهم الأعمال الروائية التي تعكس تجربة الكتابة المشتركة بين الأدباء المحليين والفرنسيين. وتمثل هذه الرواية بداية" التزاوج الأدبي والروحي "بين الأنتلجنسيا[1] الجزائرية ونظيرتها الاستدمارية حيث وضع الروائي المحلي في موقع التلميذ أمام الروائيين الفرنسيين، ما يعكس العلاقة غير المتكافئة بين الطرفين في تلك المرحلة الديداكتيكية الروائية.[2]كما صدرت رواية "مأمون مشروع مثل أعلى " للكاتب **شكري خوجة** في سنة 1928، تلتها رواية "العلج أسير البرابرة " التي صدرت في سنة 1929، ثم ظهرت في العشرية الموالية رواية "مريم بين النخيل" **لمحمد ولد الشيخ أغا** في سنة 1936.[3]وهي أعمال تركت بصماتها على المشهد الأدبي الجزائري آنذاك.

إن ما يميز هذه المجموعة من الروائيين الجزائريين الذين حققوا جميعا شهرة وحضورا كبيرا على المستويين النقدي والإعلامي، فضلا عن نسبة عالية من المقروئية[4]، خاصة لدى القراء الناطقين بالفرنسية، هو كونهم جميعا من خريجي المدرسة الفرنسية، وهو ما أتاح للجزائريين أن ينالوا نصيبا من التعليم لأنهم أولا نتاج المدرسة الفرنسية، وأغلبهم أبناء الذوات، ورغم تأثرهم بالثقافة الفرنسية، فقد عبّروا بعمق عن قضايا المجتمع الجزائري، مستخدمين اللغة الفرنسية كأداة للتعبير عن رؤاهم الإبداعية والدفاع عنها.

من المهم التمييز بين الروائيين الجزائريين ونظرائهم الأوروبيين الذين ولدوا في الجزائر وكتبوا عنها مثل **ألبيركاموو جان سيناك**. على الرغم من أن بعض هؤلاء الكتاب تناولوا مواضيع جزائرية وأظهروا اهتماماً بالقضايا المحلية، إلا أن الفرق بين الفئتين يبقى واضحاً. كما أشار **عبد الله ركيبي**: «**فإن الفرق يتمثل في الرؤية، فرؤية الكُتّاب الفرنسيين تختلف عن رؤية الكُتّاب الجز ائريين ذوي اللسان الفرنسي**».[5]وتشير الباحثة **عايدة أديب بامية** إلى أن «**استعمال لغة مشتركة، وهي الفرنسية، لم يؤدِّ إلى وحدة أو تماثل بين الكُتّاب الجز ائريين والكُتّاب الفرنسيين. ولا يكمن هذا الاختلاف في الخلفية التعليمية، التي غالبًا ما كانت متشابهة لدى الفئتين، بل يرجع إلى عوامل أكثر عمقًا. فالجز ائريون مرتبطون ارتباطًا مباشرًا بأرضهم، إذ وُلِدوا وترعرعوا فيها ويحملون في قلوبهم مشاعر الوطنية والانتماء. أما الكُتّاب الفرنسيون الذين أقاموا في الجز ائر، فإن علاقتهم بها تظل سطحية، فهم ليسوا**

[1] مصطلح "الانتلجنسيا" استُخدم لأول مرة في روسيا، وكان يُقصد به آنذاك أولئك الذين تلقَّوا تعليمًا جامعيًا يؤهلهم للعمل في المهن الفنية العليا. وقد اتسع استخدامه وامتد مدلوله ليشمل أولئك الذين ينخرطون في مهن غير يدوية".ينظر في: قواسم بن عيسى" .الإتصال الأنتلجنسي (النخبوي) ورهاناته في صناعة التغيير"، مجلة المفكر للدراسات القانونية والسياسية، العدد 2، المجلد 4، 2019، ص 30-49.

[2] أحمد منور .المرجع السابق، ص 87.

[3] Jean Djeux. La littérature maghrébine d'expression française, Alger, 1978, p. 20.

[4] Jean Dé Jeux. Situation de la littérature maghrébine de langue française, OPU, Alger, 1982, p. 60.

[5] عبد الله الركيبي .القصة الجزائرية القصيرة، دار الكتاب العرب، الجزائر، 2005، ص 211.

سوى أوروبيين اختاروا العيش على هذه الأرض، دون أن يكون لديهم ارتباط وجداني حقيقي بها»[1].

بناءً على هذا الفارق الجوهري، ترى **بامية** أن مصطلح" الأدب الجزائري بالفرنسية "يجب أن يقتصر على الأعمال التي كتبها الجزائريون، لأنها وحدها القادرة على التعبير عن هموم الأمة وهويتها. فالأعمال التي يكتبها الأوروبيون الذين يعيشون في الجزائر هي في الأساس أدب فرنسي، ناشئ هناك أي في الجزائر ويعكس إلى حد كبير العقلية الاستدمارية. وفي هذا السياق، أشارت **بامية** أيضا إلى أن «**شعور هؤلاء يشبه شعور فرنسيين يقيمون في الجزائر، وليس شعور جزائريين يكتبون بالفرنسية**».[2]

ثالثاً: الرواية الجزائرية الفرنكوفونية واشكالية الهوية [1919-1939]

أثارت هذه الأعمال الروائية مسألة الهوية الأدبية، حيث تم انتقادها بسبب استخدامها للغة الفرنسية، مما أدى إلى طرح تساؤلات حول" جزائريتها". ومع ذلك، فقد خدم هذا الأدب القضية الجزائرية وساهم في إسماع صوت الشعب الجزائري، مستفيداً من انتشار استخدام اللغة الفرنسية على نطاق واسع وممهداً الطريق للأدب الثوري الذي تطور لاحقاً.

لم يكن الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية خلال فترة ما بين الحربين العالميتين نتيجة تفاعل ثقافي إيجابي أو تبادل ثقافي متكافئ، بل جاء في سياق حرب ثقافية شرسة فرضها الاستدمار الفرنسي طيلة تسعين سنة من الاستعمار الذي سعى إلى محو الهوية الجزائرية. من هذا المنطلق، يمكن القول إن هذا الأدب حُمِل كرهًا ووُلِد كرهًا، وهو ما يتجلى في محاوره الرئيسية، وعلى رأسها الاندماج المستحيل الذي ظل مرفوضًا من الطرفين: المستعمِر الفرنسي والمستعمَر الجزائري، بسبب الهوة العميقة في القيم والرؤية للحياة[3].

ففي دراسته" النقد الجزائري بين الحربين العالميتين: ثقل الأيديولوجيا"(1991)" [4]، يرى **أحمد لنصاري** أن الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية خلال الفترة [1919-1939] قد أهمل من قبل النقاد الأدبيين، سواء خلال الفترة الاستدمارية أو بعد الاستقلال، لأسباب أيديولوجية. وقد صُنِّف هذا الأدب على أنه امتداد للخطاب الاستعماري، واتُّهم بالتماهي مع السياسات الاستيعابية الفرنسية والترويج للاندماج في الثقافة الغربية. ويرى لنصاري أن هذه النظرة هي نتيجة تعميم غير دقيق فرضته الرؤية الاستدمارية، ثم تبناها النقد الأدبي اللاحق دون العودة إلى النصوص الأصلية. ويشير أيضًا إلى أن النقد الاستدماري لم يكتفِ باستبعاد هذه

[1] عايدة أديب بامية .المرجع السابق، ص 53.

[2] المرجع نفسه .ص 53.

[3] مومن سعد .المرجع السابق، ص 163-164.

[4] Lanasri Ahmed. La critique algérienne de l'entre-deux-guerres, Ibid, p. 66-71.

الأعمال، بل تعامل معها بشكل انتقائي، واقتبس مقاطع تدعم أطروحته بينما أهمل الأجزاء التي تعبر عن الهوية الجزائرية أو تحمل دلالات معارضة. وقد أسهمت هذه التفسيرات المشوهة في إقصاء هذه الكتابات من النقد الأكاديمي لعقود من الزمن.

وفي نفس السياق، وصف نظيم شاوش في كتابه الرواية الإصلاحية الإسلامية المكتوبة باللغة الفرنسية في الجزائر بين الحربين (1919-1939) [1] بعض المثقفين الذين أرادو تزييف التاريخ باتباعهم النقاد الفرنسيين أمثال **و.مارسي، ج.بارك و بنيامين ستورا** بالمغالطين والكل يعرف ما يبيته هؤلاء النقاد لجزائريين كتبوا في فترة كانوا لازال يدعونهم بالأهالي.

[1] Chaouche Nadhim. Le roman réformiste musulman d'expression française en Algérie dans l'entre-deux-guerres (1919-1939). Héritage, 2021

2. المطلب الثاني: تجليات الهوية في نصوص الرواية الجزائرية المكتوبة باللسان الفرنسي في الفترة ما بين الحربين [1919-1939]

بين عامي 1919 و1939، استخدم الكتّاب الجزائريون الرواية الفرنسية كأداة للمقاومة ضد الاستعمار الفرنسي. فقد سعت الرواية الاستدمارية إلى تشويه هوية الجزائريين وتصويرهم ككائنات متخلفة ورأت فيهم **«كتلة غير قابلة للتمثل»**[1]. غير أن الأدب الجزائري ردّ على ذلك بتمثيل ثقافته الوطنية والدينية، مؤكداً أنه حتى في أصعب الظروف، ظلت الثقافة الجزائرية حصناً منيعاً يعزز التماسك الوطني والوعي الجماعي.

وقد جعل رواد الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية من أمثال شكري خوجة والحاج حمو عبد القادر ومحمد ولد الشيخ من واجبهم الأدبي ومهمتهم الفكرية تفكيك الهيمنة الاستدمارية وفضح آلياتها الخفية، حيث سعوا إلى توعية القراء بمخاطر الاستدمار وفضح سياسته في القضاء على الهوية الثقافية والدينية للمجتمع الجزائري.[2]

أولًا: الرواية الكولونيالية في الجزائر بين الحربين: أداة للهيمنة والاستلاب الثقافي

تمثل نصوص الرواية الكولونيالية سلاحاً مكملاً للبندقية في حرب فرنسا الاستدمارية ضد الجزائر وشعبها. فقد تبنى الكتاب الفرنسيون خطابا استداريا منحازا، متجاهلين القيم التي نادت بها ثورتهم الفرنسية، مثل الحرية والعدالة والأخوة وتبنوا بدلا من ذلك ثقافة استعمارية مستوحاة من تاريخ أجدادهم الرومان وقائمة على ثنائية الأسياد والعبيد. وانعكست هذه الازدواجية في كتاباتهم، حيث رفعوا شعارات التحرر والتقدم، بينما كانوا في الواقع يمارسون الإقصاء والتهميش ضد الجزائريين، بما يتناقض مع المبادئ التي ادعوا الدفاع عنها[3].

هيمنت النظرة الإثنوغرافية على الأدب الكولونيالي وقد ركزت هذه الكتابات على المظاهر الخارجية للحياة، كالمسكن واللباس والطعام والعادات والتقاليد، مما أدى إلى تجريد الجزائري من إنسانيته وتاريخه وتصويره كجزء من الطبيعة لا يختلف عن الحجر أو الشجر، وكأنه مجتمع بدائي، معزول عن الزمن والتاريخ، ومعرض للانقراض، كما حدث للهنود الحمر في أمريكا الشمالية. وقد تزامنت هذه الكتابات الأنثروبولوجية مع قدوم عدد من الكتاب والرسامين الرومانسيين الذين قدموا إلى الجزائر، إما تطوعا أو بتنظيم من وزارة الحربية، من أجل إقناع الرأي العام الفرنسي والأوروبي بتشجيع الاستعمار. وقد جاء بعض الكتاب إلى الجزائر"

---

[1] جان بول سارتر .الاستعمار الجديد، ترجمة: عايدة وسهيل إدريس، دار الآداب، بيروت، لبنان، 1999، ص 37.

[2] Chaouche Nadhim. Ibid, p. 89.

[3] فضيلة يحياوي. الراوية والمجتمع الكولونيالي في الجزائر ما بين الحربين، ترجمة: عبد الحميد سرحان، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 2007، ص 3-4.

هرباً من الكبت البرجوازي"[1]،وانبهروا بجمالها الطبيعي، كما في رواية" صيف في الصحراء"(1854) **لأوجين فرومنتان (Eugène Fromentin)**، التي يصف فيها الصحراء خلال رحلته من المدية إلى عين ماضي .وأعجب ألفونس دوديه (**AlphonseDaudet**) بمدينة مليانة وجمال طبيعتها في" رسائل من طاحونتي"، بينما عبّر **غي دو موباسان(GuydeMaupassan)** بافتتانه بالطبيعة الجزائرية في" تحت الشمس".[2].

مع مطلع القرن العشرين، بدأ المشهد الأدبي الجزائري يشهد تحولاً تدريجياً نتيجة للتغيرات السياسية والثقافية التي شهدتها المنطقة. على الرغم من أن الواقع الجزائري فرض نفسه على الأدب الاستعماري، إلا أن الهيمنة الثقافية استمرت مع تيار"**الجزائريانية[3]L'algérianisme** "،[4]، التي ازدهرت بين الحرب العالمية الأولى ونهاية الثلاثينيات. سعت هذه الحركة إلى تعزيز فكرة أن الجزائر جزء من فرنسا، واستخدمت الأدب كأداة دعائية للاستعمار من خلال شخصياتها مثل**لويس بر اترن، روبير راندو، ولويس لوكوك**[5].

ثانياً: تمثلات الجز ائري في الرو اية الكولونيالية: التهميش والاغتيال الرمزي

تزامنت هذه الروايات مع الغطرسة الاستدمارية لإحياء" الملحمة الاستدمارية"، وبلغت ذروتها في احتفالات الذكرى المئوية في الثلاثينيات. حيث سعت هذه الروايات إلى تحقيق القتل الرمزي للجزائري من خلال استراتيجية متقنة. فقد تم تجريد الجزائري من أي دور في التاريخ وتصويره ككيان هامشي، مثل زخرفة طبيعية غير مؤثرة. وكان البطل الإيجابي هو المستعمر، رمز الحضارة والتقدم، بينما تم إقصاء الجزائري من السرد والحوار، وتركه بضمير الغائب للتعبير عن تهميش[6].

انصب اهتمام الكُتّاب الكولونياليون على المعمرين المستوطنين الفرنسيين وتجاهلوا الجزائريين وثقافتهم، إلا بالقدر الذي يخدم

---

[1] الطيب بودربالة" .صورة الجزائر في الرواية الفرنسية الحديثة"، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الوادي، الجزائر، العدد 3-2، مارس 2010، ص 8.

[2] [بن ربيعي فطيمة .صورة بلاد المغرب في كتابات الروائيين في القرن التاسع عشر: "موباسان" و"لوتي" و"جيد" أنموذجًا، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، تخصص آداب أجنبية، جامعة البليدة، 2018/2017، ص267.

[3]"يُعد التيار "الجزائرياني (Algérianisme) "حركة أدبية وسياسية نشأت في الجزائر خلال عشرينيات القرن العشرين، داخل بعض الأوساط الفكرية للمستوطنين الفرنسيين. وعلى الرغم من أنه لم يكن أول تعبير أدبي يصدر عن المجتمع الاستعماري في الجزائر، فقد كان أول محاولة منظمة لصياغة هوية أدبية محلية، من خلال رؤية تسعى إلى التمايز عن المركز الفرنسي في باريس. تبنّى هذا التيار مصطلحات تعكس طموحه للارتباط بالأرض الجزائرية، حيث أطلق أحد مؤسسيه، روبرت راندو (1873-1950)، على رواياته وصف "روايات الوطن الجزائري ."سعى هذا التيار إلى تأسيس خطاب أدبي يعكس هوية "جزائرية" منفصلة عن فرنسا، لكنه في الوقت نفسه ظل مرتبطًا بالمشروع الاستعماري، ولم يتبنَّ رؤية تحررية حقيقية. ينظر في: Khelouz Nacer. Voir, Ibid, p, 128-141

[4] Gabriel Audisio situe la fin de l'Algérianisme en 1937. « L'Algérianisme a cessé d'exister en 1937, remplacé par l'Ecole d'Alger », dans « la Littérature algérienne », Afrique, mars 1945.

[5] فضيلة يحياوي .المرجع السابق، ص 14.

[6]الطيب بودربالة. المرجع السابق، ص14

نظرتهم المتعجرفة والمهينة والمحتقرة. فقد رأوا في الجزائري" العربي المخيف"عدواً دائماً، وفي الإسلام عائقاً أمام مشروعهم الاستدماري، مما جعلهم يصورون الجزائريين بصورة سلبية تتماشى مع أهدافهم في الهيمنة والسيطرة[1]

مثال على ذلك تبنى **أوجين فرومنتان** في روايته" صيف في الصحراء "موقفاً متعجرفاً همش الوجود الجزائري واختزل الجزائر في فضاء طبيعي فارغ، وهو انعكاس واضح للاستدمار الذي تجاهل الإنسان وكرس هيمنة المستوطن الأوروبي. وفي نهاية القرن التاسع عشر، بدأ الواقع الجزائري يفرض نفسه على الكتاب الفرنسيين، لكن معظمهم استمر في تصوير الجزائر من منظور استعماري يمجد فرنسا ويقلل من قيمة الجزائريين. في" رسائل من طاحونتي"، أظهر **ألفونس دوديه** تعاليه بوصفه الأطفال الجزائريين بعبارات ازدراء: «**هناك مجموعة من الصغار العرج نصف العراة يلعبون بالكويرات ويصيحون صياحا شديدا**».[2] كما امتدح الخونة المتحالفين مع المستدمرين وقدم المرأة الجزائرية في صورة فولكلورية سطحية ركز فيها على مظهرها لا على جوهرها الثقافي والإنساني. وفي رواية" **طارطارن تاراسكون**"، كرّس **دودية** القوالب النمطية من خلال وصف الجزائري بأنه «**إنسان يتصف بخمول وعدم النشاط**»[3].كما شوّه **غي دي موباسان** المقاومة الجزائرية، مصوراً الشيخ بوعمامة على أنه «**رجل شيخ حيّر جيشنا في إفريقيا، ثم اختفى تمامًا حتى بدأنا نشك في وجوده. كان هذا الرجل الجوال قائد عصابة صغيرة ثارت بسبب الجوع**»[4]، في محاولة لتقزيم نضاله الذي استمر أكثر من عقدين. وبلغ التشويه ذروته في قصة" **علومة**" التي تُصوَّر المرأة الجزائرية على أنها كملكية للمستعمر، بينما يصور الرجل الجزائري كمتسامح مع المساس بشرفه، مما يؤكد النظرة الاستعمارية التي تبرر الهيمنة الفرنسية وتظهر الجزائري متخلفاً وعاجزاً عن تقرير مصيره[5]. وقد وُضعت المرأة الجزائرية ضمن إطار مزدوج: من جهة نُسبت لها صفات المكر والخداع، ومن جهة أخرى تم تصويرها بطريقة رومانسية سطحية أضفت عليها صفات الحب والتضحية في رؤية استشراقية تخدم الهيمنة الاستعمارية. وساهمت بعض الروائيات الفرنسيات في تكريس هذه الصورة من خلال وصف المرأة الجزائرية في بيئاتها المختلفة، سواء في البيت أو القصر أو السوق أو الحقول، مقدمين نماذج مختلفة كالأم والراقصة والمتحررة والمحافظة، لكن دون الخوض في جوهرها الإنساني، مما عمق النظرة الفولكلورية التي جعلت منها مجرد رمز خاضع للسلطة الاستعمارية[6].

---

[1] فضيلة يحياوي .المرجع السابق، ص 4.

[2] أغامير محمد .صورة الجزائري في مخيال الآخر لدى الأدباء الفرنسيين في القرن التاسع عشر، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، 2014/2013، ص 105.

[3] المرجع نفسه، ص 123.

[4] بن ربيعي فطيمة. المرجع نفسه، ص 242.

[5] المرجع نفسه، ص267.

[6] الطيب بودربالة .المرجع السابق، ص 15.

ثالثاً: مرحلة ما بين الحربين [1919-1939]: الكتابة بوصفها أداة لمقاومة الطمس الاستدماري

لم يحظ الكتّاب الجزائريون في فترة ما بين الحربين العالميتين بتصنيف أدبي ونقدي منصف يعكس واقع أعمالهم. وغالباً ما تم الحكم عليهم دون دراسة متعمقة. وقد رأى العديد من الباحثين بأن هذا الجيل الأول من الكتاب الجزائريين كان جزءًا من المثقفين المستوعبين، الذين ظلوا أسرى لغة وأيديولوجية المستعمر. وقد تأثرت هذه النظرة، خاصة في أوساط الباحثين الجزائريين بعمل الناقد الفرنسي جان ديجو الذي قلل من القيمة الفنية والفكرية للكتاب الجزائريين، رغم ريادته في مجال الأدب المغاربي، حيث اعتبرهم مجرد تلاميذ للمدرسة الفرنسية، حريصين على إظهار مهاراتهم اللغوية، ومتجاهلين ثراء خلفيتهم الثقافية[1].وفي هذا السياق، وضع فرانس فانون هؤلاء الكتاب في مرحلة "التمثل الكامل"، فقد رأى أن المثقف المستعمر كان متأثرا بالثقافة الغربية تأثرا عميقا، مما جعل إنتاجه الأدبي قريبا من الأدب الأوروبي، وجعل من السهل ربطه باتجاهات معينة في ذلك الأدب[2].

وقد كانت الرواية الجزائرية الفرنكوفونية في هذه المرحلة ظاهرة استثنائية عكست الجوهر الجزائري والمضمون المحلي بأسلوب وتقنيات مستمدة من اللغة الفرنسية، حيث نجح الروائيون في الجمع بين مهارتهم الفنية والتصوير الواقعي للثقافة الجزائرية. كما أن لجوء الجزائريين إلى كتابة الرواية باللغة الفرنسية للتعبير عن آرائهم ومشاعرهم لا يعني، كما يعتقد بعض النقاد، أنها امتداد للأدب الفرنسي أو وثيقة الصلة بالثقافة الاستعمارية. بل على العكس، فهي نابعة من الهوية الجزائرية، وتعكس تقاليد المجتمع الجزائري، وتنقل تفاصيل حياتهم اليومية، وتعبر عن آمالهم ومعاناتهم وتطلعاتهم.[3]

وبغض النظر عن الجدل المستمر حول هويته اللغوية، فإن هذه المجموعة الأدبية كانت بمثابة أداة ثقافية وفكرية سهلت ظهور أدب الثورة والاستقلال[4]. ولم تكن مجرد سرد لوقائع تاريخية، بل كانت تحمل في طياتها نزعة أيديولوجية واضحة تعكس التأثيرات الثقافية والفكرية للمؤلفين. وفي الوقت نفسه، شكّلت رداً ثقافياً على سياسة الاندماج الاستدمارية التي سعت إلى طمس الهوية الجزائرية وإقصاء الذات الوطنية. وعلى الرغم من أن هؤلاء الكتاب لم يكونوا في مواجهة علنية، إلا أنهم كانوا مراقبين دقيقين للمشهد الاجتماعي والثقافي السائد، وكانت أعمالهم بمثابة وسيلة للتعبير عن آمالهم في التغيير، وإن كان ذلك ضمن قيود اللغة الأجنبية.

وعلى الرغم من الأوصاف النقدية التي وُضعت على الروايات الجزائرية المكتوبة بالفرنسية خلال فترة ما بين الحربين العالميتين، إلا

---

[1] مومن سعد .المرجع السابق، ص 4.

[2] جون بول سارتر" .ما الأدب؟"، ترجمة محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر للطباعة والترجمة والنشر، القاهرة، 1999، ص 91.

[3] نور سلمان .الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار العلم للملايين، 2009، ص 112.

[4] مومن سعد .المرجع السابق، ص 30.

أنها تظل جزءًا أساسيًا من المشهد الأدبي الجزائري، حيث عكست وعيًا وطنيًا ومقاومة للاستدمار بطريقة غير مباشرة. وفي هذا السياق، فإن عبارة **محمد ساري** جديرة بالملاحظة بشكل خاص: «**كان الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية في فترة ما بين الحربين ردًا ذكيًا ولكن مسالمًا على الأدب الكولونيالي الذي انتشر في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين**»[1]. توضح هذه العبارة أن الكتابة الجزائرية الناطقة بالفرنسية لم تكن مواجهة مباشرة مع الاستدمار، بل كانت رداً هادئاً ورصيناً على الأدب الكولونيالي السائد، وهو ما يعني أن الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية لم يكن في مواجهة مباشرة مع الاستدمار.

- **أبرز رواد الرواية الجزائرية الفرنكوفونية وتمثيل الهوية الجزائرية ومقاومة الاستدمار**

أقرّ **دييجو** في آخر أعماله بأن «**إلقاء نظرة على تاريخ تلك الآداب المغاربية يُظهر أنها تأسست في سياق استعماري تهيمن فيه الأنا العليا الأجنبية. كان ثمة تشويه وجرم، ثم محاولة من الكتاب للاندماج في الأنا الفردية والجماعية المستهدفة، بهدف استرداد هويتهم التامة والكاملة**[2]**.**» تجلت هذه النزعة في فترة ما بين الحربين العالميتين من خلال سعي الروائيين المستمر للحفاظ على هويتهم الثقافية في ظل المؤثرات الاستدمارية المهيمنة. ورغم تردد بعض الكتاب في تبني هذا التوجه بشكل كامل، إلا أن النتيجة كانت تصويراً رائعاً للذات الجزائرية وتراثها الثقافي المغاربي. وعلى الرغم من التحديات التي واجهها الأدب الجزائري خلال فترة الاستدمار، فقد سعت هذه الروايات إلى ترسيخ هوية الشعب الجزائري والتأكيد على وجوده وحقه في الحفاظ على دينه وتعلم لغته والحفاظ على مقوماته الأساسية في مواجهة سياسات الطمس الاستدمارية.

وفي سياق موازٍ، استطاعت الرواية الغربية في القرن العشرين أن تعكس النظرة المرتبكة للإنسان المعاصر تجاه هويته وعلاقته بالآخرين والعالم[3]، مما يبرز أهمية دراسة الرواية الجزائرية في تلك الفترة لفهم دورها في الحفاظ على الهوية الثقافية ومقاومة الاستدمار. ومع تنامي نفوذ التيار الجزائرياني، برزت أصوات الكتاب الجزائريين من أصول عربية وبربرية في التبلور، سعياً للتعبير عن رؤيتهم الخاصة. غير أن هؤلاء الكتاب وجدوا أنفسهم في وضع معقد: فهم لم يكونوا جزءًا من التيار الجزائري الذي كان يهيمن عليه المستوطنون الأوروبيون، وفي الوقت نفسه لم يستطيعوا الانفصال عن اللغة الفرنسية التي ظلت أداة التعبير الوحيدة لديهم داخل النظام الاستعماري[4].

---

[1] محمد ساري، الأدب الجزائري الحديث المؤسسون والتحديات الكبرى، الاثنين 31يونيو. 2012، متاح على الرابط: https://www.elkhabar.com/culture

[2] Jean Déjeux. Maghreb. Littératures de langue française, Éditions L'Harmattan, Paris, 1993, p. 141.

[3] عبد القادر العربي" .صراع الهوية وإشكالية الأنا والآخر في رواية منافسة في باريس لنهاد رضا"، القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية ,المجلد 40، العدد 43، سبتمبر 2024، ص 112.

[4] Khelouz Nacer. Les écrivains algérianistes et arabo-berbères face à la France coloniale. The French Review, 2011, vol. 85, no 1, p. 135-136.

خلال فترة ما بين الحربين العالميتين، بدأ الأدب الجزائري الناطق بالفرنسية يتطور إلى ما هو أبعد من مجرد تقليد الأدب الفرنسي، ليصبح وسيلة للتعبير عن الهوية الوطنية ومقاومة سياسات الطمس الاستدمارية. وظهر جيل جديد من الكتاب الذين سعوا إلى إعادة تعريف الذات الجزائرية في مواجهة الممارسات الاستدمارية التي حاولت طمس الثقافة المحلية. وفي هذا السياق يقدم القائد بن شريف في روايته" أحمد بن مصطفى القومي "المكتوبة باللغة الفرنسية أول شهادة على العلاقة المرضية بين طرفي الاستعمار، كاشفا عن المرحلة الأولى من الاغتراب. وعلى الرغم من الجدل النقدي الذي أثاره غموض مضمون الرواية، إلا أنه من المهم الإشارة إلى أنها نص يكشف عن المرحلة الأولى من الاغتراب. ورواية" زهرة زوجة المنجمي "لعبد القادر حاج حمو هي أيضا بمثابة حكاية تحذيرية من جاذبية الغرب الخادعة، وتدعو في الوقت نفسه إلى التمسك بالإسلام كضامن للأخلاق والهوية. وعلى العكس من ذلك، يجسد مأمون، وهو شخصية مثالية لشكري خوجة، فشل مشروع الاستيعاب الاستعماري، وهو موضوع تم استكشافه بشكل مماثل في رواية" بولنوار"الشاب الجزائري لربيع وآكلي زناتي. ويمثل هذا العمل ثاني عمل أدبي يتناول موضوع" المستوعب "في الأدب الجزائري بعد رواية" مأمون مشروع مثل أعلى ". وتتناول رواية" مريم بين النخيل "لمحمد ولد الشيخ قضية مماثلة تتعلق بصراع الهوية بين التقاليد الإسلامية والتأثيرات الاستعمارية الغربية.[1]

ورغم أن بعض الكُتّاب رأوا في الحداثة الفرنسية عنصرًا يمكن الاستفادة منه، إلا أنهم رفضوا في نهاية المطاف هذا النهج كوسيلة للقضاء على الهوية الجزائرية، وقد مهد هذا التطور لاحقًا الطريق لظهور أدب مقاوم بشكل أكثر وضوحًا خلال الثورة التحريرية.[2]

هذا التأكيد تدعمه النتائج التي توصل إليها مومن سعد [3](2018)وعزيز نعمان.(2024) [4] حول بواكير الأعمال الروائية للجزائريين باللغة الفرنسية في نشأتها لا سيما تلك التي نُشرت بين عامي 1920 و1945، فقد تم تحديد خمس روايات مرتبة حسب تاريخ صدورها":أحمد بن مصطفى القومي(1920) Ahmed Ben Mostafa, goumier "، **للقايد محمد بن سي أحمد بن الشريف**(1897-1921)، زهرة زوجة المنجمي(1925) Zohra, la femme du mineur "، **لعبد القادر حاج حمو**.(1891- 1953) ، مأمون مشروع مثل أعلى Mamoun, l'ébauche d'un idéal "(1928) ، ل **حسني خوجة حمدان**.(1891-1967) ،العلج أسير البربرة :El Euldj " captif des barbaresques(1929) ل **خوجة**.، مريم، بين النخيل(1936) Myriem dans les palmes " ، **لمحمد ولد الشيخ**.

[1] Hajós Katalin. Variations de l'interface littéraire dans les littératures maghrébines d'expression française. Réflexions autour des systèmes de limites. Thèse de doctorat. PPKE, 2014. P. 17

[2] Hadj Dahmane. Ibid., p. 19–34

[3] مومن سعد. «الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية (1920-1945)»، جريدة الأنطولوجيا الإلكترونية، 11 أكتوبر 2018. الموقع الإلكتروني: https://alantologia.com/blogs/12542/ اطلع عليه بتاريخ: 2025/04/25.

[4] عزيز نعمان. المرجع السابق، ص 95-128.

حلّل الباحثان مضامين هذه الروايات ودلالاتها من خلال دراسة مباشرة لنصوصها الأولى في فترة ما بين الحربين العالميتين وهي الفترة التي لم تحظَ بالاهتمام الكافي من قبل الباحثين الجزائريين وغيرهم. وتعتمد الدراسة على قراءة متعمقة لهذه النصوص، ووضعها في سياقها التاريخي والسياسي لفهم الظروف التي أحاطت بالكتاب الجزائريين آنذاك. وقد تزامنت هذه الفترة مع انطلاق الحركة الوطنية الجزائرية التي كانت تضم تيارات متنوعة ولكنها كانت متحدة في هدفها المتمثل في مقاومة الاستدمار.

كشفت التحليلات كيف تصدى الأدباء لمحاولات طمس الهوية الجزائرية من خلال تمثيل ثقافتهم في أعمالهم التي ساهمت في تعزيز الوعي الوطني والروابط الاجتماعية. كما عمل الأدب خلال هذه الفترة كأداة لمقاومة الاستدمار وشكل من أشكال التعبير الثقافي الذي لم ينكر الذات الجزائرية، مع التأكيد على الهوية الجماعية للشعب الجزائري من خلال الدين واللغة والتقاليد. ومع ذلك، يرى بعض النقاد أن كتّاب تلك الفترة سعوا إلى الاندماج في المجتمع الفرنسي. غير أن هؤلاء الكتّاب قد اتخذوا رواياتهم وسيلة لمقاومة الإذلال والاستغلال، مما يدل على الدور المحوري للأدب في تعزيز الوحدة الوطنية وتعزيز الهوية الثقافية خلال فترات الأزمات. وقد قيل إن هذا الجانب من الأدب يولد إحساسًا أكبر بالارتباط بمجتمعهم وبيئتهم، وبالتالي تعزيز إدراك أعمق لتأثيره. ويعكس هذا التقليد الأدبي، الذي يعمل كقناة لنقل التجارب الفكرية من جيل إلى آخر، التفاعلات والتطورات التي طرأت على الأدب الجزائري على مر الزمن[1].

وإذا كان الاندماج هو الأساس المنطقي الخفي وراء إقصاء الروايات الجزائرية في فترة ما بين الحربين العالميتين من الدراسات الأدبية واللقاءات العلمية في المكتبات الجزائرية، فإن هذا الأساس المنطقي يجب أن يصبح الآن عاملاً رئيسياً في إحياء الاهتمام بهذه الروايات. ولقد كان تمثيل الذات في هذه الروايات متجذرًا في الهوية الوطنية ومعبّرًا عن مقاومة قوية ضد الصورة السلبية للجزائر التي قدمتها الرواية الاستدمارية لربع قرن من الزمن[2]. كما أن إعادة القراءة النقدية للأعمال الأدبية الأولى المكتوبة باللغة الفرنسية ستلقي الضوء على نشأة البحث عن الهوية الجزائرية التي تجلت من خلال أشكال أدبية مختلفة.[3]

[1] عزيز نعمان. المرجع السابق، ص95 -128.

[2] المرجع انفسه، ص121.

[3] Hajós Katalin. Ibid., p.17.

الفصل التطبيقي: صراع الهوية والعودة إلى الجذور في رواية مريم بين النخيل

I. المبحث الأول: صراع الهوية في مريم بين النخيل

II. المبحث الثاني: العودة إلى الجذور كحل للصراع في الرواية

III. المبحث الثالث: الأبعاد الدلالية والتأويلية لصراع الهوية والعودة إلى الجذور

I. المبحث الأول: صراع الهوية في مريم بين النخيل

1. المطلب الأول: مفهوم وتجليات الهوية في الرواية

يعتبر مصطلح الهوية من المصطلحات الهلامية التي يصعب ضبط معناها بدقة، فسيرورة تطوره المتأرجحة بين الثابت والمتغير كما يراها **زكي نجيب محمود** لا ينفي ثباتها وجود ركائز أساسية، لكن ما يُقام على هذه الركائز من مضمون حضاري لا بد أن يتغير بتغير الحضارات"[1].في نفس الصدد، يؤكد **حاتم الورفلي** أن «**اتجاه الانكماش وإما في اتجاه الانتشار، وهي تعتني بتجارب أهلها ومعاناتهم و انتصاراتهم وتطلعاتهم أيضًا، واحتكاكها سلبًا و إيجابًا مع الهويات الأخرى في تغاير**»[2]. سلط محمد ولد الشيخ في روايته على الهوية متلاعبا بالمصطلحات لتبليغ رسالة مشفرة من جهة ومسايرة السياقات التي ولدت فيها الرواية من جهة أخرى. حيث لم يطرحها بوصفها انتماءً ثابتًا، بل باعتبارها انعكاسًا للتحولات التي يخوضها الأفراد في عالم متعدد التأثيرات.

لم تكن الرواية الجزائرية الاستثناء في طرحها لمشكلة الهوية بل امتدادا للرواية الغربية المكتوبة باللسان الفرنسي نتيجة للمثاقفة وبفعل التأثر بالغرب واستجابة لعدة سياقات. وردة فعل عليها من محاولات طمس الهوية الفردية والجماعية للشعب الجزائري، حيث كان «**الاستعمار عاملًا رئيسًا في انتشار مفهوم الهوية وأشكلته في عالم اتسمت نظرته لنفسه وما حوله بقدرٍ كبير من الوضوح**»[3] . في هذا السياق، جاءت رواية "**مريم بين النخيل**" لتكون حقلًا خصبًا لدراسة ملامح الهوية بأبعادها وتمثلاتها، حيث ارتبطت هذه التجليات ارتباطًا وثيقًا بشخصيات الرواية، ويمكن رصدها كالآتي:

أولًا: الهوية الدينية في الرواية

لا مناص أن الدين في جميع المجتمعات حجر الزاوية في تشكيل الهوية ذ يستحيل تصورها دون ذلك فهي تلك" الظاهرة الاجتماعية في جانبها الموضوعي، يتضمن العادات والشعائر والمعابد والروايات المأثورة والمعتقدات، والمبادئ التي تدين بها أمة، أو مجتمع ما"[4].يعتبر الإسلام عند هاته المجتمعات ركيزة أساس، إذ يعد نوعا من التطعيم والحماية ضد سرطان مستدمر يدعى فرنسا الساعية لمحو هوية شعب بكامله.

تجسدت الهوية الدينية في الرواية كأحد المحاور الأساسية التي تبني الشخصيات وتوجه مواقفها وسلوكياتها. برزت من خلال عدة

[1] زكي نجيب محمود .عربي بين ثقافتين، دار الشروق، ط 2، 1993، ص. 67.

[2] حاتم الورفلي .بول ريكور: الهوية والسرد، تأليف دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، 2009، ط 1، ص. 38.

[3] سعد البازعي .شرفات لرؤية العولمة والهوية والتفاعل الثقافي، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2005، ص. 52.

[4] نبيل محمد توفيق السمالوطي .الدين والبناء العائلي: دراسة في علم الاجتماع العائلي، دار الشرق، جدة، السعودية، ط 1، 1981، ص. 45.

مواقف وأحداث تتشابك فيها القيم الإسلامية والمعتقدات مع مختلف التحديات والاختلافات. وقد أظهر محمد ولد الشيخ ذلك بوضوح من خلال شخصية "خديجة"، التي بالرغم من زواجها من ضابط فرنسي، بقيت متمسكة بهويتها الإسلامية، بقوله:" **ترتدي اللباس المحتشم متمسكة بدينها وتقوم بكل واجباتها الدينية بكل حب وحماسة**[1]".كما عبّرت عن ندمها الشديد تجاه قراراتها الماضية بقولها" :**لقد تزوجتك بالرغم من ماضينا واختلاف ديانتنا، من أجلك تحديت إرادة والديَّ ورضيت بسخطهما**" [2].

وصف الكاتب معاناتها الداخلية حين شعرت بالخطر الذي يهدد ولديها من مظاهر العصرنة المفرطة، قائلا" : **لا ترى نجاة ولديها إلا في الدين الذي يُبصر الإنسان ويُضفي عليه طابعًا أخلاقيًا ؛وهي ترغب بشدة أن يعتنقا الدين الإسلامي**". وفي سعيها المستميت للحفاظ على أبنائها، خاصة بعد إدراكها أن الدين هو الحصن الأمثل لحمايتهم من الضياع، لجأت إلى الشيخ طلبًا للنصيحة، فقال لها":**حفظي كلام الله لولديك**[3]"من خلال هذه المشاهد، أظهر الكاتب قوة الهوية الدينية بوصفها مرجعًا أخلاقيًا وإنسانيًا يشكل أساس الشخصية، ويدفعها لمواجهة تحديات الحياة بعزيمة وإيمان راسخ.

أبزر المؤلف دلالة الهوية الدينية من خلال توجيهات الأم خديجة لابنتها مريم، حيث حرصت على تلقينها مجموعة من القيم والتعاليم الإسلامية التي تعكس هويتها الثقافية والدينية، مؤكدةً ذلك أن العيش الحقيقي يقوم على المحبة والإحسان "**العيش هو محبة الآخر، التنفيس عن المكروبين، والتصدق على المساكين**"[4].

كما برزت هذه الدلالة من خلال الدعوة إلى الترفع عن مغريات الدنيا باعتبارها جزءًا من الاستعداد للثواب الإلهي، وهو ما بدا واضحًا في حديث خديجة لابنتها عندما نصحتها قائلة:"**العيش هو التحلي بسلوك مثالي والامتناع عن ملذات هذا العالم جزاء الله يوم الحساب**"[5]. هذه التوجيهات تعكس رؤية الإسلام للحياة بوصفها **مرحلة اختبار أخلاقي وروحي**.

تعززت الهوية الدينية في المشاهد التي تمثلت في شهادة التوحيد أحد أركان الإسلام والاعتقاد بوحدانية الله، بقول المسلم:" **أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله**" [6، 7] .كما يُظهر الدين بُعدًا إنسانيًا وأخلاقيًا عميقًا، فالدين ليس مجرد مجموعة من النصوص أو الطقوس، بل إطار لتوجيه القيم والسلوكيات. وقد تجسد هذا المعنى من خلال نصائح الشيخ الإمام لخديجة، مؤكدًا

[1] محمد ولد الشيخ أغا. المرجع السابق، ص 20.
[2] المرجع نفسه، ص. 22.
[3] المرجع نفسه، ص. 25.
[4] المرجع نفسه، ص. 29-28.
[5] المرجع نفسه، ص. 28.
[6] المرجع نفسه، ص. 223.
[7] المرجع نفسه، ص .175.

بقول: "**الصلاة والصدقة تطهران الانسان وتزكيانه**"[1]. واستُخدم الدعاء لتهدئها حين اجتاحها اليأس والندم بسبب قرارات اتخذتها في مرحلة شبابها، إذ قال لها :"**الحمد لله الرحمن الرحيم الذي هداك الى الصراط المستقيم**" [2].

استخدام الخطاب الديني القرآني، يتجلى في استحضار الآية الكريمة **{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}**[3] الآية الرابعة من سورة الفاتحة التي جاءت على لسان مريم وهي تقرأها على معلمها أحمد، ما يُبرز دور الدين الإسلامي في الإقرار بوحدانية الله.

كما يبُرز الجانب الإنساني للإسلام، الذي يدعو إلى العدل حتى مع الذين نختلف معهم في المعتقد، بتحذير بسمة لزوجها بلقاسم بأن الإسلام دين تسامح وعدل، مستشهدة بأحاديث الرسول ﷺ قائلة **"ليست هذه أسباب لاضطهادهم إنهم إخوتنا، الرسول ﷺ قال إن كل المخلوقات عباد الله لا تظلم اليهودي ولا أطفال إسرائيل، احذريا بلقاسم سيحاسبك الله"** [4].

كانت النسك الدينية المفروضة حاضرة بوضوح في الرواية، حيث وظف الكاتب مفردات تعكس التدين العميق في المجتمع الصحراوي وارتباطه بحياته اليومية. أين صور لنا الآذان**"أصوات المؤذنين الشجية و ابتهالاتهم وهي تنادي لصلاة الفجر "**[5]. وتوظّيف المعجم الديني، مثل":الأذان" [6]،الزكاة[7] "التكبيرات"،[8]، صلاة العصر [9]"صلاة الاستسقاء" [10]، و"الصلاة على الرسول ﷺ[11]. ."ومشاهد تتحدث عن "السجود" و"الورع" و"التقوى ." لم تكن مجرد كلمات عابرة، بل رسائل تبرز مدى ارتباط الدين بالسلوك اليومي للفرد والمجتمع.

ثانياً: الهوية الثقافية في الرواية

نجد الهوية الثقافية متعددة التعريفات إذ تتشكل على حسب السياقات التي نشأت فيها ، منها التاريخية والاجتماعية و النفسية و التي عكست لنا صورة الفرد. يقول **عبد العزيز بن عثمان التويجري: « ثمة علاقة وثيقة بين الهوية والثقافة، إذ إنه ما من**

[1] محمد ولد الشيخ أغا .المرجع السابق، ص. 29.
[2] المرجع نفسه، ص. 26.
[3] المرجع نفسه، ص. 35.
[4] المرجع نفسه، ص. 101.
[5] المرجع نفسه، ص. 65.
[6] المرجع نفسه، ص. 208.
[7] المرجع نفسه، ص. 135.
[8] المرجع نفسه، ص. 121.
[9] المرجع نفسه، ص. 211.
[10] المرجع نفسه، ص. 69.
[11] المرجع نفسه، ص. 107.

هوية إلا وتختزل ثقافة، فلا هوية بدون منظور ثقافي يستند إلى خلفية ثقافية، فالثقافة هي جوهر الهوية ذاتها».[1] هذا القول يتجلى بوضوح في رواية مريم بين النخيل، التي تُعد من أكثر الروايات غنىً بالرموز الثقافية، حيث تعكس ملامح المجتمع المغاربي في عشرينيات القرن الماضي من خلال اللغة و العادات والطقوس، والشخصيات، و هذا ما يُبرز الهوية الثقافية للمنطقة في تلك الفترة. تعد اللغة أحد أهم مقومات الحفاظ على الهوية الثقافية، إذ أبرز المؤلف في رواياته رغبة الأم خديجة في تعليم اللغة العربية لابنتها مريم، باعتبارها جزءًا أساسيًا من الحفاظ على الهوية والانتماء الثقافي. حيث يتجلى الوعي العميق لدى الأم بأهمية اللغة كجسر يربط الأجيال بموروثهم الثقافي والقيمي. بقولها: **"أحمد عالم وسوف يقودك بتوجيهاته النيرة الى تعلم اللغة العربية التي تعتبر كنزا لا يفنى".**[2]

قد تتنوع الثقافات ضمن هوية واحدة، كما قد تلتقي هويات متعددة داخل ثقافة واحدة، وهو ما يعكس جوهر الوحدة. فبينما تنتمي هوية شعب ما إلى ثقافات مختلفة، تختلط عناصر هذه الثقافات لتشكل هوية موحدة[3].وفي هذا السياق، أبرز الكاتب التعايش بين ثقافات متعددة في نفس الواحة، مما أضفى على الرواية طابعًا خاصًا وأبعادًا إنسانية مميزة. ففي تلك الواحة نجد مزيجًا من البدوي والقصوري والشلحي، حيث يكمل كل منهم الآخر ويعتمد عليه، ما يعكس روح التعاون والتكامل بين هذه الثقافات. هذا التنوع الثقافي ساعد في تشكيل هوية متميزة للواحة، وأعطاها طابعًا فريدًا من خلال لهجاتها المتعددة، التي تمثل ثراءً ثقافيًا يعكس وحدة الوطن[4].

مظاهر الاحتفال بالأعراس والصدقات، جاء ذكرها بمناسبات عدة للدلالة على التمسك بالهوية الثقافية. وتتزامن هذه الاحتفاليات عادة مع فصل الخريف، الذي يعد فصلًا مميزًا للأفراح، حيث تؤثث المشاهد بلوحات فنتازية تُضفي طابعًا خاصًا على الأجواء الاحتفالية. للناس يوم العرس"**.. ير افقون العروس لبيت الزفاف، العذارى من البنات ينتقلن في أجواء جد بهية ومن العادة أن يحمل العروس أحد اقربائها ومن الافضل أن يكون عمها أو خالها بحيث تكون في الامام على ظهر أنثى الفرس أو بغلة يقودها خادم أو أحد أقرباء العروس..**" وتتقاطع هذه الصورة مع ما جاء في الرواية"**:وفترة الأفراح يقوم رجال الخير المسلمين مع عائلاتهم بزيارة الولي الصالح الراعي للطريقة ويهبون أضحية على عتبة القبة ويهبون الطعام على المساكين حيث يقدّمون أضحية على**

[1] عبد العزيز بن عثمان التويجري .العالم الإسلامي في عصر العولمة، دار الشروق، القاهرة، 2004، ص. 57.

[2] محمد ولد الشيخ أغا .المرجع السابق، ص. 31.

[3] عبد العزيز بن عثمان التويجري .المرجع السابق، ص. 9.

[4] محمد ولد الشيخ أغا .المرجع نفسه، ص. 67.

عتبة القبة، ويطعمون المساكين الذين يأتون من كل مكان، خاصة مع اقتراب موسم الحفلات. وعندما ينتهي الناس من تناول الطعام، يرفعون أيديهم إلى مستوى وجوههم بأكف مفتوحة، يقرؤون الفاتحة، ثم يدعون الله للولي الصالح ولكل من تصدقوا عليهم وأكرموهم، ولعائلاتهم". [1]

هنا يظهر المؤلف الترابط بين الممارسات الروحية والهوية الثقافية في المجتمع، حيث يتمسك الأفراد بموروثهم الروحي والثقافي كوسيلة للبحث عن الأمل والطمأنينة في أوقات الحزن "**خديجة تعيش منذ مدة في قلق و انتظار، تذهب كل صباح جمعة لتصلي في زاوية سيدي الإمام الهواري مولى وهران، تشعل خديجة الشموع وتجلس بكل خشوع على ركبتيها أمام تابوت الولي الصالح وتدعو: يا ربي يا قدير، بجاه سيدنا محمد وهذا المكان المبارك، احمِ لي ولديَّ وردهما لي سالمين".**[2]

مظهر أخر يعزز ما سبق من خلال الرقص، كما يتم التعبير عن التنوع الثقافي للهوية الجماعية، "**في وسط الساحة بعض المحاربين ينفذون بعض طقوس الرقص على شكل صفين تتجه كل فرقة نحو الأخرى وبنادقهم بأيديهم يقفزون ويتحركون كالمولعين بالحرب**". كما يُثري الكاتب وصفه بإبراز عدد من الرقصات التقليدية التي تجسد التعدد الثقافي في المجتمع، مثل"الجذيب"[3] التي تختص بهاالنساء، و"رقصة القرقابو"[4] التي ترتبط بالزنوج، إضافة إلى موسيقى "القانقا" Ganga[5]. رغم كل هذا يظل الرقص وسيلة للاحتفال بالمناسبات الخاصة مثل الأعراس، والأعياد، والمهرجانات، أين تتناغم الحركات الموسيقية مع الألحان لتعكس الفرح أو الحزن أو حتى الشجاعة والتضامن. من جهة أخرى تبقى الألعاب الشعبية جزءًا أساسيًا من التراث الثقافي ووسيلة للحفاظ عليه، كما في "ألعاب عيساوة"، إذ تتلخص هذه اللعبة في وصف الكاتب" :**تقوم عيساوة بالألعاب التي تفرح المتفرجين الذين يقابلونهم فيطلبون منهم الصدقة... هكذا من منزل إلى منزل ومن قصر إلى قصر".**[6]

أما عن الأكلات الشعبية في الرواية فكانت مشهدا يوحي بتقاليد وأصالة مجتمع بقي متمسكا بها رغم كل التحولات والتحديات التي واجهها مما يعكس صورة من البساطة والانتماء. يتجلى ذلك في الوصف الحي لطقوس العشاء:"**عند العشاء يجتمع المحاربون على شكل دائري عشاري حول موائد الأكل يغرفون أيديهم في الكسكسي...**". أما عندما تذكر الصحراء، فإن قعدة الشاي تتصدر

[1] محمد ولد الشيخ أغا. المرجع السابق، ص 134.
[2] المرجع نفسه، ص 207.
[3] المرجع نفسه، ص 38.
[4] المرجع نفسه، ص 39.
[5] المرجع نفسه، ص 145.
[6] المرجع نفسه، ص 146.

المشهد كرمز للضيافة والتقاليد الصحراوية "... **ويختمون أكلهم بشرب الشاي**"[1]، ونجده في موضع اخر في قوله: **"ترجع الى مكانها في وسط الضحك، الخادمات يقدمن كؤوس الشاي"**[2].

الملبس هو أيضا أحد عوامل إثبات الهوية الثقافية، حيث يُمثل البرنوس رمزًا بارزًا، خاصة في تلك الفترة التاريخية. حيث قدّم الكاتب صورة الجزائري الذي حافظ على إرثه وتمسك بعاداته وتقاليده، مهما كانت هناك تأثيرات أجنبية دخيلة. ويظهر هذا جليًا في وصفه لأحمد مسعودي، المسلم المتعلم المثقف، حين قال: **"يفتح الباب فيدخل احمد مسعودي، المسلم المتعلم المثقف وهو يرتدي بأناقة برنوسا من الحرير الأبيض فوق بدلة أهلية ذات قماش أسود..."** [3] .كما صور لنا الضابط جان حفيظ في هيئته الجديدة، مرتديًا بدلة الأهالي:" **شملة البرنوس مرمية على كتفه والبندقية في قبضته، والرأس ملفوف في عمامة من الموسلين، وفوقه جلباب أبيض يحمل على كتفه جر ابًا"**[4].

ثالثاً: الهوية الاجتماعية في الرو اية

تغدو الهوية الاجتماعية تلك الصورة أو الشكل الذي تكوّنه مجموعة معينة عن نفسها، حيث تنشأ من الداخل باتجاه الخارج، وتمثل وعي الأفراد الذين ينتمون إليها. أي أنها تتشكل في واقع الأمر من الأفراد أنفسهم[5].ويرى **ريتشارد جنكينز** أن «**الهوية الاجتماعية تتمثل في تصورنا حول من نكون نحن ومن يكون الآخرون، وكذلك في الطريقة التي يرى بها الآخرون أنفسهم والآخرين من حولهم**».[6]هاته التعريفات حاكت جانبا من الأحداث السردية في الرواية من خلال العادات، والعمارة، والمهن، والمعتقدات.

عرضت الرواية تفاصيل دقيقة عن طبيعة الحياة الاجتماعية في المنطقة الجنوبية خلال الحقبة الاستعمارية، مسلطةً الضوء على الروابط الاجتماعية بين سكان الواحة .فقد تطرّق المؤلف حتمية إلى التعايش والانسجام بين مختلف مكونات مجتمع الصحراء، بتنوعه العرقي والديني بقوله" :**الشلح لا يتفاهمون مع القصوريين واليهود، إلا أنهم لا يمكنهم الاستغناء عنهم، لهذا نجدهم متحدين مع القصوريين واليهود والبدو، حيث في الواحة لا يستغني أحد عن أحد"**.[7]وفي مشهدا أخر قدّم **وصفًا نابضًا بالحياة**

[1] محمد ولد الشيخ أغا .المرجع السابق، ص. 269.

[2] المرجع نفسه، ص. 111.

[3] المرجع نفسه، ص. 31-32.

[4] المرجع نفسه، ص. 117.

[5] يان أسمن .الذاكرة الحضارية: الكتابة والذكرى والهوية السياسية في الحضارة الكبرى، ترجمة عبد الحليم عبد الغني رجب، الهيئة المصرية العامة، 2013، ص. 214.

[6] هارلمبوس هولبورن .المرجع السابق، ص. 93.

[7] محمد ولد الشيخ أغا .المرجع السابق، ص. 67.

للأحداث اليومية في الواحة، ما يعكس روح الفرح والبساطة التي تميز هذا المجتمع " **في الواحة النساء والرجال والأطفال يغنون ... الماشية تمرح صارخة من السعادة**".[1]

في هذه البيئة الصحراوية الغنية بالمظاهر الاجتماعية التي تعكس العادات المحلية، يبرز تجمع شيوخ "تاجماعت" كمظهر من مظاهر الهوية الاجتماعية. فهو يُعد مركزًا تقليديًا لمناقشة شؤون المجتمع وحل النزاعات بشكل سلمي داخلي، بهدف الحفاظ على التوازن الاجتماعي ووحدته. وقد أشار المؤلف إلى استمرار هذه الممارسات: "**بعض الممارسات تم الاحتفاظ بها إلى حد الآن، الكثير من الخصومات بين الأهالي كانت تحل داخل الجماعة**"[2].

تعرضت الرواية أيضًا إلى بعض المعتقدات السائدة بين أهل المنطقة، مثل التردد على الزوايا والمقامات بهدف التقرب إلى الله سبحانه وتعالى والدعاء في أوقات المحن، طلبًا الإغاثة والحماية. ويصف الكاتب هذا المشهد بقوله" :**النساء والأطفال في مقامات الأولياء، فإنهم يدعون الله ويطلبون الإغاثة والحماية والانتصار**"[3].

ولم يقتصر الكاتب على تصوير الجانب الاجتماعي فقط، بل جسد الهوية من خلال العمارة التقليدية للقصور الصحراوية، حيث نقل بدقة ملامح الهندسة المحلية المتميزة. في وصفه التفصيلي، بقوله" :**تافيلالت هي مجموعة قصور، ومن أهم قصورها قصر الريساني بجدرانه و أبراجه وأزقته ومنازله المرتبكة بأسقفها المستوية والمكتظة على طول الشوارع، وزقاق ملتوية ومظلمة تعلوها قباب ومآذن المساجد**..." [4].هذا ما عكس عمق التراث المعماري. للمنطقة، بالإضافة إلى أن الواحة كانت مركزًا محوريًا في التبادل التجاري والذي يشكل خصوصية واستقلالية تميزت بها المنطقة في البيئة الصحراوية، موضحا هذه الأهمية بقوله:"**فواحة تافيلالت تعد السوق الوحيد لقو افل الشمال والجنوب** [5]"،ومبرزا دورها "**في هذه الواحة تحط قو افل المغاربة والجز ائريين والسودانيين وتتم عمليات التبادل الر ابحة**"[6]

تعددت الأمكنة التي تنقل بينها الكاتب في روايته، حيث ذكر مدنًا مثل "وهران"، "الجزائر"، "كولومب بشار"، و"سجلماسة"، ما يمنح القارئ صورة شاملة عن السياقات الاجتماعية والجغرافية التي تؤثر على الهوية المحلية لسكان المنطقة.

---

[1] محمد ولد الشيخ أغا .المرجع السابق، ص. 119.

[2] المرجع نفسه، ص 76.

[3] المرجع نفسه، ص.261.

[4] المرجع نفسه، ص.65.

[5] المرجع نفسه، ص.69.

[6] المرجع نفسه، ص. 67.

أما السوق، فيُعد موروثًا شعبيًا غنيًا بالمعاني الثقافية والاجتماعية، إذ يعكس صورة حية من حياة الناس وتفاعلاتهم اليومية بوصف الكاتب: **"في السوق حشد كبير وهائج يطوف، تجار مسرعون، يهود منشغلون، متجولون كسلاء، شلوح حاملون مسدسات وخناجر، قرصان وقو افل، باعة الماء عراة السيقان والقرب مملوءة على ظهورهم. أطفال ونساء يهرولون باضطراب وسط الزحمة"**[1].

أما عن المهن التقليدية التي شكلت جزءًا أساسيًا من الهوية الاجتماعية لسكان المنطقة، أولها الفلاحة، حيث يهتمون ببساتينهم" **يعتني القصوريون ببساتينهم حيث أشجار النخيل والسفرجل والتين واللوز والمشمش والرمان**" [2].بالإضافة إلى ذلك هناك مهن أخرى، مثل الرعي وحياكة الصوف، وهي أنشطة ارتبطت بأسلوب العيش التقليدي في هذه البيئة.

لا ريب أن النساء عماد الحياة اليومية في المجتمع التقليدي، حيث يؤدين دورًا محوريًا في الحفاظ على التقاليد الحرفية والمنزلية. حيث:"**تقوم النساء بالأشغال المنزلية وحياكة الزرابي والبرانس والجلابيب والاغطية الصوفية**" [3] . هذه الحرف اليدوية تمثل أكثر من مجرد أعمال يومية، فهي انعكاس لهوية المجتمع وجذوره التاريخية، وترسيخ للقيم والعادات وتذكير للمستدمر بأننا لانزال متمسكين بتقاليدنا التي هي أساس هويتنا.

[1] محمد ولد الشيخ أغا. المرجع السابق، ص.120.

[2] المرجع نفسه، ص .66.

[3] المرجع نفسه، ص.68.

2. المطلب الثاني: الصراع الهويات وتجلياته في الرو اية

يمثل التناقض عنصراً لا غنى عنه في تشكيل الهوية، فهو بطبيعته غير قابل للنشوء أو التطور في غياب الصراع والتضاد. فهي ليست ظاهرة عفوية، بل تتشكل من خلال التفاعل مع الآخر، سواء في شكل صراع أو توافق. وفي هذا الصدد، تجدر الإشارة بشكل خاص إلى تأكيد الناقد البارز **إدوارد سعيد** على أن الهوية «**لا توجد بمفردها وبدون مجموعة من الأضداد والنقائض والأضداد**»[1]. وتؤكد هذه المقولة على فكرة أن الهوية مرهونة بالاختلافات المحيطة بها، وأنها من خلال هذه الاختلافات هي القادرة على التبلور والظهور في سياق المجتمعات.

يتجلى هذا الصراع بشكل واضح في الروايات الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، والتي ظهرت كردّ فعل لترسيخ معالم الهوية الجزائرية التي حاولت الرواية الكولونيالية طمسها. لذلك سعى الكتّاب الجزائريون، سواء في أعمالهم المكتوبة الفرنسية، إلى تأكيد هويتهم الإسلامية والعربية والجزائرية. فقد "ناضل هؤلاء خير نضال بمحاربة الاستعمار بلغته التي اعتمدها سلاحًا ضده"، وهو ما يتجسد في رواية مريم بين النخيل، التي تُعدّ واحدة من أبرز الروايات التي تناول فيها محمد ولد الشيخ الصراع الهوياتي بشكل مضمر، حيث برزت هذه الإشكالية بوضوح في شخصيات الرواية التي عاشت تمزقًا بين عالمين متناقضين خلال فترة الاستعمار (المرحلة الكولونيالية).

أولًا: تأثير الهويات الفرعية في تعميق الصراع في رو اية "مريم بين النخيل"

أ. تأثير الأب (ديبوسي): فرض الهوية الفرنسية والعلمانية

الكابتن ديبوسي، يمثل المثال الأسمى للهوية الفرنسية الاستدمارية في أوائل القرن العشرين. فهو تجسيد واضح للهيمنة الفرنسية، ليس فقط كضابط عسكري، بل كممثل لأيديولوجية فرنسية متغطرسة تسعى إلى فرض نموذجها على الأفراد والمجتمعات. ففي نظر ديبوسي، لا يمكن أن يتسق مفهوم الهوية مع التعددية الثقافية، فهو لا يضع في اعتباره سوى الهوية الفرنسية التي ينتمي إليها، ويرفض أي نوع من الهويات الأخرى التي قد تؤثر على أبنائه. كما يرى أن أبناءه يجب أن يكونوا فرنسيين في كل شيء: اللغة، التعليم، الممارسات اليومية، وحتى المعتقدات.

ينطلق ديبوسي من قناعة راسخة بأن الثقافة الفرنسية هي النموذج الأسمى، ويعمل جاهدًا على تربية أبنائه وفقًا لهذه الرؤية. وقد اختار لهم المدارس الفرنسية ليزرع فيهم قيمها- ويجعلها مرجعهم الوحيد في الحياة. كان يعتقد أن لا مكان للثقافة الإسلامية أو

[1] ادوارد سعيد. المرجع السابق، ص.119.

اللغة العربية في عالم أبنائه، حيث كان يصر على أن يعيشوا في بيئة تعزز القيم الفرنسية وتبتعد عن أي تأثير ثقافي آخر.

رفض ديبوسي أن يرى زوجته تتحدث بالعربية مع الأطفال أو تعلمهم العادات الجزائرية التقليدية[1]، رؤيته هاته كانت واضحة تجاه تنشئة أبنائه، إذ اختار المنهج الغربي الخالص بعيدا عن أي انتماء عقائدي بقوله: **"لن أعلمهما لا الكتاب المقدس ولا القرآن... أنا مفكر حر."**[2] في اعتقاده، يجب أن تكون التربية خالية من أي تأثير ديني أو ثقافي قد يعوق تطور أبنائه في المجتمع الأوروبي.

يعكس موقف ديبوسي تجاه زوجته بعدًا آخر لهذا الصراع، رغم زواجه من خديجة، وهي امرأة مسلمة تنتمي إلى ثقافة عربية إسلامية غنية، إلا أنه لم يُظهر أي احترام لمعتقداتها أو تراثها. بل على العكس، أفصح سلوكه الوجه الاستدماري الغربي القائم على سيادة الرجل الأبيض وعقدة التفوق والاستعلاء، عاملها وكأنها مجرد تابع بلا رأي أو إرادة. هذا المشهد استعلائي لديبوسي على المجتمع العربي، الذي لم يكن يرى زواجه من خديجة ارتباطًا متكافئًا، بل علاقة تسلط وتحكم. بوصف الكاتب:**"في يوم، زارهم أصدقاء فرنسيون فلاموه عن سلوكياته المهينة اتجاه زوجته، لكن رغم ذلك ظل يزدريها."**[3]وتزيد غطرسة ديبوسي ذروتها حين يسلب دور الأم في تربية أبنائها أو حتى منحها دور المربية، **"لم تسعد خديجة حتى بدور خادمة المربيَة لأنه كان يراها غير جديرة بذلك."**[4] بيد أن نظرته، للثقافة الفرنسية التي يمثلها كانت الأكثر رقيًا، هنا لا مكان لتقاليد وديانة خديجة. وأي محاولة منها تُعتبر بمثابة إعاقة لمشروعه في "تربية" أبنائه وفق التنشئة الفرنسية، هذا الاستعلاء الثقافي تجاه المجتمع العربي كان يؤجج الصراع بينه وبين زوجته.

هذا التناقض أدى إلى أزمة هوية لدى الأبناء، الذين يجدون أنفسهم في تتبع خطة طريق رسمها الأب عنوانها العصرنة ومضمونها الفرنسة وبين سعي ومثابرة الأم من أجل جذبهم إلى ثقافتها العربية وجذورهم الإسلامية. الأبناء في حالة من الاغتراب الداخلي إذ لا يستطيعون الانتماء الكامل إلى أي من الثقافتين **"كانا مهتمين بالعصرنة التي تعدُ العدوَ اللدود لكل ديانة. لأنها تفسد من يفرط فيها وتؤدي به إلى الضياع."**[5]. أضحى تأثير ديبوسي داخل الرواية أكثر من مجرد تأثير أبوي، بل هو صورة طبق الأصل لأفعال المستدمر الفرنسي في المجتمعات المستدمرة، حيث تهدف إلى إعادة تشكيل الأفراد ثقافيًا وفكريًا وفقًا لمعاييره. وتجسد الرواية في شخصيته صراعًا عميقًا بين الهيمنة الثقافية والمقاومة الداخلية، مما يعكس الصراع الذي عاشته المجتمعات المستدمرة في

[1] محمد ولد الشيخ أغا، المرجع السابق، ص. 21.

[2] المرجع نفسه، ص.23.

[3] المرجع نفسه، ص .23.

[4] المرجع نفسه، ص.22.

[5] المرجع نفسه، ص.25.

محاولاتها للحفاظ على هويتها الأصيلة في مواجهة محاولات طمسها.

ب. تأثير الأم (خديجة): الدفاع عن الهوية العربية والإسلامية

خديجة هي الطرف المقابل في هذا الصراع، تسعى بشتى الطرق استرجاع أبنائها وتقريبهم من جذرهم العربية الإسلامية مخافة ذوبانهم في العصرنة الفرنسية. وفي هذا السياق، يقول عبد الغفار رشاد: «**ترجع جذور أزمة الهوية في الجزائر إلى مرحلة الاحتلال الفرنسي، الذي أسهم في سحق بعض جذور الهوية وأهمها الدين، واللغة، ومحاربة ونسخ كل ما هو جزائري طيلة فترة تواجده، إذ أن الاحتلال اللغوي وسيادة الثقافة الفرنسية في التعاملات اليومية لعقود عديدة أسهم في تفجر إشكالية الهوية الوطنية الجزائرية**»[1].

في لحظة من تهور وطيش الشباب، تزوجت خديجة من النقيب دبوسي دون أن تأخذ بعين الاعتبار الفجوة الثقافية الكبيرة التي تفصل بينهما. ولم تدرك خديجة خطأها إلا عند ولادة ابنها جان حفيظ، الأخ الأكبر لمريم. يرمز هذا الزواج إلى غزو الجزائر من قبل الجيش الفرنسي، حيث لم تختر الجزائر هذا الوضع بل فرض عليها إنه أمر لا مفر منه[2]. في البداية، كانت خديجة تعتقد أن التعايش مع زوجها الفرنسي ممكن دون المساس بهويتها أو هوية أبنائها، لكن هذا الوهم سرعان ما تبخر عندما اكتشفت عمق الفجوة بينهما. فبدأت تدرك حقيقة صراع الهوية الذي يواجهه أبناؤها.

أيقنت الأم حجم الصراع والأمر ليس مجرد اختلاف بسيط، بوصف الكاتب:"**الألم... تدرك خديجة أن لا مفر منه...**"[3].وأن المنجي الوحيد هو العودة الى الله وتعاليم الدين الإسلامي، والبدء بتعلم اللغة حسب قول إمام المصلحين ابن باديس: "**اعلموا أن لا بقاء للإسلام إلا بتعليم عقائده وأخلاقه وآدابه وأحكامه وأن لا تعليم له إلا بتعليم لغته**"[4]، فهدوء الأم وثباتها وإصرارها قلب موازين القضية بإجراء خطوة جريئة تحسب لها وهذا " **أثناء غياب النقيب في مهمة إلى الجنوب دامت شهرا، قامت خديجة بتخثين ولدها واعطته اسم "حفيظ"**[5].

بعد وفاة زوجها، عظمت المسؤولية، هذا الوضع لم يجرها للاستسلام بل دفعها قدما لمواجهة تأثيرات الثقافة الفرنسية على أبنائها "**هذه المسلمة أزعجتها، وقد حاولت بعد وفاة النقيب ديبوسي انقاذ جون ومريم من هذا الخطر الذي نادرا ما ينجو منه أطفال**

---

[1] عبد الغفار رشاد .الرأي العام والتحول الديمقراطي في عصر المعلومات، القاهرة، مكتبة الآداب، 2003، ص. 131.

[2] Hadj Dahmane. Ibid, p. 31.

[3] محمد ولد الشيخ أغا .المرجع نفسه، ص. 25.

[4] عبد الحميد بن باديس" .دعوة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأصولها"، الشهاب، ج. 3، المجلد 72، 1921م، ص. 57.

[5] محمد ولد الشيخ أغا .المرجع السابق، ص. 24.

الزواج المختلط". قد جسدت غريزة الأمومة عند خديجة "قوة إضافية" دفعتها لتوجيه أبنائها نحو جذورها الثقافية والدينية. فبدأت في ربطهم بتلك الجذور من خلال تعليمهم اللغة العربية وتعزيز ارتباطهم بالدين، فكانت تؤمن أن الهوية يمكن أن تضيع إذا ابتعد الفرد عن دينه[1]. لذلك قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**﴾[2]. وكانت **"لا ترى نجاة ولديها إلا في الدين"**[3]. بالنسبة لخديجة، كانت المهمة واضحة، حيث شعرت بواجب إعادة أطفالها، إلى دينها وثقافتها الإسلامية: **"لم ترَ الخلاص إلا في الدين الذي ينير الناس ويهذبهم؛ وكانت ترغب بشدة في إسلام أطفالها".** وكانت تجد دعمًا وتشجيعًا من رجل دين صالح، شيخ عالم، طيب وورع قال لها: **"علّمهم، كلمة الله... القرآن هو الهدى ونور البشر في هذا العالم الفاسد الذي هو سفينة في غرق... وحدها عبادة الله هي خلاصهم.** [4] " و رغم ميل مريم وجان للثقافة الغربية، فقد رافقت الأم أبناءها بحذر وكانت تدرك أن الهوية لا تُفرض بالقوة، بل تُكتسب عبر الوعي والاقتناع، **"خشية أن تصدم مشاعرهما."**[5] أصبحت خديجة رمزًا للصمود والمقاومة. لأنها أدركت أن التمسك بالهوية، ولو بأساليب هادئة، يعد شكلًا من أشكال المقاومة ضد محاولات الطمس والهيمنة.

ثانياً: الشخصيات الرئيسية ومظاهر الصراع في رواية "مريم بين النخيل"

اجتمع العديد من الدارسين إلى أن الرواية جنس أدبي تدار فيه الأحداث لشخصيات بديناميكية تفضي إلى تطور الحبكة بفضل تفاعل شخصياتها[6].هذا التفاعل والانفعال يفضي إلى شكل من أشكال الصراع والذي يعد عنصرا من العناصر الأساسية في العملية السردية إذ يبرز تلك التعقيدات النابعة من المعتقدات،[7]ما يخلق توترًا دراميًا يسهم في دفع الأحداث نحو التطور والتشويق.

وفي هذا السياق، يقول علي أحمد باكثير **«ولكي يشتد الصراع ويحتدم يجب أن يتحقق التباين بين الشخصيات ويجب أن تكون بين هذه الشخصيات شخصية محورية من ذلك الطراز القوي العنيد الذي لا قنع بأنصاف الحلول فإما بلوغ كل ما يريد أو يتحطم».**[8]

---

[1] التويجري، عبد العزيز .الهوية والعولمة من منظور التنوع الثقافي، ط2، الرباط: منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، 2015، ص. 19.

[2] سورة التوبة، الآية 122.

[3] محمد ولد الشيخ أغا .المرجع نفسه، ص. 25.

[4] ينظر :المرجع نفسه، ص. 25.

[5] المرجع نفسه، ص. 25.

[6] عقاق، قادة .دلالة المدينة في الخطاب الشعري المعاصر: دراسة في إشكالية التلقي الجماعي للمكان، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 2011، ص. 22.

[7] المرجع نفسه، ص. 19.

[8] علي أحمد باكثير .المرجع نفسه، ص. 65.

أ. شخصية مريم وصراعها الداخلي

- **مريم كرمز للمرأة الحديثة والهوية المزدوجة:** من خلال شخصية مريم، يتجسد بوضوح الصراع الداخلي في البحث عن الهوية. فقد نشأت في بيئة فرنسية خالصة داخل الجزائر، مما جعلها في البداية تميل إلى تبني النموذج الغربي في حياتها، متأثرةً بتلك التربية التي شكلت رؤيتها للعالم. يصفها الكاتب بأنها "**فرنسية قحة متعلمة ومثقفة**"[1]، مقتنعة بأن هذا الانتماء هو الذي يحدد مسارها وهويتها. ومع ذلك، كانت تحمل في جيناتها إرثًا عربيًا وإسلاميًا لم تكن مدركة له بالكامل في البداية. وهكذا، اختزل الكاتب صراع الهوية في شخصية مريم، ليصبح رمزًا لحالتها الوجودية، حيث تعيش تمزقًا داخليًا بين انتماءين متضادين، وتجد نفسها تكتشف ذاتها الحقيقية فيما بعد.

- **بين الفراغ الروحي والانتماء الديني:** لا غرو أن نشأة مريم في بيئة علمانية خالية من التعاليم الدينية سببه قرار والدها ديبوسي صاحب التفكير الحر. التي كانت نتائجه، أنها أصبحت عالقة بين إسلام الأم خديجة وعلمانية الأب المفروضة، هذا دون أن تشعر بانتماء واضح لأي منهما. ولم يكن الفكر العلماني الذي نشأت فيه كافيًا لإشباع حاجتها الروحية، خاصة بعد مقتل والدها، الذي ترك فراغًا عاطفيًا وروحيًا في حياتها. فأدى هذا الصراع إلى حالة من الحيرة والارتباك الداخلي، حيث ظلت مريم تتأرجح بين رغبتها في الاستمتاع بالعصرنة، التي فرض عليها نوعًا من اللامبالاة الروحية ورسائل الأم المشفرة بقلقها الدائم عليها. وبمرور الوقت، بدأت مريم تتلقى دروسًا في اللغة العربية على يد سي أحمد، الشاب المسلم المثقف. لم تكن هذه الدروس مجرد اكتساب لمعارف فقط، بل كانت بمثابة رحلة لاكتشاف نصفها الثاني لجذورها الروحية وهويتها الدينية الإسلامية، ما جعلها تنظر إلى الإسلام باحترام. وكما يقول **محمد عمارة: «إن الإسلام، منذ أن تدينت به أغلبية هذه الأمة، أصبح هو الهوية الممثلة لأصالة وثقافة هذه الأمة»**[2].

- **بين القيم الفرنسية والتقاليد العربية:** تعلق الصراع الثقافي لمريم داخليا، إذ نجدها متعلقة بين ثقافتين فرنسية بالكامل، نظرًا لنمط حياتها الأوروبي وتعليمها الذي رسّخ لديها القيم الغربية. "**فعلا لا يمكنها بسهولة تغير حاصل نمط حياتها الذي عاشته لحد الان**"[3]. تعيش كفتاة حديثة، ترتدي الملابس الأوروبية، وتتحدث الفرنسية بطلاقة، ما جعلها تنظر إلى الثقافة العربية والإسلامية من منظور غربي، وأحيانًا بتشكك.

مريم لم تشعر بأي انتماء للمجتمع العربي الذي تنحدر منه أمها، بل كانت ترى في الثقافة الفرنسية رمزًا للتقدم والحداثة. لكن مع

[1] محمد ولد الشيخ أغا .المرجع نفسه، ص. 19.

[2] محمد عمارة .مخاطر العولمة، دار نهضة مصر، ط1، 1999، ص. 6.

[3] محمد ولد الشيخ أغا .المرجع السابق، ص. 28.

مرور الوقت، بدأت هذه القناعة تتزعزع، حين أدركت أن النموذج الغربي الذي نشأت عليه لا يعكس هويتها الحقيقية بالكامل. بل كان مجرد إطار فرضته عليها بيئتها، يبتعد عن الجذور الثقافية التي تنتمي إليها. كما بدأت تدرك أن تاريخها العائلي ليس فرنسيًا بالكامل، بل يحمل جذورًا عربية عميقة يجب أن تفهمها وتعيد اكتشافها. تأخذ هذه الرحلة منحى أكثر عمقًا عندما تشرع والدتها في تعليمها اللغة العربية، في خطوة لم تكن مجرد اكتساب لغة جديدة، بل كانت بمثابة استعادة لجزء ضائع من ذاتها. يبدأ الصراع الداخلي لمريم منذ لحظة تعرُّفها على أحمد، الشاب المسلم المثقف، حيث تبدأ في استكشاف جذورها العربية التي حاول والدها طمسها لسنوات .«**ولأن اللغة تعتبر الجزء الأهم من مقومات هوية الأمة، فقد استعملت فرنسا جميع الأساليب للقضاء على اللغة العربية، إذ كان غزو فرنسا للجزائر غزوًا شاملًا**[1]**.**»

على صعيد أخر، تشهد مريم صراعًا قيميًا وثقافيًا يتجلى بوضوح عندما سافرت جنوبًا في رحلة بالطائرة إلى تافيلالت، حيث اضطرت إلى الهبوط في بلد متمرد، ليتم أسرها من قبل الطاغية السلطان بلقاسم، فتكتشف فيه مفهوما أخر للحياة يرى أن المرأة مجرد جارية يمتلكها ليمارس عليها سلطته النمرودية، فرفض مريم المثول لرغباته أزَم الوضع، هذا ما يدفع السلطان إلى التخلص منها وإذلالها ليرسل للمحاربين معلنًا في الحفل: "**سيدنا سيمنح للبطل السجينة، وستصبح ملكًا للفائز بالسقال**[2]**.** "رغم صعوبة الموقف، حاولت مريم الدفاع عن حريتها وكرامتها في مواجهة نظام استبدادي لا يعترف بإرادة الفرد، خاصة المرأة، ويعاملها كسلعة يمكن امتلاكها أو التفاوض عليها. هذا الصراع يعكس التناقض بين قيم الحداثة التي نشأت عليها مريم، وبين القيم القمعية التي تحاول إخضاعها.

- **بين الانتماء والرفض:** يُشكل صراع الانتماء والرفض في حياة مريم محورًا أساسيًا في تطورها النفسي والاجتماعي. ففي البداية، أن اختيارها لممارسة هواية الطيران، التي ترمز إلى الحرية والتقدم وفق المفهوم الأوروبي، وخطوبتها من إيباتوف، كانت بمثابة تأكيد لهذا الانتماء. بمرور الوقت، شعرت مريم بهشاشة هذا الانتماء وتناقضاته. فقد صُدمت بنظرة المستدمرين الأوروبيين الدونية للعرب، إذ اكتشفت مواقف عنصرية كانت غائبة عنها. والتي تجلّت بوضوح في شخصية إيباتوف، الذي رفض أي تقارب بينها وبين جذورها العربية، معبرًا عن غضبه ورفضه لعلاقتها بأحمد: "**هذا الغبي، يُعلِم مريم القرآن** "[3].كلما زاد اقتراب مريم من أحمد

[1] نوال بن صالح ." الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وثورة التحرير" : صراع اللغة والهوية، مجلة المخبر، أرجاء في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد 7، 2011، ص. 222.

[2] محمد ولد الشيخ أغا .المرجع السابق، ص. 232.

[3] المرجع نفسه، ص. 35.

ومحاولتها تعلم اللغة العربية، زادت فوقية إيباتوف في التعامل معها، حتى أفصح عن عنصريته بشكل أكثر وضوحًا **"الرأس مع الرأس مع هذا 'البيكو' لا تعجبني."**[1] .كان هذا التصريح المهين بمثابة الصفعة التي أيقظت مريم على حقيقة العالم الذي تنتمي إليه. فأدركت حينها أن انتماءها لهذا المجتمع لم يكن سوى وهم، وأنها مهما حاولت الاندماج، ستظل في نظرهم مختلفة وموضع ريب. هذه الصدمة نقطة تحول جوهرية في شخصية مريم، حيث اصطدمت بحقيقة العنصرية المتجذرة في خطيبها، ما أثار بداخلها تساؤلات عميقة حول هويتها الحقيقية. لم يكن هذا مجرد انزعاج عابر، بل لحظة وعي دفعتها إلى اتخاذ قرار حاسم. **"هذا البهيمة، أبله... لا يمكنني أن أحبه، أبدا، سأكون تعيسة إن عشت معه..."**[2]، كانت تلك الكلمات تعبيرًا عن الرفض الجذري لهذا العالم الذي بدأ يظهر لها على حقيقته.

شهدت مريم صراعًا اجتماعيًا من نوع آخر منذ لحظة اختطافها، حيث وجدت نفسها فجأة في مواجهة واقع جديد، خالٍ من الامتيازات التي منحتها هويتها الأوروبية. كانت صدمتها الكبرى حين اختطفها بلقاسم، فانتزعت منها كل الحماية التي وفرها لها انتماؤها السابق، ولم تصبح قادرة على التمسك بماضيها كدرع يحميها. إذ وجدت نفسها وحيدة، مجرّدة من كل شيء سوى ذاتها، وعليها أن تواجه مصيرها بمفردها.

بلغ هذا الصراع ذروته عندما حاول سلطان تافيلالت الزواج منها بالقوة، مستخدمًا الإغراء والسلطة لفرض سيطرته عليها. يتجلى ذلك في الحوار الذي دار بينهما، حين قال لها: **سيكون لكِ رقيق وخدم... وبساتين ومجوهرات وكل الأشياء الجميلة التي تحبين... كل هذا يعتمد على كلمة منكِ** ."...لكن مريم رفضت بعزم قائلة" :**كل العروض لا يمكن أن تعجبني ما دمتُ محجوزة رغم إرادتي"**، ثم أضافت بحزم: **"لا تُصرّ، لن أكون زوجتك."!**[3]. لم يكن هذا المشهد مجرد مواجهة بين رجل وامرأة، بل كان انعكاسًا لصراع أعمق بين منظومتين متناقضتين: القيم الحديثة القائمة على الحرية والكرامة الإنسانية، والتقاليد الاستبدادية التي يمثلها السلطان. وبينما جسدت مريم روح التحرر والتمرد على الظلم، كان بلقاسم رمزًا للسلطة المطلقة، مما جعل الصدام بينهما أمرًا حتميًا.

ب. شخصية جان حفيظ وصراعه الداخلي

- **جان حفيظ كرمز للانتماء الضائع:** خلافا لمريم، لم يكن لدى جان حفيظ صراع واضح في البداية، لكنه كان مقتنعًا تمامًا فيه. ويبدو أنه تخلى عن تراثه العربي ليندمج تماماً في العالم الأوروبي. إلا أن هذا اليقين بدأ يتزعزع، خاصة بعد أحداث تافيلالت،

[1] محمد ولد الشيخ أغا .المرجع السابق، ص. 38.

[2] المرجع نفسه، ص. 39.

[3] المرجع نفسه، ص. 185.

وشعر بصراع داخلي كان يزداد حدة مع كل تجربة تمر عليه. وشكّل هذا الإدراك نقطة تحول جوهرية في حياته، حيث وجد نفسه أمام صراع داخلي عميق بين ولائه لفرنسا وجذوره العربية، وبدأ يبحث عن هويته الحقيقية.

- **بين العلمانية والإسلام:** مثل مريم، نشأ جان حفيظ في بيئة خالية من التعليم الديني، حيث قرر والده أن يبقى هو وأخته في حياد ديني كامل، مما جعله يفتقر إلى انتماء عقائدي واضح. لكنه، خالف مريم، في جزئية حيث لم يكن لديه اهتمام بالبحث عن الجانب الروحي، بل كان يعتبر الدين مجرد عبء تقليدي لا يرتبط بأهدافه المستقبلية. معتقدًا أن الدين لا يشكل جزءًا من الحياة الحديثة. ومع ذلك، يتجلى مظهر الصراع الداخلي في شخصية جان حفيظ حينما واجه نقدًا من حمدي بسبب سلوكياته التي تتنافى مع القيم الإسلامية. في حوار دار بينهما:**"ولكن أنت تشرب الخمر فإنك تعديت حدود الله "** [1].هذا المشهد يبرز بوضوح صراع الهوية الدينية في شخصية جان حفيظ، رغم تأثره العميق بالقيم الغربية، فإن التعاليم الإسلامية ما زالت تشكل مرجعًا أخلاقيًا واجتماعيًا، حتى لأولئك الذين نشأوا في بيئة فرنسية. أحداث الرواية تؤكد البُعد الأخلاقي للإسلام، وضرورة الالتزام بتعاليمه، ذلك بعدم تجاوز حدود الله، **بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** [2].

مع مرور الوقت، جان حفيظ يدرك أن هويته العربية لا يمكن إنكارها، ليبدأ في مواجهة صراع داخلي أعمق بين انتمائه الفرنسي وارتباطه العميق بجذوره العربية.

- **بين الولاء لفرنسا والانتماء للعرب:** جسّد جان حفيظ صورة الابن الذي يسير على خطى والده الفرنسي، حيث قرر الانضمام إلى الجيش الفرنسي **"آه يا أمي لقد قُلِد جون بوسام فارس فيلق الشرف وغادر كولومب بشار باتجاه مدينة "أرفود"...خديجة تتنهد وتقول: لقد كنت دائما أعارض مشروعه العسكري..."** [3]ويُظهر ولاءً واضحًا للثقافة الأوروبية، يتمسك بهويته الفرنسية التي نشأ عليها، بينما يرفض الهوية العربية التي حاولت والدته ترسيخها فيه. في الوقت نفسه، لم يكن يشعر بالانتماء إلى المجتمع العربي، ولم يكن لديه ارتباط حقيقي بثقافته. ولقاؤه بزهرة سيدفعه إلى إعادة النظر لعالمه الذي ينتمي إليه وما يريد أن يكون عليه.

- **بين القوة والاستسلام:** على الصعيد الاجتماعي، عاش جان حفيظ طوال حياته، مقتنعًا بأن القوة تكمن في فرنسا، وأن الانتماء إليها يعني الانتماء إلى السلطة والنفوذ، ينظر إلى المجتمع العربي باعتباره مجتمعًا متأخرًا وغير منظم، إذ شكل لديه تصورًا

[1] محمد ولد الشيخ أغا .المرجع السابق، ص. 175.

[2] سورة المائدة. الآية 90.

[3] المرجع نفسه. ص. 19.

متعاليًا نتيجة نشأته في بيئة استدمارية عسكرية. ففرنسا مثلت له نموذج التفوق، هذا ما دفعه إلى إبعاد نفسه عن أي ارتباط حقيقي بمجتمعه العربي.

حادثة وقوعه في الأسر نقطة التحوّل الكبرى، إذ واجه لأول مرة وضعية فقدان السلطة والامتيازات كضابط فرنسي، ليصبح مجرد فرد ضعيف، معزول عن عالمه السابق. هذا بوشاية إيباتوف له وتسليمه إلى بلقاسم، هنا يتبدد إحساسه بالأمان، ليجد نفسه في موقف يصعب التحكم فيه. يقول إيباتوف:"**علمت هذا الصباح أن لك سجينين فرنسيين، رجل وامرأة... وعندك، أظن، ضيف بربري اسمه حفيظ... إنه أخ الشابة الفرنسية**"[1].

في الأسر، يُسلب جان هويته العسكرية، ويجد نفسه محاطًا بواقع مختلف تمامًا عن نمط حياته السابقة."**في ساحة السجن، الملازم الأول جان ودالبري منهكان، تراهما ذاهبين وراجعين وهما يتحدثان... للأسف! لا بادرة أمل للعودة إلى وهران، حيث ينتظرنا ذوونا بأعين محدقة نحو الجنوب**".[2]جسد هذا المشهد شعوره العميق بالضياع. إنها لحظة مواجهة الذات، ليبدأ رحلة البحث عن معنى الانتماء الحقيقي.

تدفعه هذه التجربة القاسية إلى إعادة النظر في هويته الأصلية، فلم يعد يراها من منظور القوة العسكرية الاستدمارية، بل بدأ يكتشف فيها أبعادًا جديدة، متأثرًا بالبيئة التي وجد نفسه فيها. بدأ يدرك جان أن الهوية ليست مجرد انتماء رسمي أو سياسي، بل تجربة معاشة تتشكل من خلال التفاعل مع المكان والناس. كان هذا الأسر بمثابة أول احتكاك حقيقي له بالمجتمع العربي التقليدي، الذي كان يجهله من قبل. ففي هذه اللحظة، يتقاطع مسار الأخوين، إذ يدرك أنه لم يعد قادرًا على تجاهل جذوره العربية والتمسك بهوية فرنسية أججت من الصراع الداخلي الذي يعيشه. هنا تصبح العودة إلى الجذور ضرورة حتمية.

ثالثاً: تعدد السياقات وتأثيرها على صراع الهوية

تلعب السياقات المحيطة بالشخصيات دورًا محوريًا في تشكيل صراع الهوية وتطوره في رواية "مريم بين النخيل"، حيث تتداخل بشكل وثيق مع الهوية الثقافية والدينية والاجتماعية للأبطال. بتأثير متعدد الأبعاد، بين التاريخي المرتبط بالاستدمار الفرنسي، والثقافي الذي يعكس تناقضها القيمي الاجتماعي القائم على التقاليد والطبقات الاجتماعية. إضافة إلى ذلك، السياق العاطفي الذي يشكل العلاقات والتوجهات الشخصية، والسياق الشخصي الذي يطبع شخصية كل من مريم وجان حفيظ. بتداخل هذه

[1] محمد ولد الشيخ أغا .المرجع السابق، ص. 188.

[2] المرجع نفسه، ص. 245.

السياقات معًا يتعمق الانقسام الداخلي بين الشخصيات، هذاما يساهم في توجيه رحلة بحثهم عن الهوية.

أ. السياق التاريخي الاستعماري

تدور أحداث الرواية في العشرينيات من القرن الماضي، وهي فترة مفصلية بين الحربين العالميتين، شهدت ذروة الاستعمار الفرنسي في شمال إفريقيا. بدأت فرنسا فيها في إحكام سيطرتها على الجزائر منذ احتلالها عام 1830، وبعد أكثر من ثمانية عقود من الاحتلال، عززت نفوذها في المغرب بعد فرض الحماية الفرنسية عليه عام 1912[1]. فهذا الاحتلال ما هو إلا امتداد للحروب الصليبية على الإسلام. في هذه المرحلة، فرضت السلطات الاستعمارية أنظمة قانونية وقمعًا عسكريًا، بالإضافة إلى سياسات استعمارية ممنهجة لتشويه هوية الشعب الجزائري، عبر الفرنسة والتنصير وإثارة الفتن[2]، مما أدى إلى تفكك البنية الهوياتية للسكان المحليين وتراجع هويتهم الثقافية والدينية. في المقابل، شهدت هذه الفترة تصاعد حركات المقاومة ضد الاستعمار حيث خاضت القبائل الصحراوية والأمازيغية معارك شرسة ضد الاحتلال الفرنسي. وشكلت حرب الريف (1921-1926) بقيادة محمد بن عبد الكريم الخطابي واحدة من أبرز المحطات النضالية، إذ مثلت تحديًا حقيقيًا للوجود الاستعماري الإسباني والفرنسي، وكانت المقاومة الريفية ضد الاستعمارين قد لاقت صدى عالميًا [3]. هذه الأحداث تزامنت مع أحداث الرواية، التي تعكس تلك الصراعات والتوترات بين الهيمنة الاستدمارية والمقاومات المحلية. كما يظهر تمرد تافيلالت في الرواية، الذي يمثل إحدى صور المقاومة في تلك الحقبة. يساهم هذا السياق في تعزيز فكرة الصراع الهوياتي، حيث تتجسد مقاومة الاستعمار كوسيلة للحفاظ على الهوية.

أما في الجزائر فكانت هذه الفترة مرحلة نشوء الحركات الوطنية. حيث بدأ المثقفون والزعماء المحليون في المطالبة بحقوقهم والتشكيك في شرعية الاستدمار الفرنسي، ما أدى إلى بروز حركات سياسية تطالب بالإصلاحات والاستقلال. ومن أبرز هذه الحركات جمعية الأخوة الجزائرية (1922) تحت رئاسة الأمير خالد التي دعا فيها حفيد الأمير عبد القادر إلى المساواة بين الجزائريين والفرنسيين[4]، لكن قوبل بمقاومة شديدة وتم نفيه بسبب مواقفه. كما أسس مصالي الحاج في فرنسا حركة "نجم شمال إفريقيا" (1926)[5]، التي كانت أول كيان سياسي يطالب صراحة باستقلال الجزائر. هذه التحولات السياسية عززت الصراع الهوياتي بين التمسك بالهوية الجزائرية الأصلية والخضوع للضغوط الاستدمارية التي سعت إلى فرض الثقافة الفرنسية، مما زاد من تعقيد

[1] شوقي عطا الله الجمل. المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1977، ص 334.

[2] وادي أحمد. "السياسة الاستعمارية الفرنسية وانعكاساتها على ثقافة المجتمع والأمن الهوياتي في الجزائر"، مجلة الناقد، العدد 02، 2019، ص 299.

[3] ميمون أزيزا وشاكر تيهوت. "الكتابات التاريخية المغربية عن المقاومة الريفية للاحتلال الاستعماري"(1926-1921) ، مجلة نقد، مجلد 5، عدد 1، 2021، ص 67-84.

[4] حكيم بن شيخ. دور الأمير خالد في الحركة الوطنية 1912-1936م، رسالة ماجستير (مرقونة)، جامعة الجزائر، 2001-2002، ص 141.

[5] أجرون. تاريخ الجزائر المعاصر من انتفاضة 1871 إلى ثورة حرب التحرير 1954م، المجلد الثاني، ترجمة: جمال فاطمي وآخرون، دار الأمة، الجزائر، ط1، 2008.

الوضع الاجتماعي والسياسي في الجزائر. أترث هذه الفترة بشكل مباشر على خيارات الشخصيات الرئيسية التي وصفت بالمعقدة بين التكيف مع الثقافة الاستدمارية والاستفادة من امتيازاتها، أو التمسك بهوية مهددة بالزوال.

ب. السياق الثقافي

أدرك المنظّرون الاستيطانيون الفرنسيون أن القوة العسكرية وحدها، مهما بلغت شدتها، لن تكون كافية على المدى الطويل، لأن المقاومة الجزائرية ستنتج ردود فعل عكسية تؤدي إلى مزيد من الرفض والتحدي. لذلك، لجأوا إلى تسخّير أدوات سياسية وقانونية وإدارية لتعزيز العملية الاستيطانية وتوسيعها. لكن ما جعل التجربة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر أكثر تطرفًا هو تركيزها المكثف على الجوانب الثقافية والعقائدية، حيث عملت الإدارة الاستعمارية بشكل منهجي على تقويض الأسس الفكرية والإيديولوجية للشخصية الجزائرية العربية المسلمة، من خلال فرض سياسات تهدف إلى طمس الهوية الوطنية ومحو مقوماتها الأساسية[1].

مثّلت السلطة الفرنسية تحديًا مباشرًا للهوية الثقافية العربية، تجلى ذلك بوضوح في فرض اللغة الفرنسية كلغة رسمية في الإدارة والتعليم، إلى جانب حظر استخدام العربية في المؤسسات الرسمية، حتى باتت تُعامل كلغة أجنبية منذ عام 1830[2]. ولم تكتفِ فرنسا بذلك، بل عمدت إلى تدمير الزوايا والمساجد والمدارس، التي كانت تشكّل مراكز لنشر الدين وتعليم العربية، مما أدى إلى اندثار العديد من هذه المؤسسات الثقافية،[3] وترك فراغٍ عميق في المشهد التعليمي والديني للجزائر. وكما أشار **ديشي(Duchu)** ، المسؤول عن التعليم العمومي في الجزائر خلال الاحتلال: «**لم نعد نشاهد من المؤسسات التعليمية القديمة سوى بعض المدارس التي تقدم تعليمًا ناقصًا للغاية. أما الدراسات الدينية، التي تتطلب إتقانًا جيدًا للعربية لفهمها، فقد أُهملت تمامًا.** »[4]

خلقت هذه السياسات مرحلة من المقاومة الثقافية والهوياتية، حيث وجد الجزائريون أنفسهم في صراع داخلي بين تقاليدهم الأصلية ومحاولات فرنسا فرض ثقافة إستدمارية جديدة. وهذا ما عكسته الرواية من خلال مريم وأخيها جان حفيظ، اللذان فُرض عليهما التعليم الفرنسي والتنشئة الأوروبية من قبل والدهما إذ روج لمفهوم "الانصهار الثقافي" أو حتى "الاستعمار الذاتي"، بتشجيعه على تبني التعليم الغربي بعيدًا عن أي تأثير ديني أو ثقافي عربي .في ظل هذا الواقع، يجد الأخوان نفسيهما عالقين بين ثقافتين

[1] لبيد عماد. "المحاولات الفرنسية لطمس الهوية الجزائرية إبان الاحتلال (1830-1962م)"، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، العدد 6، المجلد 3، 2015، ص 21-38.

[2] جان بول سارتر. عارنا في الجزائر، دار القومية للطباعة والنشر، دون طبعة، 2021، ص 18.

[3] محمد مجاود. الأبعاد الحضارية للثورة الجزائرية، دار الغرب، وهران، 2005م، ص 74.

[4] عبد الحميد زوزو. نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر(1900-1830) ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص 207-208.

متباينتين: الثقافة الفرنسية الاستدمارية التي نشآ عليها والثقافة العربية الإسلامية، التي بدآ في اكتشافها، بالموازاة مع سعى والدتهما إلى إعادتهما إليها، في محاولة لإنقاذهما من فقدان هويتهما الأصلية.

ج. السياق الاجتماعي

استوعبت رواية "مريم بين النخيل" الصراع الهوياتي منذ الوهلة الأولى، إذ يُجسّد زواج النقيب الفرنسي ديبوسي من خديجة المسلمة بؤرة صراع معقد لا يقتصر على العلاقة الشخصية بينهما فقط، بل يتجاوزها ليعكس مواجهة أعمق بين الثقافات والأديان والتوجهات الأيديولوجية. وإدراك الزوج أن "الاندماج مستحيل" لأنه لم يكن يملك الإيمان نفسه ولا المُثل ذاتها. لقد كان هذا الوضع المأساوي الذي لا حل له انعكاسا للأزمة التي تعيشها الجزائر في ذلك الوقت.[1].حيث كانت تُفرض ثقافة المستعمر على المجتمع الجزائري، في وقت كانت الهوية العربية الإسلامية تتعرض للتهميش. زواج خديجة، التي تمثل الهوية العربية الإسلامية، بديبوسي، الذي يعكس رمزية الإستدمار الفرنسي، يشكّل نقطة التقاء بين قوة تسعى لطمس الهوية العربية الإسلامية وأخرى تكافح للحفاظ عليها. ثمار هذا الزواج بدأت تظهر أولى مظاهر الصراع حيث تجسدت في الأسماء، فقد اختار الأب تسمية ابنه "جان" وفقًا للثقافة الفرنسية، بينما أصرّت الأم على إضافة تسمية "حفيظ" بما يتماشى مع التقاليد العربية الإسلامية، ما نتج عنه اسمه المركب "جان حفيظ"، الذي يرمز إلى ازدواجية انتمائه. أما مع ميلاد الابنة الثانية، فقد اختير لها اسم مشترك بين الثقافتين، "مريم"، التي تحظى باحترام في كل من الإسلام والمسيحية، مما يعكس محاولة الكاتب لتحقيق توازن بين الثقافات المتصارعة داخل العائلة.

في هذا السياق، باعتبارهم نتاج زواج مختلط، يجد الأبناء أنفسهم ممزقين بين هوية والدهم الفرنسية وهوية والدتهم العربية المسلمة، إذ يضطرون إلى التفاوض على هويتهم في مواجهة الضغوط الاجتماعية التي تجبرهم على الاختيار بين الانتماء والتأقلم. هذا ما تكشفه شخوص الرواية بعد تطور الأحداث السردية.

من ناحية أخرى، مثّل انتقال الشخصيات بين البيئة الأوروبية في وهران إلى البيئة العربية في تافيلالت تجربة معيشية جديدة ومختلفة، تتباين فيها الطبقية، فلا غرو أن نجد أن أبطال الرواية تائهين بين حداثة فرنسية وعادات وتقاليد تذكرهم بجذورهم العربية. هذا ما ولد ذلك الصراع الداخلي لديهما، أفضى بدوره إلى اتخاذ قرارات صعبة بين مغريات الحداثة الفرنسية وتمسك بهوية عربية إسلامية مهددة بالزوال.

[1] Hadj Dahmane. Ibid, p. 32

د. السياق العاطفي

يلعب البعد العاطفي دورًا حاسمًا في تعزيز التقارب بين الشخصيات، حيث يكون للعلاقات الشخصية والعاطفية تأثيرًا مباشرًا على قراراتها ومواقفها. وتتجسد هذه التأثيرات في الرواية من خلال الروابط التي تربط الشخصيات المختلفة ببعضها البعض، سواء كانت علاقات حب أو صداقة أو روابط عائلية. تكشف الرواية عن المسارات العاطفية المختلفة للشخصيات، حيث قد تختلف المشاعر التي يتم التعبير عنها في السرد عن تلك الموجودة في الحوار بين الشخصيات. ويعكس هذا التباين تعقيد العلاقات العاطفية في الرواية[1]، ويدفع الحبكة إلى الأمام طوال الرواية.

تتجلى هذه الديناميكية بوضوح في تطور شخصية مريم وجان حفيظ، حيث تلعب علاقاتهما العاطفية دورًا رئيسيًا في تحديد خياراتهما. في البداية تبدو مريم تلك الشابة الأوروبية المنفتحة، لكن بدخول أحمد المتخلق حياتها يتغير مسار الأحداث عن طريق الإعجاب ليتطور إلى شعور مختلف خالجها مؤخرا يوحي إلى انجذاب روحي نحوه يدفعها إلى إعادة تقييم علاقتها مع خطيبها إيباتوف. أما بالنسبة لجان حافظ، فإن تشبعه بالمبادئ الفرنسية وإحساسه بالانتماء لذلك المجتمع يثبته من خلال التحاقه بالجيش الفرنسي، إلا أن لقائه بزهرة في تافيلالت يدخله الشك تجاه هويته الأوروبية ما يجبره على إعادة النظر في مبادئه تجاه جذوره العربية.

تعكس الرواية كيف أن العواطف والعلاقات ليست مجرد عناصر مساعدة في السرد، بل هي عوامل أساسية في بناء الهوية الفردية. فتعيش الشخصيات في صراع عاطفي يتشابك مع أزماتها النفسية والاجتماعية، مما يجعل الهوية عملية ديناميكية تتشكل باستمرار من خلال التجارب العاطفية. فالعواطف ليست جامدة، بل متحركة ومتغيرة، تتنقل بين الأفراد والمجتمعات، وتساهم في إعادة تشكيل الهوية باستمرار. تُظهر هذه الديناميكية كيف تؤثر العواطف والعلاقات الشخصية تأثيراً عميقاً في تشكيل الهويات الفردية والجماعية[2].

[1] Vishnubhotla Krishnapriya. Hammond, Adam, Hirst, Graeme, et al. "The Emotion Dynamics of Literary Novels." ArXiv, abs/2403.02474. https://doi.org/10.48550/arXiv.2403.02474

[2] Ahmed Sara. The Cultural Politics of Emotion. Routledge, 2013.

II. المبحث الثاني: العودة إلى الجذور كحل للصراع في الرواية

1. المطلب الأول: تطور الشخصيات الرئيسية نحو العودة إلى الجذور

إن العودة إلى الجذور في رواية "مريم بين النخيل "يعد حلاً فعلياً يعكس تطور الشخصيات الرئيسية في مواجهة صراعاتها الداخلية، ما يساعد على تفكيك التوترات الناشئة عن تمزق الهويات بين الثقافات المختلفة.

أولًا: دو افع ومحفزات اكتشاف الهوية

أ. الاضطر ابات الداخلية والصراع النفسي

إن العوامل الأساسية التي تسهم في الصراع النفسي متعددة الأوجه، وقد تنشأ من التنافر بين القيم الأخلاقية والتطلعات الشخصية، أو من القيود المجتمعية التي تعيق تحقيق طموحات الفرد، وكما يفترض **غباري**، ينشأ الصراع النفسي عندما يواجه الفرد هدفين أو دافعين متعارضين لا يمكن تحقيقهما أو تجنبهما معاً [1]. ويولد هذا المأزق مشاعر القلق والتوتر والعجز عن اتخاذ القرارات، مما يؤدي إلى حالة مستمرة من الاضطراب الداخلي للفرد.

مريم وجان حفيظ، يمثلان تجسيدًا حيًا لصراع هوياتي معقد، نشأ نتيجة زواج مختلط في ظل تأثيرات استدمارية قوية، فقد نشآ في بيئة تمزج بين القيم المتناقضة. من جهة، ويتعرضان لتأثير الثقافة الفرنسية التي قد تمنحهما امتيازات اجتماعية وتعليمية، ومن جهة أخرى، يظلان ينتميان إلى مجتمع عربي إسلامي يرى في هذا الامتزاج تهديدًا مباشرًا لهويتهما. هذا التناقض لا يقتصر على المجتمع المحيط بهما، بل يتغلغل أيضًا في داخل الأسرة نفسها، ما يعمّق أزمة الهوية لديهما.

مع مرور الوقت، يجد مريم وجان حفيظ نفسيهما في حالة من الارتباك الهوياتي، غير قادرين على تحديد هويتهم بشكل كامل: هل هما فرنسيان كما أراد والدهما؟ أم أن هويتهما العربية الإسلامية، كما ترغب والدتهما، هي الأساس؟ هذا الصراع الداخلي يخلق حالة من التشتت والضياع، حيث يشعران بأنهما غير قادرين على الانتماء التام لأي من الجانبين. إن هذا التناقض يعمق من حالة القلق الوجودي لديهما، ويجعلهما في مواجهة مع تساؤلات عن موقعهما في العالم.

ب. العائلة كجسر لإعادة تأصيل الهوية

تلعب الأسرة دورًا رئيسيًا في الكشف عن هوية الشخصيات وتوجهاتها. وينطبق هذا الأمر بشكل خاص على حالة مريم وجان حفيظ. والواقع أن العائلة هي مصدر التأثير الرئيسي، سواء خلال هيمنة الهوية الفرنسية على حياتهما أو أثناء انتقالهما إلى الهوية العربية.

[1] غباري، ثائر. وآخرون .*علم النفس العام* .ط. 1. مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2008، ص. 364.

وبعد وفاة الأب، لعبت خديجة دورًا حاسمًا في الحفاظ على هوية أبنائها. فهي تخوض نضالًا خفيًا وعلنيًا لإنقاذهما من الضياع، وهو ما يوضح قدرتها على تحقيق أهدافها.

يبيّن الكاتب كيف يمكن للأم أن تكون عنصراً حاسماً في ربط أبنائها بجذورهم العربية والإسلامية مع إعادة تعريف هويتهم في بيئة غربية مهيمنة. ويؤكد على أهمية الأسرة من خلال المشهد:**"في السانية، السيدة ديبوسي وزوبير ينتظران وصول الطائرة التي على متنها أبطال هذه الملحمة "**[1]. يوحي هذا الترقب بأن العودة إلى العائلة ليست مجرد لم شمل جسدي، بل هي استعادة للهوية الثقافية والدينية. فالعائلة ليست مجرد رابطة بيولوجية، بل هي الحاضنة الأولى للهوية.

ثانياً: مريم: مسار التحول التدريجي

أ. لقاء أحمد

تعد علاقة مريم بأحمد مفصلًا أساسيًا في عودتها إلى جذورها. إذ تعرض الأم خديجة على مريم فكرة تعلم اللغة العربية والدين الإسلامي، لتكون فرصة عظيمة لإعادة التواصل مع هويتها الأصلية. تبدأ اللحظة الأبرز في حياة مريم عندما يبدأ أحمد، الشاب المسلم المثقف، بتعليمها اللغة العربية والتعاليم الإسلامية .تُسعد هذه اللحظة خديجة، التي كانت تأمل أن تعود مريم إلى جذورها، يقول الكاتب":**التربية التي منحتها خديجة لابنتها أثمرت، بالفعل قد طرأ تحول كبير على مريم" .**[2]كان هذا اللقاء نقطة تحول أساسية في حياة مريم، حيث بدأت عملية تطهير روحي من آثار التربية الفرنسية التي تلقتها في طفولتها. لم يكن هذا الإدراك فوريًا؛ بل حدث بشكل متسامٍ، كاشفًا عن الجزء المفقود من هويتها .في هذه الرحلة، لعب أحمد دور المعلم والمرشد، مساعدًا إياها على حلّ مشاكلها الداخلية، ومن خلال انتماءاتها الثقافية المزدوجة، فتح لها آفاقًا جديدة لفهم ذاتها.

ب. فسخ خطوبتها من إيباتوف

مواقف إيباتوف العنصرية تجاه أحمد، دفعت بطلة الرواية إلى إعادة تقييم مسألة الانتماء، واكتشفت أن الوجه الحقيقي للعالم الأوروبي، الذي اعتبرته نموذجًا للحداثة والانفتاح حيث يخفي عنصرية كامنة تجاه الثقافة العربية. الاسلامية. أدى هذا الإدراك إلى تحول تدريجي في شخصيتها .وبدأت تدريجيًا بالتمرد على إيباتوف، متخذةً موقفًا أكثر حزمًا ووضوحًا. يقول الكاتب: **"تستقبله مريم ببرودة وتمدُ له يدها بتردُد... كلمة 'سيدي' تفاجئ إيباتوف، الذي غالبًا ما تناديه مريم باسمه. فهم أنَه أصبح لا يعني لها**

[1] محمد ولد الشيخ أغا. المرجع السابق، ص .301.

[2] المرجع نفسه. ص29.

شيئًا.[1]"بالنسبة لإيباتوف، كان هذا السلوك مؤشراً على تغير في ديناميكية العلاقة. لم يكن هذا البرود مجرد تغير سطحي في سلوكها، بل كان تعبيرًا عن الانفصال العاطفي والفكري العميق الذي بدأ يتبلور داخلها. لم يعد دور إيباتوف يرمز إلى الحماية أو الاستقرار.

كان قرار فسخ خطوبتها رفضا متعمدا لهويتها الأوروبية وإشارة إلى انتقالها نحو هوية عربية أصيلة.. لم يكن تخلها عن إيباتوف وارتباطها لاحقًا بعالمها العربي والمسلم مجرد ميل عاطفي أو خيار فردي؛ بل كان إعلانًا عن تحولها العميق نحو جذورها، واختيارًا واعيًا لمسار يعكس أصالتها وانتمائها.

ج. الرحلة إلى تافيلالت

لم تكن رحلة مريم إلى تافيلالت مجرد انتقال مكاني؛ بل كانت رحلة عميقة لاكتشاف الذات، حيث واجهت اختبارًا حقيقيًا لهويتها . في خضم معاناتها بعد اختطافها، ويبرز أحمد كرمز للأمان والانتماء. أحمد، الذي يرمز إلى الشعب الجزائري، العربي، والإسلامي، صاحب المشاعر النبيلة، يعلن حبه لمريم. كانت شجاعته وجرأته مثيرة للإعجاب؛ فقد هزم المغامر إيباتوف، وكذلك فارس الريف الزغاري أثناء تحريره لها[2]، إنقاذه لم يكن مجرد عمل بطولي، بل لحظة محورية جعلتها تدرك أن الهوية لا تتعلق فقط بالانتماء الجغرافي أو الثقافي، بل تتعلق بالشعور الحقيقي بالانتماء .رأت أحمد امتدادًا لجذورها، حيث أصبح الجسر الذي ربطها بماضيها وأعاد تشكيل حاضرها.

ثالثاً: جان حفيظ: مسار التحول التدريجي

أ. الأحداث الدرامية في تافيلالت

مرّ جان حفيظ بتجربة معقدة تقلب موازين هويته، خاصة عندما يواجه ضغوطات المجتمع العربي في تافيلالت. تتكشف أحداث في حياته تجبره على إجراء مراجعة عميقة لذاته. وبمرور الوقت، تصبح العودة إلى الهوية العربية حاجة ملحة بالنسبة له، وعلى غرار مريم، جان ينخرط في الأحداث الدرامية التي تتكشف في تافيلالت، تجابره تجربته واحتكاكه بالمجتمع العربي على إعادة التفكير في هويته. ويبدأ هذا التحول في لحظة حاسمة عندما يلتقي بأحمد الذي يصبح له تأثير عميق على حياته. ومع مرور الوقت، يبدأ جان في إعادة تقييم هويته بشكل جدي متأثرًا بالقيم والثقافة التي يكتشفها. في إحدى اللحظات الرئيسية في الرواية، يقول

[1] محمد ولد الشيخ أغا. المرجع السابق، ص34.

[2] Hadj Dahmane. Ibid, p. 34.

الكاتب: **"يتقدم الضابط نحو أحمد ويأخذ بيده ويحضنها في يده مطوّلا. أنت أخي وصديقي من اليوم فصاعدا"** [1]. تُظهر هذه اللحظة أن الهوية الشخصية لا تتحدد فقط بالانتماء السياسي أو العسكري، بل أيضًا بالارتباط العاطفي بالقيم الثقافية الأصيلة والانفتاح على الآخر. يظهر جان هنا متجاوزاً حدوده السابقة، معيداً بناء هويته على أسس جديدة، قائمة على التفاعل الإنساني العميق بدلاً من التقسيمات التقليدية المفروضة عليه.

ب. اللقاء بزهرة

خلال فترة أسره، التقى جان حفيظ بخادمة بربرية تدعى زهرة التي لعبت دورًا رئيسيًا في نجاته. كان ذلك أول لقاء له مع شخصية مسلمة تعكس صورة إيجابية للإسلام. نشأت بينهما علاقة عاطفية، حيث يقول الملازم ديبوسي: **"ستكونين سعيدة معي يا زهرة ."** [2]شكّلت علاقته بزهرة جسرًا بينه وبين جذوره العربية والبربرية، فاتحةً له أبوابًا جديدة لفهم هويته التي أهملها .في زهرة، البربرية المسلمة، كانت تمثل وجهًا آخر للمجتمع العربي لم يكن قد رآه من قبل، بعيدًا عن الصور النمطية التي ترسّخت خلال خدمته في الجيش الفرنسي.

[1] محمد ولد الشيخ أغا. المرجع السابق، ص.302.

[2] المرجع نفسه. ص.158.

2. المطلب الثاني: النقلة من الهوية المشتتة إلى العودة إلى الجذور

إن العودة إلى الجذور في رواية" مريم بين النخيل "هو الحل الأمثل للصراعات الداخلية التي عاشتها كل من مريم وجان حفيظ. فالأمر لا يتعلق فقط باستعادة هويتهما، بل مثل رحلة اكتشاف جذورهما الثقافية والدينية من خلال اللغة العربية والدين الإسلامي والعادات والتقاليد. في نهاية المطاف، تؤدي هذه العودة إلى عملية شفاء من التأثيرات الاستعمارية التي حاولت محو الهوية العربية الإسلامية،

أولًا: تمثلات العودة إلى الجذور: اللغة العربية كأداة للعودة

يقول **عبد السلام المسدي**: "**اللغة هي المرآة العاكسة لمكنونات التطور، فهي الركيزة الأساسية للهوية العربية الإسلامية**"[1].وفي الرواية، تعتبر اللغة العربية رمزًا أساسيًا لعودة الشخصيات إلى جذورها الثقافية والدينية. ففي البداية، تكون مريم بعيدة كل البعد عن اللغة العربية ولا تشكل جزءًا من حياتها اليومية أو تعليمها. ولكن عندما تلتقي بأحمد، تصبح اللغة العربية الجسر الذي يعيدها إلى تراثها، وتبدأ في تعلمها من جديد، ما يعكس رغبتها العميقة في استعادة جزء من هويتها المضمرة. والعودة إلى اللغة العربية ليست مجرد وسيلة للتواصل، بل هي أيضًا لحظة تقارب روحي وثقافي، وربط بالتعاليم الإسلامية.

وفي هذا السياق، تتقاطع رؤية الرواية مع الطرح الفكري **لمالك بن نبي** في روايته" **لبيك** "التي تبدو إجابة على الأسئلة التي طرحها روائيون سابقون مثل الحاج حمو عبد القادر وشكري حسن خوجة ومحمد ولد الشيخ حول الصراع مع الاستعمار والهوية الجزائرية. يرى بن نبي بأن التحرر من الاستعمار والاستلاب الثقافي لا يتحقق من خلال الدين وحده، بل من خلال الثقافة كمنظومة اجتماعية متكاملة. فالثقافة بالنسبة له ليست مجرد إرث تاريخي، بل هي عملية إنتاج مستمرة ذات أبعاد تربوية واجتماعية.[2]

ورغم المساعي التي بذلتها القوى الاستعمارية للقضاء على الهوية الجزائرية، إلا أن هذه سياساتها فقدت مصداقيتها فيما بعد، حيث اعترف العديد من المثقفين، بمن فيهم الفرنسيون أنفسهم، بعواقبها الوخيمة. كان من بين هؤلاء المثقفين **أرنول فان جينيب** الذي اعترف قائلًا" : «**إننا قد حضرنا الجزائر جزئيًا من الوجهة المادية، ولكننا لم نفعل شيئًا تقريبًا بخصوص الناحية العقلية التي هي أكثر أهمية**». ويؤكد هذا الاعتراف على فشل الاستعمار في طمس الهوية الثقافية العميقة للجزائريين[3].

---

[1] عبد السلام المسدي .الهوية العربية والأمن اللغوي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط1، 2014، ص. 246.

[2] Chaouche Nadhim. Ibid, p. 260-261.

[3] عبد المجيد حنون .صورة الفرنسي في الرواية المغربية، ديوان المطبوعات الجامعية، 1986، ص. 31.

ثانياً: تمثلات العودة إلى الجذور: الدين كركيزة للهوية

في الرواية، يلعب الدين دورًا محوريًا في عملية استعادة الهوية، لا سيما في سياق الاستعمار الذي سعى إلى القضاء على الهوية الإسلامية وتقليص تأثيرها. ويتجسد ذلك في قرار ديبوسي في حرمان أبنائه من أي توجه ديني، في محاولة لإبقائهم بعيدين عن الإسلام، ومع ذلك، لم تكلل جهوده بالنجاح في نهاية المطاف، حيث استمر تأثير الدين الإسلامي في حياتهم. وكما يقول **فيرينك هاردي(Ferenc Hardi) : «مريم بين في النخيل رواية ذات خاتمة إيجابية، تتسم حبكتها بالتعقيد وتتنوع وتعدد شخصياتها؛ لم يكن إلا استعراضا، ... وكان العودة إلى الدين الأول ضرورة ملحة لا بد منها».**[1] تشير هذه العبارة إلى أن العودة إلى الدين لم تكن مجرد اختيار، بل كانت ضرورة حتمية. وهذا ما يؤكد استحالة الاستيعاب الكامل، مما يسلط الضوء على أن الهوية الجزائرية، على الرغم من الجهود المبذولة لفرنستها وتهميشها، لا تزال راسخة بعمق من خلال معتقداتها الدينية.

عندما تلتقي مريم بأحمد، تبدأ تدريجيًا في اكتشاف هويتها الإسلامية، حيث يصبح الدين متنفسًا للانسجام الداخلي ومصدرًا للسلام الروحي. وبالمثل، في خضم أحداث الأزمة في تافيلالت، يعيد جان حفيظ اكتشاف علاقته بالإسلام، ويتفاعل مع قيمه ومبادئه من منظور جديد. أما خديجة فلم ترَ في عودة أبنائها إلى الإسلام تحولاً دينياً مفاجئاً، بل كانت عودة طبيعية إلى طريقهم الأصلي، ما جعلها سعيدة ومطمئنة مثلهم. وبهذا كانت تأكيدا للانتماء العربي الإسلامي.

ويرى محمد ولد الشيخ، وهو ناشط في الحركة الإصلاحية الباديسية وكاتب باللغة الفرنسية، أن النهضة الاجتماعية - أي روح الجهاد الأكبر التي يسعى المصلحون إلى غرسها في النفس الجزائرية - لا يمكن أن تتحقق إلا باستعادة التوحيد. ولتحقيق ذلك يجب على كل مسلم أن يبذل جهدا فرديا من خلال الالتزام اليومي بتعاليم الوحي، حتى يأتي التغيير من الداخل قبل أن ينعكس على المجتمع. ولكن المصلحين لا يهملون واجب الدعوة، فهي مسؤولية أساسية على كل مسلم أن يساهم في تحقيق الإصلاح المنشود.[2]

ثالثاً: النهاية وعلاقتها بصراع الهوية في الرواية

ذكر **فيرينك هاردي** أن :**«مريم بين النخيل رواية ذات نهاية إيجابية، حبكتها معقدة، وشخصياتها متعددة»**[3].في ختام الرواية، يعيد محمد ولد الشيخ الشخصيات الرئيسية إلى ثقافة والدتهما وعقيدتها، تُعرّف مريم أحمد إلى والدتها قائلة:" **إنه منقذي...**

[1] Hardi Ferenc. Ibid, p. 97.

[2] Chaouche Nadhim. Ibid, p. 206-207

[3] Hardi Ferenc. Ibid, p. 97

وخطيبي[1]" تتسم هذه العودة بالثقة والاقتناع، متجاوزين ترددهم السابق، ويبرز هذا التحول من خلال زواجهما الذي يقوم على التطابق الثقافي والعقائدي. يبرز الكاتب هذا التلاقي في مشهد احتفالي:" **وحّد مريم وأحمد، دبوسي وزهرة، وحّد مصيرهما في حفل بهيج، و ابتسما للحياة والسعادة**"[2]. وظف السارد تقنية تحاكي الحكايات الشعبية التقليدية، حيث صور زواج البنت من المعلم العربي والابن من الفتاة الأمازيغية كتتويج متناغم ليوم من التفاؤل والاحتفال بالحياة والسعادة، على غرار النهاية الكلاسيكية: وعاشوا في سعادة وهناء إلى أن أدركهم الموت[3]".وتختتم القصة باستعادة الشخصية الرئيسية لهويتها في خاتمة إيجابية:"**عسى أن ينعموا طوال الدهر بأيام هادئة ومشرقة، إلى أن يقول لهم القدر: كفى**".[4]

يعكس هذا الطرح قناعة الكاتب بأن العودة الحتمية والملحة إلى ثقافة الأم، التي تم نسيانها وتهميشها، هي الطريق الحقيقي للسعادة. إن استعادة تلك الثقافة في ظل الاحتلال مؤشر واضح على أن الاعتراف بالذات من قبل الفرد والمجتمع هو الخطوة الأولى نحو استعادة الهوية.[5]

[1] محمد ولد الشيخ أغا .المرجع السابق، ص. 302.

[2] .المرجع نفسه، ص. 303.

[3] عزيز نعمان .المرجع السابق، ص. 104.

[4] محمد ولد الشيخ أغا .المرجع نفسه، ص. 303.

[5] عزيز نعمان .المرجع السابق، ص. 105.

III. المبحث الثالث: الأبعاد الدلالية والتأويلية لتجسيد صراع الهوية والعودة إلى الجذور

1. المطلب الأول: دلالات الأسماء وسيميائية الشخصيات في الرواية

تباينت آراء النقاد حول الدلالات التي يحملها اختيار الأسماء للشخصيات في الروايات، إلا أنهم اتفقوا على أن الأسماء ليست عشوائية أو بلا مغزى[1]، فقد أظهرت عدة نظريات لدراسة الأسماء، مؤكدة على دورها البارز في بناء المعنى داخل النص الأدبي. فالاسم في الأدب ليس مجرد دلالة سطحية بل يشير إلى سعي الكاتب لإضفاء معانٍ ورموز تؤثر في المتلقي. كما يعتقد **رولان بارت RolandBarthes** أن «**تسمية الشخصية عمل من الأونوماتومانسي" أي فن التنبؤ بالخصائص والسمات من خلال الاسم**»[2]. وفي سياق متصل، يرى **جورج لوكاتش** أن «**اكتمال العمل الأدبي يعتمد على تصوير شخصياته ضمن شبكة مترابطة من العلاقات التي تجمعهم ببعضهم البعض وببيئتهم الاجتماعية وتعقيداتها. فكلما تعمق فهم هذه الروابط وازدادت قوتها، ازدادت قيمة العمل الأدبي، مما يجعله أكثر قدرة على عكس ثراء الحياة الواقعية**[3]. »

أولًا: الأسماء كأداة تأويلية في تجسيد صراع الهوية والعودة إلى الجذور

يُعد الاسم عنصرًا جوهريًا في كشف طبيعة الشخصية وبيئتها الاجتماعية وزمنها التاريخي، حيث تعكس معانيه صفاتها وأفعالها. يختار الكاتب أسماء شخصياته بعناية لتحقيق تأثير واقعي وهوياتي وثقافي. ووفقًا **لكريستيان عاشور**، يُعتبر الاسم "علامة اجتماعية"، إذ يشير إلى صفة محددة في الشخص الذي يحمله، كما يشكل أيضًا مرجعًا أيديولوجيًا. لذلك، يجب التأكيد على أهمية الاسم الذي يُمنح للشخصية[4]" .عادةً ما يكون اسم الشخصية مؤشرًا دلاليًا يُسلط الضوء على حالتها النفسية أو الاجتماعية أو الفكرية[5]،وقد يحمل معنى خاصًا لدى الكاتب أو يرتبط بذكرى معينة. كما يكشف الاسم عن جنس الشخصية، وموطنها، ومعتقدها الديني، وغيرها من الدلالات المتعددة[6].

يؤكد **رولان بارت** على ضرورة التمعن في أسماء الأعلام، حيث يقول: «**لا بد دائمًا من مساءلة اسم العلم بعناية، لأن اسم العلم،**

---

[1] عماد علي سليم أحمد الخطيب" .دلالة أسماء الشخصيات في الرواية الأردنية-دراسة سيميائية في نماذج مختارة" ، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد الخامس والعشرون (2)، أيلول 2011، ص. 129.

[2] Roland Barthes cité dans Achour Christiane, Bekkat Amina, Convergence Critique II, Algérie, Tell, 2002, p. 81

[3] جويدة محاش .بناء الشخصية في حكاية عبدو الجماجم وجليل، مصطفى فاسي، مقاربة في السرديات، منشورات الأوراس، 2000م، ص. 75.

[4] Achour Christiane et Bekkat Amina. Clefs pour la lecture des récits, Convergences critiques II, édition du Tell, Blida (Algérie), 2002, p. 75

[5] جميل حمداوي .السيميولوجيا بين النظرية والتطبيق، الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2011، ص. 168.

[6] المصطفى جماهيري ." الشخصية في القصة الصغيرة" ، مجلة الموقف، المغرب، العدد 10، 1989، ص. 121.

إن جازلنا القول، أميرالدوال؛ إيحاءاته ثرية، واجتماعية، ورمزية.» هذا يعني أن أسماء الأعلام ليست مجرد تسميات عابرة، بل تحمل في طياتها معاني متعددة تتجاوز مدلولها اللغوي المباشر، لتشمل أبعادًا ثقافية واجتماعية ورمزية تساهم في إثراء النص الأدبي، وتوجيه تأويلاته المختلفة.[1]

تشير دراسات **براشدي** (**Berrachdi**) إلى أن محمد ولد الشيخ، في روايته، يمنح الأسماء مكانة اجتماعية وثقافية خاصة، ما يجعل دراستها ضرورية لاكتشاف أبعادها اللغوية والدلالية[2].فالأسماء في الرواية لا تقتصر على تحديد الشخصيات، بل تصبح أداة تأويلية تعكس التوترات الثقافية، والدينية، والاجتماعية المحيطة بها. ويحمل كل اسم إرثًا تاريخيًا وثقافيًا، ما يجعله عنصرًا أساسيًا في توجيه مسار الشخصيات وتطور الأحداث.

ثانياً: تحليل أسماء الشخصيات ودلالاتها الهوياتية

- **خديجة: رمز القوة الروحية والثقافية:** يمثل اسم 'خديجة ' ارتباطًا عميقًا بالقيم الإسلامية، حيث تجسد في الرواية شخصية الأم التي تسعى إلى إعادة ربط أبنائها بهويتهم الإسلامية والعربية من خلال الحفاظ على الدين واللغة كما للاسم دلالة تاريخية قوية، حيث يشير إلى خديجة بنت خويلد، زوجة النبي محمد ﷺ، التي كانت رمزًا للصدق والإيمان. وبالإضافة إلى كونها مصدرًا للحكمة والتوجيه.

- **مريم: رمز الصراع الثقافي والروحي:** 'مريم 'هو اسم سرياني يعني العالية المرتفعة،[3]ويشير أيضًا إلى 'مريم العذراء ' في سورة مريم، وقد ورد في القرآن الكريم: ﴿**فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى وَ إِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَ إِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾[4]. يتجاوز اسم" مريم "في الرواية معناه التقليدي ليحمل بعدًا رمزيًا يعكس الصراع بين الهويات الثقافية المختلفة. مريم "اسم مشترك بين المسيحية والإسلام، مما يعطيه دلالة دينية تربط بين البعدين الروحي والثقافي. يظهر هذا الاسم في الرواية كرمز للسلام والهوية الروحية.

- **جان-حفيظ(Jean-Hafid) : تجسيد التهجين الثقافي وصراع الهويات:** يعكس اسم 'جان حفيظ' تداخلًا ثقافيًا واضحًا،

---

[1] رولان بارت .التحليل النصي: تطبيقات على نصوص من التوراة والإنجيل والقصة القصيرة .ترجمة وتقديم: عبد الكبير الشرقاوي، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، منشورات الزمن، دمشق - الرباط، 2009، ص. 83.

[2] Berrachdi, Hayat Saïda. "Ouverture sur de nouvelles approches de type onomastique littéraire dans le roman Myriam dans les palmes de Mohammed OUELD." Revue LAROS, 2017, vol. 9, no. 2, p. 217.

[3] حنا نصر الحتي .قاموس الأسماء العربية والمعرّبة وتفسير معانيها .دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط.3، 2003، ص. 127.

[4] سورة آل عمران، الآية 36.

حيث يتقاطع بين الهويتين الفرنسية والعربية. اسم" جان "بالفرنسية ويعني بالعربي اسم «يوحنا»[1]، بينما يشير اسم 'حفيظ' في اللغة العربية إلى معانٍ مثل «المحفوظ» و«المصون». وتعكس هذه الازدواجية في التسمية تشظّي شخصية جان حفيظ في الرواية ويجسد الصراع الداخلي الذي يعيشه بين الانتماء للهوية الأوروبية التي نشأ فيها وهويته الأصلية المتمثلة في اسم 'حفيظ'.

- **النقيب ليون ديبوسي (Léon Debussy): تجسيد الاستعماروالصراع القوي:** يحمل الكابتن ليون ديبوسي اسمًا علمًا ذا أصل فرنسي، وهو شخصية استعمارية بحثه، حيث يرتبط في الرواية بالسلطة والعنف، ويجسد صورة فرنسا الإستدمارية. من خلال رتبته كضابط، فهو يمثل الهيمنة العسكرية الفرنسية، على النقيض من الشخصيات الجزائرية الأخرى مثل خديجة وأحمد، الذين يجسدون روح المقاومة ويشكلون أعمدة الهوية الجزائرية الأصيلة.

- **أحمد المسعودي: رمزللعودة إلى الجذوروحفظ الهوية:** يشير اسم 'أحمد' إلى اسم تفضيل من الحمد[2]، وهو مشتق من اسم النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، ما يرمز إلى القيم الأخلاقية النبيلة والتقوى. أما 'المسعودي'، الذي يعني 'المحظوظ'، فيضفي بُعدًا ثقافيًا إيجابيًا على شخصية أحمد. في الرواية، يجسد 'أحمد المسعودي' صورة المسلم المتعلم والمثقف، حيث يعكس اسمه شخصيته المثالية المقتدية بالنبي محمد (صلى الله عليه وسلم). يجمع أحمد بين التمسك بالقيم الإسلامية والحفاظ على الهوية الثقافية العربية، وهو المعلم الذي يعيد ربط مريم وجان حفيظ بجذورهما العربية. من خلاله، تُظهر الرواية كيف يمكن للعودة إلى اللغة العربية والإسلام أن تكون نقطة انطلاق لاكتشاف الهوية الأصلية.

- **إيفان إباتوف(Ivan Ipatoff) : رمز الشروالاستعمار الاقتصادي:** يعود اسم ' إيفان' إلى أصول روسية أو سلافية، ويحمل دلالة سلبية ترتبط بشخصيات تاريخية مثل ' إيفان **الرهيب**' و' إيفان الجبار'، القيصر الروسي في القرن السادس عشر الذي اشتهر بكثرة الإعدامات وقتله حتى أخاه الأكبر. كما يشير الاسم إلى إيفان آخر، قيصر في روسيا في القرن السابع عشر كان ضعيفًا جسديًا ومتأخرًا عقليًا. تضاف إلى هذه الخلفية التاريخية دلالات سلبية إضافية، مثل القمع العنيف الذي مارسه الروس والسلافيون ضد العثمانيين في عام 1917، والإبادة التي تعرض لها المسلمون في القرم عام 1928، ما يساهم في تشكيل صورة سلبية لشخصية إيفان إباتوف.[3]. في الرواية، يتم التأكيد على أن كل ما يتعلق بشخصية إيفان زائف. الحروف التي يتكون منها اسمه تشكل أنغرامًا (تحويلًا حروفيًا) لكلمة "Ipatoff"، وفي الإنجليزية يمكن تفسيرها على أنها "Fake it" (تزييف) أو "Tip off" (إفشاء سر)، ما يعكس دلالات

[1] حنا نصر الحتي .المرجع *نفسه*، ص. 125.

[2] محمد ولد الشيخ أغا .المرجع السابق، ص. 17.

[3] Berrachdi Hayat Saïda. Ibid, p. 218.

الخداع والخيانة. هذه السمات تساهم في بناء شخصية إيفان كرمز للخداع والمكر. تظهر شخصية إيفان إباتوف في الرواية كتاجر أسلحة، يقول الكاتب: **"في أحد الأيام تدخل قافلة إلى الريساني محَملة بالذخيرة...رئيسها هو إيفان إيباتوف الذي تحوَل إلى مهرِب حرب منذ مغادرته مدينة وهران مع الصِناعي قروسو"**[1]. هذه الصورة تبرز ارتباطه بالاستعمار الاقتصادي القاسي، حيث يمتهن التجارة غير المشروعة، ما يعكس استغلاله للموارد في زمن الحرب والتوترات .من خلال هذه الصورة، يعكس إيفان إباتوف الاستغلال المفرط الذي يعاني منه الشعب الجزائري تحت وطأة الاستعمار. إن شخصيته تُجسد الاستعمار بكل مظاهره القمعية، وهي تتناقض بشكل لافت مع مقاومة الجزائريين لهذا الظلم.

- **زهرة: كجسر بين الهويتين البربرية والعربية:** يشير اسم 'زهرة' إلى الجمال الطبيعي والنقاء، كما يعكس الإشراق والصفاء، والحسن، بالإضافة إلى كونه اسمًا **لنوع** من النباتات[2]. في الرواية، يحمل الاسم دلالات ثقافية عميقة ترتبط بالبيئة الصحراوية والأصول البربرية. تمثل زهرة الجسر بين الهويتين البربرية والعربية، حيث تعكس علاقتها بجان حفيظ محاولة لإعادة الاتصال بالجذور البربرية التي تلاشت تحت التأثيرات الاستعمارية. تجسد زهرة في الرواية قوة البيئة الصحراوية وصبرها، وتُظهر كيف يمكن للهوية الأصلية أن تكون مصدرًا للقوة والنجاة. من خلال شخصيتها، يتجلى تأثير التقاليد البربرية كجزء أساسي من الهوية، حيث تعمل على إعادة التوازن لجان حفيظ وتساعده في اكتشاف ذاته بعيدًا عن الهويات المفروضة عليه. يقول جان مخاطبًا أمه **"اسمحي لي يا أمي أن أقدم لك هذه الشابة البربرية ... لقد ساهمت بقدر كبير في تحريرنا."**[3]هذه العبارة تعكس أهمية زهرة ليس فقط كشخصية داعمة، بل كرمز للاستمرارية التاريخية والمقاومة الثقافية في وجه الاستعمار.

- **بلقاسم سلطان تافيلالت: تجسيد للسلطة الطاغية المطلقة:** يعكس اسم 'بلقاسم '، المشتق من الجذر اللغوي" قسم"، دلالة العدل والتقسيم، لكنه في سياق شخصية السلطان بلقاسم يصبح رمزاً للاستبداد والهيمنة والفساد. حمله للقب" السلطان "دلالة الحكم المطلق والسيادة غير المشروطة، ما يجعله نموذجًا للسلطة التقليدية في مواجهة الاستعمار الفرنسي. يواجه بلقاسم خيارين لا ثالث لهما: إما الحفاظ على سلطته بأي ثمن أو مواجهة القوى الجديدة التي تهدد نفوذه، مما يضعه في صراع مباشر مع المقاومة المحلية التي تسعى إلى تجاوز الحكم الفردي وإعادة تشكيل السلطة. السلطان بلقاسم ليس مجرد شخصية فردية، بل هو تجسيد لاستبداد الحكم القديم القائم على المركزية والقوة القاهرة. إنه رمز للاستبداد السياسي الذي يحاول الحفاظ على شرعيته

[1] محمد ولد الشيخ أغا .المرجع السابق، ص. 187.

[2] حنا نصر الحتي .المرجع السابق، ص. 85.

[3] محمد ولد الشيخ أغا، المرجع *نفسه*، ص 302

في عالم متغير تتزايد فيه القوى التي تهدد نفوذه كما يصفه الكاتب:" **حقده على الشرفة الذين أبادهم دون اقناع ولا دليل هي سبب كراهية الناس له، فبدلا من ان يساهم في هذه المنطقة بالعدالة والحب كان يزرع الرعب والآثام** "[1].وعلى الرغم من ارتباط اسمه بالهوية المحلية، إلا أن أفعاله تكشف عن استبداد يمتد إلى التحكم في مصائر الأفراد، كما يظهر في اختطافه لمريم، وهو ما يجسد محاولة السلطة فرض هيمنتها على الإرادة الشخصية.

بالإضافة إلى الشخصيات الرئيسية التي تتشابك مع صراع الهوية، هناك شخصيات أخرى في الرواية التي لم يكن لها تأثير كبير في مجرى الأحداث أو في علاقاتها مع الشخصيات الروائية الرئيسية. هذه الشخصيات تظهر بشكل عرضي وتلعب دورًا غير محوري في تطور السرد، لكنها تساهم في توضيح بعض القضايا الأخرى التي يعكسها الكاتب على نحو:

- **قروصو(Grossou): تجسيد الاستعمار الاقتصادي والجشع:** يقدم الكاتب شخصية من أصل فرنسي. يجسد هذا الصناعي الثري هذا النموذج الأصلي لـ" صاحب المال الوفير"، وهو مستعمر جاء ليثري في بلد ليس بلده من خلال جمع الثروة عن طريق بيع الأسلحة، وهي الأسلحة التي تُستخدم لاحقًا لإبادة الشعب الجزائري.[2]وعلى الرغم من عدم تدخل قروسو المباشر في العلاقات الشخصية أو في سير الأحداث الأساسية داخل الرواية، إلا أن حضوره يمثل انعكاسًا لوجهة نظر المؤلف بأن الاستعمار الفرنسي لم ينطوي على هيمنة عسكرية وسياسية فحسب، بل على استغلال اقتصادي عميق أيضًا.

ثالثاً :رمزية موت الأب الفرنسي ديبوسي في الرو اية

يمثل مقتل الكابتن ديبوسي في بداية رواية مريم بين النخيل نهاية رمزية للهيمنة الاستعمارية .كما أن غيابه يمهّد لعودة مريم إلى جذورها العربية الإسلامية، والتي جاءت بإيعاز من أمها، في مسار لم يكن ممكنًا إلا بعد رحيل الوالد .فبإبعاده عن المشهد، ينهي الكاتب رمزيًا وجود المستعمر، في إشارة واضحة إلى أن عودة الأصالة والانتماء الحقيقي لا يمكن أن تتحقق إلا بعد زوال السيطرة الاستعمارية."[3]بهذا المعنى، تحمل الرواية رسالة خفية تتجاوز الحدث الفردي لتصل إلى البعد الوطني، حيث يصبح موت الأب الفرنسي تعبيرًا عن انهيار الاستعمار وفشل محاولاته في محو الهوية الجزائرية، مما يجعل الرواية شهادة أدبية على صراع التحرر الثقافي والوطني.[4]

[1] محمد ولد الشيخ أغا .المرجع السابق، ص. 78.

[2] Berrachdi, Hayat Saïda. Ibid, p. 219.

[3] محمد ولد الشيخ أغا .المرجع نفسه، ص. 20.

[4] Abdelkader Hani. Ibid, p. 3.

2. المطلب الثاني: رمزية العنوان والمكان

يعد العنوان والمكان عنصران محوريان في تكوين العمل الأدبي، فهما لا يؤديان وظيفة شكلية فحسب، بل يؤثران أيضًا تأثيرًا عميقًا في دلالات النص وفهم أبعاده الرمزية. ويمثل العنوان العتبة الأولية التي تواجه القارئ، حيث يعمل كمفتاح أساسي يوجه لتأويل ويقدم ملخصًا مكثفًا لمعاني الرواية وأحداثها. علاوة على ذلك، فإن المكان ليس مجرد مساحة جغرافية تضم الشخصيات، بل هو أيضًا بيئة اجتماعية وثقافية تنعكس فيها الصراعات المتعلقة بالهوية والانتماء.

أولًا: شعرية العنوان ورمزيته

غالبًا ما يأتي العنوان في صيغة رمزية، إذ تتيح هذه الرمزية تعدد المعاني والدلالات، ما يمنحه عمقًا وتأويلات متنوعة. فالرمز يجعل العنوان مكثفًا، قليل الألفاظ، لكنه غني بالمعاني، قادرًا على التعبير عما يريده الكاتب من عمله، وما يسعى إلى تبليغه للقارئ. يُنظر إلى العنوان على أنه مقطع لغوي أقصر من الجملة، يشكل جزءًا من النص أو العمل الفني، وغالبًا ما يتسم بدرجة عالية من التكثيف والتلخيص، بما يتناسب مع وضعه في مقدمة النص[1]، يُصاغ دائماً في نظام سيميائي يحمل أبعاداً دلالية ورمزية. لذلك تقع على عاتق الباحث مسؤولية تتبع دلالات العنوان وفك شفراته الرمزية، وبالتالي توضيح المفاهيم النصية المتراكمة[2].

وقد تُرجم العنوان الأصلي للرواية "Myriem dans les palmes"، للغة العربية "مريم بين النخيل"، إذ يحمل في طياته حمولة من المعاني والرموز تشير إلى مضمون الرواية وتوجهاتها الأساسية. تنشئة الكاتب الإسلامية في بيئة صحراوية ألقت بظلالها على كتاباته من خلال استخدامه للرموز ككلمة النخيل والتي تعتبر كرمز للهوية العربية، حيث تعتبر النخلة رمزاً مهماً في الثقافة والتراث العربي، كما ترمز للشجرة المباركة والمقدسة في الديانة الإسلامية والتي ذكرت أكثر من إحدى وعشرين مرة في القرآن الكريم. كما ارتبط اسم مريم بالنخلة، بقوله تعالى: ﴿**وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا**﴾[3].ما يمنح العنوان بُعدًا دينيًا وروحيًا. لم يكن اختيار الكاتب اسم "مريم" وربطه بكلمة "النخيل" عبثا بل يفضي إلى شخصية تحمل رمزية كبيرة لدى المسلمين والمسيحيين على حد سواء. بهذه الطريقة، يبرز العنوان تشابك العناصر الدينية والثقافية في الرواية.

---

[1] محمد صابر عبيد وآخرون .أسرار الكتابة الإبداعية، عبد الرحمان الربيعي والنص المتعدد، عالم الكتب الحديث للنشر، إربد، الأردن، ط 1، 2010، ص. 247.

[2] عبد القادر رحيم .علم العنونة، دراسة تطبيقية، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، 2010، ص. 39.

[3] سورة مريم، الآية 25

ثانياً :شعرية البيئة الصحراوية ورمزيتها

شهد مفهوم المكان رواجًا كبيرًا في مجال النقد الأدبي مع ظهور **غاستون باشلار** وعمله الأساسي" شعريةالمكان"(1957)، الذي أوضح التأثير العميق للمكان في الأدب والفن على حد سواء. وقد ساهمت ترجمة **غالب هلسا لعمل باشلار** إلى اللغة العربية بعنوان" جماليات المكان"(1980) في زيادة توضيح هذا المفهوم في النقد الأدبي العربي الحديث. يشمل مفهوم المكان عند باشلار أكثر من مجرد خلفية للأحداث؛ فهو عنصر أساسي في تشكيل هوية العمل الأدبي، ومحور لتطور الشخصيات والأفكار[1]. لذلك تُعد الصحراء مصدرا لا ينضب من الرموز، فهي ليست مجرد فضاء جغرافي أو بيئة إيكولوجية، بل هي امتداد ثقافي وتاريخي لحياة الجماعات البشرية التي تسكنها. هذا الفضاء الرمزي الثري بالرموز يفرز رؤى فكرية خاصة، والتي بدورها تضفي على النصوص الروائية خصوصية وعمقًا دلاليًا[2].إن الخصوصية الثقافية والفكرية للصحراء معترف بها من قبل كتّاب هذه المناطق. وعلاوة على ذلك، فإنها تبدي مرونة في مواجهة المؤثرات الثقافية الخارجية التي تسعى إلى تعديل خصائصها أو محو دلالاتها الأصلية.[3]تحلّ رواية "مريم بين النخيل" كمزيج بين نصين يتفقان في نقاط متعددة، مثل الوقوف عند شعرية المكان وجماليات توظيفه، وهذا يظهر في تصوير الصحراء بكل معالمها الطبيعية والتاريخية والحضارية[4].الصحراء، بفضائها الواسع وجمالياتها الخاصة، تعتبر رمزًا للتاريخ والحضارة، وتمثل معلمًا هامًا للعروبة. يتميز العالم العربي بوجود الصحراء وفضاءاتها الرملية الواسعة، ما يمنحها خصوصيتها ويجعلها تتميز عن غيرها من الثقافات. محمد ولد الشيخ رغم كونه ابن الصحراء، إلا أنه لم يكن مهتمًا كثيرًا بخرافات الصحراء وأساطيرها، بل كان اهتمامه الرئيس هو واقع الحياة في هذه المنطقة [5]. فمنذ سن مبكرة، كان ولد الشيخ مدركًا تمامًا للواقع القاسي الذي فرضه الاستعمار على السكان المحليين، والذي كان بمثابة المحفز لرحلة الشخصيات في اكتشاف الذات وإعادة التواصل مع هويتهم الأصلية.

في هذا السياق، لا تُصوَّر الصحراء في الرواية على أنها مساحة جغرافية شاسعة فحسب، بل أيضًا كرمز للحرية والصفاء. إن انفتاح الصحراء، الخالية من القيود التقليدية التي تفرضها الحدود الحضرية، بمثابة حافز للتحرر الروحي والهروب من القيود التي

---

[1] عبد الله أبو هيف" .جماليات المكان في النقد الأدبي العربي المعاصر" ، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، اللاذقية، سوريا، 2005، ص. 124.

[2] تحريشي محمد .النص والنصية في الرواية الصحراوية، رواية "وراء السراب" نموذجًا، 2011، ص. 29.

[3] أمينة محمد برانين .فضاء الصحراء في الرواية العربية، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2011، ص. 17.

[4] عبد الملك مرتاض .في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1998، ص. 134-135.

[5] جميلة طلباوي .مرجع سابق، اطلع عليه بتاريخ: 2025/03/17.

تفرضها التأثيرات الاستعمارية والفرضيات الثقافية. ضمن هذا الامتداد الشاسع الذي يبدو بلا حدود، تواجه مريم وجان حفيظ صراعاتهما الداخلية المتعلقة بانتماءاتهما الثقافية والدينية. تعمل الصحراء كمحفز لاكتشاف ذاتيهما، ما يسمح لهما بالتخلص من ثقل الهويات المستوردة والشروع في رحلة اكتشاف الذات الأصيلة. وهكذا، تصبح الصحراء البيئة المثالية لتحقيق الانسجام الداخلي وتأسيس حالة من التصالح مع تراثهم الثقافي الأصلي.

ثالثاً :تمثيل الأماكن في الرو اية

يعد المكان العنصر البنائي الأساسي الذي يستند إليه الروائي في تكوين الرواية. وفي هذا السياق، يضطلع المكان بدور الفضاء الحيوي الذي يسهم في تطور الرواية، ويمارس تأثيراً كبيراً على الشخصيات، وبالتالي يتسع دوره ليشمل العلاقات المتشابكة بين الأمكنة والشخصيات والأحداث المتنوعة[1]. فالمكان عنصر أساس في الفضاء الروائي، لأنه يعزز تجسيد الأحداث ويمنحها المصداقية، ويجعلها تبدو واقعية ومعقولة في ذهن القارئ. وعلى هذا النحو، لا يمكن إدراك أي فعل واقعي إلا في إطار مكاني[2]. وقد حظي المكان بمكانة مرموقة في النصوص الدينية، والدليل على ذلك ذكره في مواضع عديدة في القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا**﴾ [3]. وهذا يؤكد الدور المحوري الذي يلعبه المكان في تشكيل مسارات الأحداث ودلالاتها العميقة.

يتجاوز مفهوم المكان في رواية" مريم بين النخيل "مجرد الخلفية، ليصبح عنصرًا أساسيًا في تشكيل الهوية وصياغة الصراع الداخلي. إنه تجسيد للتوتر بين الجذور الراسخة للفرد والتحولات التي تفرضها البيئة، ويتطور إلى فضاء حي يساهم في بناء الهوية الفردية والجماعية على حد سواء. ويتجلى ذلك في تنوع الأمكنة بين الصحاري الشاسعة والواحات الخضراء والمدن المستعمرة حيث يعكس الكاتب صراعات الأبطال وسعيهم لاكتشاف الذات والتوازن الروحي. تعمل هذه الأماكن، في حالتها الديناميكية، كوسيط يتم من خلاله التعبير عن صراعات الشخصيات في مواجهة المؤثرات الثقافية والضغوطات المجتمعية، ما يمنح رحلة الهوية بعدًا وجوديًا عميقًا.

[1] آسيا جريوي. "جمالية السرد في الخطاب الروائي (دراسة في رواية كارميلا لشريدان لوفانو) ".جسور المعرفة، المجلد 9، العدد 2، الجزائر، 2023، ص 152–153.

[2] إبراهيم عباس الرواية المغاربية: تشكل النص السردي في ضوء البعد الأيديولوجي .الجزائر: دار الرائد للكتاب، ط. 1، 2005، ص 219.

[3] سورة مريم، الآية 16.

أ. مدينة تافيلالت، الواحة والقصور: رمز للهوية الثقافية، الجذور التاريخية، والاستمرارية الحضارية.

أشار **العربي مزين** إلى أن مصطلح" تافيلالت "يعني"القدح"[1]باللغة الأمازيغية .وأشار **ف. جندر (F. Gendre)** إلى أن كلمة 'تافيالت' هي كلمة بربرية تعني 'منطقة'، لكن استعمالها في اللغة العربية شاع في المغرب بعد وصول الهلاليين وفترة استقرار 'عرب الصباح' في المناطق التي أقاموا فيها. وبفضل هذه الأهلة التي رافقتهم في رحلتهم نحو الغرب، استقروا في منطقة سجلماسة والجرف[2].من ناحية أخرى، أكد **مونيي** د.ج. أن كلمة" أفيال "أو" أوفيال"هي تصغير لكلمة" تافيالت"تشير إلى سلسلة جبال صغيرة في منطقة سجلماسة. تقع هذه السلسلة الجبلية الصغيرة على بعد 785 كم جنوب شرق مراكش و50 كم جنوب الريصاني و4 كم شمال غرب مدينة الطاوز[3].

يقول **محمد ولد الشيخ** في مقدمة كتابه روايته مريم بين النخيل المكتوبة باللغة الفرنسية أن أصل تسمية تافيلالت مركبة من كلمتين "تفو" و "لالا"، أصلها حوار دار بين الرجل الصالح **الحسن بن قاسم** رأس الشرفاء الذي جاء به سكان الواحة من البقاع المقدسة وبنوا له زاوية وزوجوه من بناتهم ووعدوه بإعطائه ربع غلة التمر إن هو خلصهم من مرض البيوض الذي أصاب نخيلهم، فدعى لهم فاستجاب الله له، وخلصهم من هذا المرض لكنهم أخلفوا وعدهم له، فقال لهم: "تفوا" فأجابوه "لالا" فسميت الواحة من ذلك الوقت "تفولالا" أو "تافيلالت".[4]

تُعدّ رواية" مريم بين النخيل "استكشافًا ثاقبًا لمنطقة أرفود، حيث تقدم منظورًا جديدًا للصحراء التقليدية. يقدم النص الصحراء كفضاء شاسع متعدد الأوجه يمتد إلى ما وراء الحدود الجغرافية. وضمن حدود الرواية، تُصوَّر الصحراء كفضاء يعزز الحرية ضمن سياق المجتمع الصحراوي. حيث تعد واحة تافيلالت الواحة الأكبر والأكثر أهمية في المنطقة الجنوبية، حدها شرقا حمادة " غير " وغربا جبل ساغرو الواحة متكونة من 300قصر موصولة بالجنوب الجزائري بسكة الحديد بوبرنوس وعين الشعير[5].تعتبر كامتداد لهذا الرمز، حيث تدمج العناصر الطبيعية والتاريخية لخلق ملاذ روحي للشخصيات التي تبحث عن الشعور بالانتماء. تُصوَّر الواحة كموقع للشفاء النفسي والثقافي يعكس الحياة التقليدية والتراث القديم. تحتوي الواحة على مجموعة قصور من أهمها قصر ريساني، وهو معلم بارز في الرواية، يتميز بأهميته التاريخية الغنية واستمراريتها الثقافية، كما يتضح من تراثها المعماري. تعكس

[1] ينظر: العلمي، علي. "قصور تافيلالت". بالرجوع إلى: محمد أمراني، مجلة علوي، العدد الأول، 2011، ص 71.

[2] علوي حسن حافظي" .سجلماسة إقليم القرن في مائة عام" ، وزارة الشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، بدون طباعة، 1418 هـ/ 1997 م، ص. 91.

[3] المرجع نفسه، ص. 90–91.

[4] ينظر: أحمد منور .الأدب الجزائري باللسان الفرنسي: نشأته وتطوره وقضاياه، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2017، ص. 211.

[5] محمد ولد الشيخ أغا، المرجع السابق، ص .66.

أسواره المهيبة وأبراجه القديمة بالإضافة إلى أزقته الضيقة المتشابكة، طابعاً معمارياً مميزاً، حيث تصطف المنازل ذات الأسقف المسطحة على جانبي الشوارع. تتخلل الأزقة المتعرجة قباب ومآذن تساهم في إضفاء جو من الأصالة والروحانية[1].وهكذا يقف القصر شاهداً حياً على تاريخ المنطقة، كما أنه لا يمثل معلماً ثقافياً وتاريخيا فحسب، بل أيضاً رمزاً للمقاومة ضد الاستعمار، مجسداً صمود المجتمع المحلي في مواجهة التغيير والتحديات.

تمتد أهمية تافيلالت إلى ما هو أبعد من موقعها الجغرافي، فهي رمز للعودة إلى الجذور الثقافية والدينية، حيث أنها تعتبر مهدًا للثقافة العربية والإسلامية. وبالنسبة لشخصيات مثل مريم وجان حفيظ، تمثل تافيلالت منعطفًا محوريًا، حيث توفر لهم إمكانية إعادة تأسيس هويتهم الأصلية داخل مجتمعٍ في طور إعادة تعريف تاريخه وتراثه.

ب. فيلا الياسمين قنبيطا بوهران: رمز الاستقرار والراحة

البيت هو مكان الاستقرار، ومكان الراحة النفسية والجسدية ومكان الأمان. في الرواية، يمثل المنزل الذي تسكنه مريم وشقيقها جان حفيظ **"في فيلا راقية بحي قنبيطا تسمى فيلا البستان"**[2]، رمزًا للطمأنينة. كما يبرز دوره المحوري في تطور الشخصيات وتعزيز ارتباطها بهويتها، ويتجلى ذلك في مشهد **"في بهو الصالون تسلمها والدتها رسالة مطوية"**[3]. تعكس عودة الشخصيات إلى منازلها إعادة توازنها النفسي والثقافي، إذ تصبح العودة إلى المنزل أكثر من مجرد عودة إلى مكان، بل رحلة لاستعادة الذات والهوية الثقافية. على مدار الرواية، يصبح البيت فضاءً يحمي من الضياع والاغتراب الثقافي، كشاهد على استمرارية الجذور في مواجهة تحديات التغيير الاجتماعي والتاريخي.

ج. زاوية الولي الصالح سيدي الهواري: ملاذ روحي وهوية ثقافية

في الرواية، ترمز الزاوية إلى العلاقة العميقة بين الممارسات الروحية والهوية الثقافية للمجتمع، وهي بمثابة ملجأ في أوقات الأزمات. وتعكس زيارات خديجة المتكررة للزاوية تعلقها بالتراث والتقاليد الدينية، وتؤكد على دور الزوايا كمراكز للملاذ الروحي والتماسك الاجتماعي، وكذلك الإيمان بقدرتها على توفير الحماية والإغاثة. ونتيجة للكرامات العديدة التي أسبغها الوهرانيون على الإمام الهواري فقد منحه الوهرانيون صفة الولي ورفعوا مكانته إلى مكانة مرموقة. أشار **ابن الصعد** إلى هذه المنزلة الروحية الفريدة بقوله" :**لقد طالعت كثيرًا من مقامات الأولياء الأكابر، وتعرّفت على أحوالهم، ووازنتهم بمقام سيدي الإمام وما أكرمه الله به،**

[1] محمد ولد الشيخ أغا، المرجع السابق، ص 65

[2] المرجع نفسه، ص .19.

[3] المرجع نفسه، ص.19.

فوجدته جامعًا لذلك كله، بل يزيد".[1]

د. أسماء المو اقع الجغر افية كأداة دلالية

تدل التسميات الجغرافية المستخدمة في الرواية الضوء على الأبعاد التاريخية والثقافية للمكان. تساعد هذه الأماكن أيضًا في الكشف عن التفاعل بين الهويات والتاريخ الاستعماري، كما توضح الأمثلة التالية:

- **وهران وأحياؤها**: يعكس تصوير الرواية لأحياء وهران الحيوية والتي تبرز الهوية والتاريخ والتأثير الاستعماري. تجسّد أحياء السانية ومسرغين، قنبيطا، حديقة والسفورد وميناء وهران مرجاجو التقاطع بين الثقافة الجزائرية والعصرنة الفرنسية.
- **بشار** كانت تسمى "**تقدى**" قبل ثلاثين سنة من وصول الجنود الفرنسيين أي في نوفمبر عام 1903تحت قيادة العقيد **بييرون**[2]. واتخذت فيما بعد اسم"**كولومب بشار**"، حيث تجمع بين كلمة"كولومب"(وتعني" حمامة"، رمز السلام) و"بشار" (وتعني بالعربية" من يأتي بالبشرى")،[3]مما يعكس محاولة الاستعمار إعطاء المكان طابعاً مزدوجاً. **زاكورة وأرفود** يرتبط هذان الموقعان بتاريخ القوافل التجارية والروابط الثقافية بين الجزائر والمغرب العربي، ما يؤكد على الامتداد الجغرافي والثقافي المشترك.
- **سجلماسة** كانت هذه المدينة القديمة حلقة وصل بين شمال الصحراء الكبرى والمجتمعات القديمة، مما يجعلها رمزًا للترابط الثقافي والتجاري في المنطقة. وبالتالي، فإن الأسماء الجغرافية في الرواية بمثابة أداة دلالية تبرز تقاطع الهويات وتعكس الصراع بين السكان الأصليين.

[1] محمد ابن صعد الأنصاري التلمساني .روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، مراجعة وتدقيق: حيي بوعزيز، منشورات الوكالة الوطنية للإشهار، ط.1، الجزائر، 2002، ص. 107.

[2] محمد ولد الشيخ أغا، المرجع السابق، ص51

[3] Berrachdi Hayat Saïda, Ibid, p 219.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على رسوله المنعوت بأحلى الصفات، أما بعد:

تختلف نقطة البداية عن نقطة الوصول وذلك أن الرحلة رافقها شغف البحث وحب الاستفادة من أفكار الاخريين، فهو عالم نلجه بقلق وشوق، عالم الرواية الجزائرية الفرنكوفونية. بهذا نختم موضوع بحثنا هذا الموسوم بـ" :*صراع الهوية والعودة إلى الجذور في رواية مريم بين النخيل للكاتب محمد ولد الشيخ أغا"* ، مستخلصين أهم النتائج التي تُسهم في رفع اللبس عن التساؤلات المطروحة.

تناول هذا البحث إشكالية صراع الهوية والعودة إلى الجذور في الرواية الجزائرية الفرنكوفونية خلال فترة ما بين الحربين العالميتين [1919-1939]، مع التركيز على رواية" مريم بين النخيل "لمحمد ولد الشيخ أغا. وقد أفضت الدراسة إلى جملة من النتائج التي تسلط الضوء على أبعاد هذا الصراع وتجلياته السردية، نوجز أبرزها فيما يلي:

1. **إبراز البعد الإصلاحي للرواية:** تحمل الرواية طابعًا فكريًا إصلاحيًا، وتبرز أهمية التعليم الديني واللغوي كوسيلة لاستعادة الهوية الجزائرية، ومحاربة محاولات الاستلاب الثقافي.
2. **استحالة الاندماج التام** على الرغم من الجهود المبذولة لفرض المعايير الثقافية الفرنسية، توضح الرواية أن الاندماج الكامل في المجتمع الاستعماري يبقى بعيد المنال، حيث تستعيد الشخصيات في النهاية هوياتها الأصلية.
3. **العودة إلى الجذور كوسيلة للمقاومة** :تسعى مريم وشقيقها جان حفيظ إلى استعادة وعيهما الثقافي واللغوي من خلال الارتباط بشخصيات مثل أحمد وزهرة اللذين يمثلان الامتداد الأصيل للهوية الجزائرية.
4. **البعد الرمزي في الحبكة** :يمثل موت الكابتن ديبوسي، الأب الفرنسي، على فشل المشروع الاستعماري في القضاء على الهوية الجزائرية، حيث يعيد الأبناء في نهاية المطاف انتماءهم إلى جذور أجدادهم.
5. **البحث عن هوية مستقلة** :لا تقتصر الرواية على إدانة الاستعمار، بل تسعى إلى تقديم نموذج لهوية جزائرية عميقة الجذور، هوية مستقلة وغير تابعة للمستعمر.

ويوضح البحث أن رواية" مريم بين النخيل "تقدم حلولاً سردية لصراعات الهوية، بما في ذلك:

- **التحولات العاطفية كعلامة على الانتماء:** قرار مريم بالزواج من أحمد بدلًا من إيباتوف الروسي على أنه رفض للهوية الفرنسية واستعادة لجذورها الجزائرية.
- **التأكيد على استمرارية الهوية الوطنية** وتوضح الرواية أن الهوية الجزائرية لا يمكن استئصالها بالقوة، بل تعيد تأكيد نفسها عبر الأجيال.
- **دور المقاومة الثقافية:** كشفت الرواية أن مقاومة الاستعمار لم تقتصر على المواجهة المسلحة، بل امتدت إلى الحفاظ على

اللغة والأدب والتقاليد كأدوات فعالة لمقاومة الطمس الثقافي.

على الرغم من الجهود التي بذلت في إعداد هذا البحث، إلا أنه من الضروري تسليط الضوء على بعض القيود التي واجهتنا، وأهمها:

- **التركيزعلى جانب واحد من الرواية:** ركز البحث على مسألة صراع الهوية والعودة إلى الجذور مما أدى إلى إغفال جوانب أخرى مهمة مثل البنية السردية الكاملة وتطور الشخصيات والبعد الاجتماعي.
- اللافت في هذا السياق، هو **شُحّ الدراسات الجامعية الجزائرية** التي تناولت هذا الأدب المهمّش. فمنذ ظهور أولى المحاولات الأكاديمية المنهجية في ثمانينيات القرن الماضي، من خلال رسالتين جامعيتين: الأولى لأحمد لأنصاري سنة 1981، والثانية الحاج دحمان سنة 1982، لم يُسجّل إلا عدد محدود من الأعمال المعاصرة، أبرزها: رسالة دكتوراه أعدها نظيم شاوش سنة 2019، وبعض المقالات العلمية القليلة، منها مقالة لبراشدي حياة سعدية (2017)، وأخرى لطالبي الشيخ (2019). ومنذ ذلك الحين لم يظهر عملٌ أو مقالات تروم إعادة تقييم هذا الأدب الذي طالما تعرّض للتهميش، شأنه شأن كُتّابه الذين الذي طالما تحامَلَ عليه الرأي العام والذين ظلوا مغمورين غير معروفين خارج محيطهم.، رغم إسهامهم الكبير في إثراء المشهد الأدبي الجزائري المكتوب بلغة الآخر.
- **الإطار الزمني المحدود:** ركز البحث على الرواية في سياق ما بين الحربين العالميتين (1919-1939)، مما حد من إمكانيات توسيع نطاق الدراسة لتشمل تحليل سياقات ما بعد الاستقلال أو السياقات المعاصرة.
- **غياب المنهج المقارن:** لم يكن بالإمكان مقارنة الرواية بمعاصريها، سواء في الأدب الجزائري أو في الأدب المغاربي والفرانكفوني عموماً، مما حال دون ربطها بسياقات فكرية وأدبية أوسع.

انطلاقًا من هذه النتائج، تقترح الدراسة جملة من التوصيات التي يمكن أن تشكّل امتدادًا لهذا البحث، وتسهم في فتح آفاق جديدة للدراسة الأدبية:

1. **دراسة مقارنة بين رواية مريم بين النخيل وأعمال روائية أخرى: محمد ديب، مولود فرعون، ومالك حداد،** لتحليل تطور معالجة صراع الهوية في الرواية الجزائرية الفرنكوفونية.
2. **تطور الخطاب السردي حول الهوية بعد الاستقلال:** هل حافظت الروايات الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية على نفس خطاب الهوية بعد استقلال الجزائر عام 1962؟
3. **تأثير اللغة في الروايات الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية:** هل كانت اللغة الفرنسية أداة للمقاومة الثقافية أم وسيلة للاندماج، وكيف أثر استعمالها على الهوية السردية؟

4. **الرمزية في الأدب الجزائري ما بين الحربين: العالميتين**: سيبحث التحليل في كيفية استخدام الرموز والاستعارات للتعبير عن أزمة الهوية في ظل الاستعمار.

لقد أثبت هذا البحث أن رواية" مريم بين النخيل "ليست مجرد عمل روائي، بل هي شهادة أدبية تعكس الصراع من أجل الهوية في الجزائر المستعمرة. كما أنها رواية ذات طابع فكري إصلاحي، إذ تعرض أهمية التعليم الديني واللغوي كوسيلة لاستعادة الهوية، يجسد النص رحلة معقدة من التعافي الذاتي في عالم مزقته التحولات. ويقدم استخدام السرد الرمزي والشخصيات المتأرجحة بين الانتماء والاغتراب رؤية عميقة لكيفية تجاوز أزمة الهوية من خلال العودة إلى الجذور كضرورة حتمية للحفاظ على التوازن النفسي والاجتماعي.

ومن هذا المعطى، يمكن اعتبار رواية" مريم بين النخيل "عملاً أدبيًا بارزًا في تاريخ الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية. وهي مهمة ليس فقط باعتبارها استجابة للحظة الاستعمارية، بل أيضًا كمساهمة في مشروع ثقافي طويل الأمد لإعادة بناء الهوية الجزائرية رغم هيمنة لغة المستعمر. وهذا ما يجعلها جديرة بالمزيد من التمحيص النقدي، سواء في إطار الدراسات الأدبية أو في سياق البحث التاريخي والثقافي عن الجزائر في الحقبة الاستعمارية.

إن هذه الخاتمة ليست نهاية لهذا البحث بقدر ما هي مجرد بداية متواضعة وبكل تأكيد، فبالرغم من المجهودات المبذولة للإلمام بجوانب هذا الموضوع، إلّا أنه موضوع واسع، ودون شك يحتاج الى إضافات وإيضاحات وعليه، لزم الاعتراف بهذا الأديب الذي قبرته معاول التناسي. والسعي لاستخلاص أكبر قدر من المعارف الممكنة بعيدا عن الأحكام المسبقة والأحكام التقويمية وذلك تأسيسا على أبعاده الجمالية والثقافية والإيديولوجية والتعليمية.

وفي الختام لا يسعني إلا أن تقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف " **بغداد أحمد بلية** " الذي رافقني طيلة مدة البحث ولم يبخل عليا بنصائحه القيمة، وإن وُفّقتُ في هذا الجهد المتواضع، فذلك من فضل الله، وإن أخطأتُ، فمني، والله وليّ التوفيق.

"ما كلُّ ما قيل كما قيلَ، فقد باشر الناسُ الأباطيلا"

مؤمن بن سعيد الأندلسي

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

- القرآن الكريم
- محمد ولد الشيخ أغا، رواية مريم بين النخيل، ترجمة معراج أغا، فواصل للنشر والإعلام، غرداية، الجزائر، 2020.

المراجـــع

أولا: مراجع الكتب بالعربية

- إبراهيم خليل. بنية النص الروائي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، 2010.
- إبراهيم عباس. الرواية المغاربية: تشكل النص السردي في ضوء البعد الأيديولوجي، دار الرائد للكتاب، الجزائر، الطبعة الأولى، 2005.
- أبو القاسم سعد الله. الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، الجزء الثاني، دار العرب، بيروت، الطبعة الرابعة، 1992.
- أبو القاسم سعد الله. تاريخ الجزائر الثقافي (من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن التاسع الهجري)، الجزء الأول، عالم المعرفة، الجزائر، الطبعة الأولى، 2015.
- أجرون. تاريخ الجزائر المعاصر من انتفاضة 1871 إلى ثورة حرب التحرير 1954م، المجلد الثاني، ترجمة جمال فاطمي وآخرون، دار الأمة، الجزائر، الطبعة الأولى، 2008.
- أحمد العربي ولد خليفة. المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، ديوان المطبوعات الجامعية، منشورات تالة، الجزائر، 2007.
- أحمد بن نعمان. مصير وحدة الجزائر بين أمانة الشهداء وخيانة الأمراء الخفراء، دار الأمة، الجزائر، 2005.
- أحمد منور. الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، نشأته وتطوره وقضاياه، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الطبعة الأولى، 2007.
- أحمد منور. الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، نشأته وتطوره وقضاياه، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الطبعة الثانية، 2017.
- أحمد موساوي. في أدب نجيب الكيلاني: أبعاد الصراع وامتداداته، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، 2009.
- أحمد وهبان. الصراعات العرقية واستقرار العالم المعاصر: دراسة في الأقليات والحركة العرقية، دار الجامعة الجديدة للنشر والتوزيع، الإسكندرية، الطبعة الثالثة، 2004.
- إدوارد سعيد. الثقافة والإمبريالية، ترجمة كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت، ط. 2، 1998.
- أديب الخالدي المرجع في الصحة النفسية: نظرة جديدة، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، 2777.
- أليكس ميشلي. الهوية، دار الوسيم للخدمات الطباعية، دمشق، ط. 1، 1993.
- أمينة محمد برانين، فضاء الصحراء في الرواية العربية، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط. 1، 2011.
- باختين ميخائيل. الكلمة في الرواية، ترجمة يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1988.
- بن يشو جلال. تخطيط لغوي لتهذيب لغة الإعلام في الجزائر، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2011.
- بول ريكور. الوجود والزمان والسرد، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط. 2، 1999.
- بول ريكور. نظرية التأويل: الخطاب وفائض المعنى، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط. 9، 2006.
- تحريشي محمد. النص والنصية في الرواية الصحراوية: رواية "وراء السراب... قليلا" لإبراهيم الدرغوثي أنموذجًا، الثقافة للنشر والتوزيع، المنستير، تونس، ط. 1، أكتوبر 2014
- داكرني جيمس. "النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية"، ترجمة كلي عبد الحي، دار واظمة للنشر والتوزيع، الكويت، ط. 1، 1985.
- ثائر غاري وآخرون. علم النفس العام، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2008.
- جاك دريدا. أحادية الآخر اللغوية، ترجمة محمد موهوب، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 2021.
- جان بول سارتر. الاستعمار الجديد، ترجمة عايدة وسهيل إدريس، دار الآداب، بيروت، 1999.
- جان بول سارتر. عارنا في الجزائر، دار القومية للطباعة والنشر، 2021.
- جبور أم الخير جبور. الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، دار ميم للنشر، الجزائر، 2013.

- الجرجاني. كتاب التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط. 1، 1998.
- جميل حمداوي. السيميولوجيا بين النظرية والتطبيق، الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط. 1، 2011.
- جميل صليبا. المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982.
- جون بول سارتر. ما الأدب؟، ترجمة محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر للطباعة والترجمة والنشر، القاهرة، 1999.
- حاتم المورفلي. الهوية والسرد عند بول ريكور، دار التنوير، بيروت، 2009.
- حسن بحراوي. بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط. 1، 1990.
- حسن حنفي. الدين والثورة في مصر، ج. 3، مكتبة مدبولي، مصر، 2007.
- حسين فهيم. أدب الرحلات، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد 138، يونيو 1989.
- حمادة تركي زعتير. جماليات المكان في الشعر العباسي، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط. 1، 2013.
- حنا نصر الحي. قاموس الأسماء العربية وتفسير معانيها، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط. 3، 2003.
- حنفاوي بعلي. أثر الأدب الأمريكي في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004.
- خضر محجز. تقنيات السرد الروائي (محتوى الشكل وأنماط الرؤية)، عطية للنشر والتوزيع، غزة، فلسطين، 2014.
- خليل موسى. قراءة في شعرية النص الرومانسي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2000.
- رولان بارت. التحليل النصي: تطبيقات على نصوص من التوراة والإنجيل والقصة القصيرة، ترجمة وتقديم عبد الكبير الشرقاوي، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، منشورات الزمن، دمشق – الرباط، 2009.
- زكي نجيب محمود. عربي بين ثقافتين، دار الشروق، ط. 2، 1993.
- سالم البيض. الهوية، الإسلام، العروبة، التونسية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009.
- سعد البازعي. شرفات لرؤية العولمة والهوية والتفاعل الثقافي، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2005.
- سعد محمد رحيم. المثقف الذي يدس أنفه، دار سطور، بغداد، 2016.
- سعد محمد رحيم. موقع الهوية: السلطة، الجسد، المكان، العنف، دار ميزوبوتاميا للنشر والتوزيع، بغداد، ط. 1، 2018.
- شوقي عطا الله الجمل. المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط. 1، 1977.
- صديق نور الدين. البداية في النص الأدبي، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط. 1، 1994.
- عايدة أديب بامية. تطور الأدب القصصي الجزائري (1925-1967)، ترجمة محمد صقر، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.
- عبد الحميد زوزو. نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1900)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- عبد الرحمن بن إبراهيم ابن العقون. الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصرة (1920-1936م)، ج. 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- عبد الرحمن خليفة. إيديولوجية الصراع السياسي، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2005.
- عبد السلام المسدي. الهوية العربية والأمن اللغوي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط. 1، 2014.
- عبد العزيز التويجري. الهوية والعولمة من منظور التنوع الثقافي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، الرباط، ط. 2، 2015.
- عبد الغفار رشاد. الرأي العام والتحول الديمقراطي في عصر المعلومات، مكتبة الآداب، القاهرة، 2003.
- عبد الغني مغربي. التفكير الاجتماعي عند ابن خلدون، ترجمة محمد الشريف بن دالي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- عبد القادر رحيم. علم العنونة: دراسة تطبيقية، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، 2010.

- عبد الكريم بكّار. تجديد الوعي، دار القلم، دمشق، ط. 1، 2000.
- عبد الله الركيبي. القصة الجزائرية القصيرة، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2005.
- عبد الله الغذامي. الخطيئة والتكفير: من البنيوية إلى التشريحية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. 4، 1998.
- عبد المجيد حنون. صورة الفرنسي في الرواية المغربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986.
- عبد الملك خلف التميمي. الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي: المغرب العربي، فلسطين، الخليج العربي، دراسة تاريخية مقارنة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1983.
- عبد الملك مرتاض. في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1998.
- عزيزة مريدن. القصة والرواية، دار الفكر، دمشق، 1980.
- عطية الويشي. الصراع في الفكر العربي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2007.
- عقاق قادة. دلالة المدينة في الخطاب الشعري المعاصر: دراسة في إشكالية التلقي الجماعي للمكان، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2011.
- علي أحمد باكثير. فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية، دار المعرفة، القاهرة، ط. 2، 1984.
- علي أسعد وطفة. الهويات الأصولية في عصر العولمة، سوريا، ع. 557، 2010.
- فرانز فانون. معذبو الأرض، ترجمة سامي الدروبي وجمال الأتاسي، مدارات للأبحاث والنشر، مصر، ط. 1، 2014، ط. 2، 2015.
- فضيلة يحياوي. الرواية والمجتمع الكولونيالي في الجزائر ما بين الحربين، ترجمة عبد الحميد سرحان، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2007.
- مالك بن نبي. مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط. 4، 2000.
- مجدي وهبة وكامل المهندس. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط. 2، 1984.
- محمد إبراهيم عيد. الهوية والقلق والإبداع، القاهرة للنشر والتوزيع، ط. 1، 2002.
- محمد ابن صعد الأنصاري التلمساني. روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، مراجعة حي بوعزيز، منشورات الوكالة الوطنية للإشهار، الجزائر، ط. 1، 2002.
- محمد السويدي. مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته، المؤسسة الوطنية للنشر، الجزائر، ط. 1، 1991.
- محمد الكوخي. سؤال الهوية في شمال إفريقيا، إفريقيا الشرق، المغرب، 2014.
- محمد ساري. الأدب الجزائري الحديث: المؤسسون والتحديات الكبرى، الجزائر، 2012.ا
- محمد صابر عبيد وآخرون. أسرار الكتابة الإبداعية: عبد الرحمن الربيعي والنص المتعدد، عالم الكتب الحديث للنشر، إربد، الأردن، ط. 1، 2010.
- محمد عبد الرؤوف عطية. التعليم وأزمة الهوية، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط. 1، 2009.
- محمد عمارة. مخاطر العولمة، دار نهضة مصر، ط. 1، 1999.
- محمد مجاود. الأبعاد الحضارية للثورة الجزائرية، دار الغرب، وهران، 2005.
- محمود قاسم. الأدب العربي المكتوب بالفرنسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996.
- مفقودة صالح. المرأة في الرواية الجزائرية، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، 2009.
- نادية عيشور. الصراع الاجتماعي بين النظرية والممارسة، دار بهاء الدين، قسنطينة، 2008.
- ناصر قاسيمي. سوسيولوجيا المنظمات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2014.
- نبيل محمد توفيق السمالوطي. الدين والبناء العائلي: دراسة في علم الاجتماع العائلي، دار الشرق، جدة، السعودية، 1981.
- نور سلمان. الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار العلم للملايين، 2009.

- هارلمبس وهولبورن. سوسيولوجيا الثقافة والهوية، ترجمة حاتم حميد محسن، دار كيوان للطباعة والنشر، دمشق، ط. 1، 2010.
- واسيني الأعرج. اتجاهات الرواية العربية في الجزائر: بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1986.
- يان أسمن. الذاكرة الحضارية: الكتابة والذكرى والهوية السياسية في الحضارة الكبرى، ترجمة عبد الحليم عبد الغني رجب، الهيئة المصرية العامة، 2013.
- يَم فتحي. معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، صفاقس، تونس، 1986.
- يوسف بكار. في الأدب المقارن: مفاهيم وعلاقات وتطبيقات، فلسطين، 1996.

ثانيا: المراجع الكتب بالفرنسية

- Achour Christiane, et Amina Bekkat. Clefs pour la lecture des récits, Convergences critiques II, Blida (Algérie), Édition du Tell, 2002.
- Ahmed Sara. The cultural politics of emotion, Routledge, 2013.
- Bachtarzi Maheieddine. Mémoires (1919-1939), Alger, SNED, 1968.
- Chaouche Nadhim. Le roman réformiste musulman d'expression française en Algérie dans l'entre-deux-guerres (1919-1939), Héritage, 2021.
- Déjeux Jean. Situation de la littérature maghrébine de langue française, Alger, O.P.U., 1982.
- Erikson Erik H. Identity: Youth and Crisis, New York, W. W. Norton & Company, 1968.
- Lanasri Ahmed, Mohammed Ould Cheikh. Un romancier algérien des années trente ; Ould Cheikh, Mohammed. Myriem dans les palmes, Alger, Office des publications universitaires, 1986.
- Mohammedi-Tabti Bouba. La société Algérienne avant l'indépendance dans la littérature, lecture de quelques romans, Office des publications universitaires, 1986.
- Vishnubhotla Krishnapriya, Hammond Adam, Hirst Graeme, et al. The Emotion Dynamics of Literary Novels, ArXiv, abs/2403.02474, https://doi.org/10.48550/arXiv.2403.02474.
- Wittgenstein Ludwig. Tractatus Logico—Philosophicus, traduit par C.K. Ogden et F. Ramsey, introduction de Bertrand
- Russell, London, Routledge and Kegan Paul, 1922.
- Zabus Chantal. Le palimpseste africain : Indigénisation de la langue dans le roman ouest-africain europhone, traduit par Mathilde Labbé et Raphaëlle Théry en collaboration avec Chantal Zabus et Henry Tourneux, Paris, Éditions Karthala, 2018.

ثالثا: المعاجم والموسوعات

- إبراهيم مصطفى وآخرون. المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، إستانبول، تركيا، د. ط، د. ق، مج. 1531.
- ابن منظور - أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري. لسان العرب، دار المعارف، بيروت، لبنان، الجزء ج3. 2003
- حنا نصر الحي، قاموس الأسماء العربية وتفسير معانيها، دار الكتاب العلمية، بيروت – لبنان، ط. 3، 2003.
- مجد الدين الفيروزآبادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007.
- Relativism Cultural. In International Encyclopedia of the Social Sciences, vol. 3. David L. Sills, ed. 1968.
- The Encyclopedia Americana International Edition. Danbury, Connecticut, Grolier Incorporated, 1992.

رابعا: الأطروحات والدراسات الأكاديمية

- أغامير محمد .صورة الجزائري في مخيال الآخر لدى الأدباء الفرنسيين في القرن التاسع عشر، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، 2013-2014.
- بن ربيعي فطيمة .صورة بلاد المغرب في كتابات الروائيين في القرن التاسع عشر "موباسان" و"لوتي" و"جيد" أنموذجا، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، تخصص آداب أجنبية، جامعة البليدة، 2017-2018.
- جويدة محاش .بناء الشخصية في حكاية عبدو الجماجم والجبل لمصطفى فاسي: مقاربة في السرديات، منشورات الأوراس، 2000.
- حكيم بن شيخ .دور الأمير خالد في الحركة الوطنية (1912-1936م)، رسالة ماجستير (مرقونة)، جامعة الجزائر، 2001-2002.
- سعاد ولد جاب الله .الهوية الثقافية العربية من خلال الصحافة الإلكترونية، ماجستير في علوم الإعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر، 2005-2006.
- فاطمة الزهراء حبيب .ترجمة العناصر الثقافية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية (رواية "لماذا تحلم الذئاب" لياسمين خضرا)، دراسة تطبيقية، معهد الترجمة، جامعة وهران، الجزائر، 2015.
- فتيحة بوغازي .صحافة المواطن والهوية المهنية للصحفي، ماجستير في علوم الإعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر 3، 2010-2011.
- محمود علالي .دراسات لكتابات الذكرى المئوية لاحتلال الجزائر، أطروحة دكتوراه في التاريخ المعاصر، إشراف بوعزة بوضرساية، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2008-2009.
- مومن سعد .كتابة الهوية في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، مذكرة ماجستير، جامعة عبد الحميد بن باديس، 2010.
- ميمونة مناصرية .هوية المجتمع المحلي في مواجهة من منظور أساتذة جامعة بسكرة، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه العلوم في علم اجتماع التنمية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2010-2011.
- ناصر قاسيمي .الصراع التنظيمي وفعالية التسيير الإداري، رسالة دكتوراه دولة، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 2004-2005.
- Chaouche Nadhim. Problématique de l'identité à travers le roman Algérien d'expression française de la première moitié du vingtième siècle : Étude ontologique, Thèse de doctorat, 2019.
- Hajós Katalin. Variations de l'interface littéraire dans les littératures maghrébines d'expression française. Réflexions autour des systèmes de limites, Thèse de doctorat, PPKE, 2014.
- Hardi Ferenc. Le roman algérien de langue française de l'entre-deux-guerres : Discours idéologique et quête identitaire, 2005.
- Khelouz Nacer. Le roman Algérien de l'entre-deux-guerres à l'épreuve du politique. En lisant Robert Randau et Abdelkader Hadj Hamou, Thèse de doctorat, University of Pittsburgh, 2007.

خامسا: المجلات والدراسات العلمية

- آسيا جريوي. "جمالية السرد في الخطاب الروائي (دراسة في رواية كارميللا لشريدان لوفانو)"، جسور المعرفة، المجلد 9، العدد 2، الجزائر، 2023.
- بن أزواو فتح الدين. "السياسة الاستعمارية الفرنسية الدينية والثقافية في الجزائر 1830-1954"، مجلة البحوث التاريخية، 2021.
- بن الشيخ حكيم. "الهوية عنوانًا للذات والوطنية الجزائرية"، رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطية، المجلد 4، العدد 1، 2023.
- بوزيد مولود. "الخصوصية الثقافية في 'رواية ابن الفقير' لمولود فرعون"، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، 2020.
- حامي حسان. "الأزمة الهوياتية في المجتمع الجزائري بين التنازع الإيديولوجي والتوظيف السياسي"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 29، جامعة مسيلة، جوان 2017.

- رحيم كاظم ثائر. "العولمة والمواطنة والهوية"، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، كلية الآداب، جامعة القادسية، بغداد، العراق، ع1، مج8، 2009.
- رضوى عاشور. "الصوت، فرانز فانون، إقبال أحمد، إدوارد سعيد"، مجلة ألف، 2005.
- شرقي رحيمة. "الهوية الثقافية الجزائرية وتحديات العولمة"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد 193، جوان 2013.
- الطيب بودربالة. "صورة الجزائر في الرواية الفرنسية الحديثة"، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الوادي، الجزائر، العدد 3-2، مارس 2010.
- عبد الحميد بن باديس. "دعوة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأصولها"، الشهاب، ج. 3، المجلد 72، 1927.
- عبد القادر العربي. "صراع الهوية وإشكالية الأنا والآخر في رواية 'منافسة في باريس' لنهاد رضا"، القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، المجلد 40، العدد 43، سبتمبر 2024.
- عبد الله أبو هيف. "جماليات المكان في النقد الأدبي العربي المعاصر"، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، اللاذقية سوريا، 2005.
- عزمي بشارة. "تأملات في مسألة الهوية"، دورية تبين للدراسات الفكرية والثقافية، المجلد 11، العدد 41، 2022.
- عزيز نعمان. "التمثيل الثقافي في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية لمرحلة ما بين الحربين"، الخطاب، 2024.
- علجية مودع. "المسرح الجزائري وسؤال الهوية لمحمد فلاق انموذجا"، ندوة المختبر، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2005.
- علوي حسن حافظي. "سجلماسة إقليم القرن في مائة عام"، وزارة الشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1997.
- علي العلمي. "قصور تافيلالت"، "لمعرفة المزيد عن هذه المدينة يرجع إلى مدينة سجلماسة إلى تاريخ طويل، كما ذكره المؤرخ محمد أمراني في العدد الأول من مجلة علوي"، 2011.
- عماد علي سليم أحمد الخطيب. "دلالة أسماء الشخصيات في الرواية الأردنية - دراسة سيميائية في نماذج مختارة"، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد 25(2)، أيلول 2011.
- غنية كبير."النقد الأكاديمي الغربي وتلقيه للرواية الجزائرية التأسيسية والتأصيلية"، اليوم الدراسي الوطني الثالث حول السرد "فلسفة السرد"، قسم الأدب العربي، جامعة محمد البشير الإبراهيمي، برج بوعريريج، 2016.
- لبيد عماد. "المحاولات الفرنسية لطمس الهوية الجزائرية إبان الاحتلال (1830-1962م)"، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، عدد 6، الحجم 3، 2015.
- مازية حاج علي. "الهوية والاستعمار"، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة، ندوة المختبر: الهوية في الأدب الجزائري، 2014.
- محمد بوزيان. نجل وادي الساورة، مجلة جمعية أساتذة الأدب،باريس، فرنسا، رقم99 سبتمبر- أكتوبر2001.
- محمد زغو. "أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب"، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، عدد 4، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر، 2010.
- محمد فلي الجبوري."الهوية السردية: المفهوم والتجلي"، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة المثنى، العراق، المجلد 18، العدد 1، 1442 هـ/ 2021 م.
- مراد وزناجي. "مفهوم التاريخ عند أبو القاسم سعد الله"، دار عالم المعرفة، الجزائر، 2015.
- المصطفى جماهيري. "الشخصية في القصة الصغيرة"، مجلة الموقف، المغرب، العدد 10، 1989.
- ميمون أزيزا وشاكر تيهوت. "الكتابات التاريخية المغربية عن المقاومة الريفية للاحتلال الاستعماري (1921-1926)"، نقد، المجلد 5، العدد 2021.

- نوال بن صالح. "الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وثورة التحرير، صراع اللغة والهوية"، مجلة المخبر، أرجاء في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد 7، 2011.
- هلالات دلال. "نسق الهوية والتمثيلات في رواية دمية النار لبشير مفتي"، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، المجلد 12، العدد 3، 2020.
- يوبي خالد وطاسيست سيد أحمد. "تجليات الهجنة اللغوي والثقافية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وتعامل المترجم في ضوء نظرية التلقي"، 2024.
- Berrachdi Hayat Saïda. "Ouverture sur de nouvelles approches de type onomastique littéraire dans le roman Myriem dans les palmes de Mohammed Ould Cheikh." Revue LAROS, vol. 9, no. 2, 2017.
- Chikh Talbi. "Le roman algérien d'expression française des années vingt, Une écriture romanesque face à l'assimilation." Résultats du savoir, vol. 4, no. 1, 2019.
- Hadj Dahmane. "Naissance de la communication culturelle d'expression française en Algérie." Revue Annales du patrimoine, Université de Mostaganem, no. 13, 2013.
- Khelouz Nacer. "Les écrivains algérianistes et arabo-berbères face à la France coloniale." The French Review, vol. 85, no. 1, 2011.
- Lanasri Ahmed. "La critique algérienne de l'entre-deux-guerres : Le poids de l'idéologie." Horizons Maghrébins - Le droit à la mémoire, vol. 17, no. 1, 1991

سادسا: الصحف والمو اقع الإلكترونية

- جميلة طلباوي" .الصحراء في الرواية الجزائرية: البدايات النازفة والانتباه المتأخر," نقلاً عن جريدة النصر , https://www.annasronline.com/index.php,.
- سليم بتقه .الأدب الإثنوغرافي في الجزائر المستعمرة، نقلاً عن الموقع https://www.aranthropos.com.
- مجلة البيان، العدد 128، ندوة الهوية الإسلامية.
- ناصر دسوقي رمضان .الهوية الإسلامية والمؤامرة عليها2009 ،. نقلاً عن موقع الألوكة.https://www.alukah.net/sharia .
- Alger-Républicain," 12 décembre 1950.
- Hani Abdelkader. "En mai 1936, Mohamed Ould Cheïkh, fils de bachagha et écrivain autodidacte, conteste l'ordre colonial," Vitamines DZ, 6 juin 2008.
- Hani Abdelkader. "Mohamed Ould Cheikh Agha : Un précurseur du roman algérien," Littérature Algérienne, article en ligne, 2009.

فهرس المحتويات

البسملة

شكروعرفان

إهداء

مقدمة..... أ-ج

مدخـــل

السيرة الذاتية للكاتب محمد ولد الشيخ أغا..... **1**

تعريف عام برواية مريم بين النخيل..... **3**

ملخص الرواية..... **4**

الفصل الأول:

الإطار النظري والمفاهيمي

المبحث الأول: الهوية في الأدب: المفاهيم والتجليات..... **7**

المطلب الأول: الهوية ومضامينهافي الأدب..... **7**

أولا / الهوية: المفهوم، الأبعاد والتجليات..... **7**

ثانياً / الهوّية الجزائرّية..... **12**

ثالثاً /الهوية السردية..... **16**

المطلب الثاني: ماهية الصراع الهوياتي..... **17**

أولًا / الصراع: المفاهيم، الأشكال، والتجليات الأدبية..... **17**

ثانياً / الفترة الاستدمارية وصراع الهوية في الجزائر [1919-1939] **21**

ثالثاً / الصراع السردي في الرواية..... **22**

المبحث الثاني: العودة إلى الجذور: المفهوم والدلالة الأدبية..... **23**

المطلب الأول: الفهم الأدبي للعودة إلى الجذور..... **23**

أولًا / المفهوم اللغوي والاصطلاحي للعودة إلى الجذور..... **23**

ثانياً / دوافع العودة إلى الجذور..... **24**

ثالثاً / العودة إلى الجذور كحركة مقاومة ثقافية ضد الاستعمار..... **26**

المطلب الثاني: دلالة العودة إلى الجذور في الرواية الجزائرية الفرنكوفونية في الفترة ما بي الحربين [1919-1939]

..... **28**

أولًا / الرمز والتأويل: قراءة في العنوان والمكان ودلالة العودة إلى الجذور..... **28**

ثانياً / توظيف الشخصيات والأحداث في استعادة الهوية الجزائرية..... **30**

ثالثاً / التقنيات السردية المستخدمة لإبراز العودة إلى الجذور 31

المبحث الثالث: تاريخ وتطور مفهوم الهوية والعودة إلى الجذور في الرواية الجزائرية الفرنكوفونية في الفترة ما بين الحربين [1919-1939] 36

المطلب الأول: الرواية الجزائرية الفرنكوفونية في الفترة ما بين الحربين[1919-1939] 36

أولًا / واقع الرواية الجزائرية الفرنكوفونية [1919-1939] 36

ثانياً / نشأة وتطور الرواية الجزائرية الفرنكوفونية في فترة ما بين [1919-1939] 37

ثالثاً / الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية واشكالية الهوية 41

المطلب الثاني: تجليات الهوية في نصوص الرواية الجزائرية المكتوبة باللسان الفرنسي في الفترة ما بين الحربين [1919-1939] 43

أولًا / الرواية الكولونيالية في الجزائر بين الحربين: أداة للهيمنة والاستلاب الثقافي 43

ثانياً / تمثلات الجزائري في الرواية الكولونيالية: التهميش والاغتيال الرمزي 44

ثالثاً / مرحلة ما بين الحربين [1919-1939]: الكتابة بوصفها أداة لمقاومة الطمس الاستعماري 46

الفصل الثاني:

دراسة وتحليل لصراع الهوية والعودة إلى الجذور في رواية " مريم بين النخيل"

للكاتب محمد ولد الشيخ أغا

المبحث الأول: صراع الهوية في مريم بين النخيل 51

المطلب الأول: مفهوم الهوية وأبعادها في الرواية 51

أولًا / الهوية الدينية 51

ثانياً / الهوية الثقافية 53

ثالثاً / الهوية الاجتماعية 56

المطلب الثاني: الصراع الهوياتي وتجلياته في الرواية 59

أولًا / تأثير الهويات الفرعية في تعميق الصراع 59

ثانياً / الشخصيات الرئيسية وصراعها الداخلي 62

ثالثاً /تأثير السياقات في الصراع الهوياتي 67

المبحث الثاني: العودة إلى الجذور كحل للصراع في الرواية 72

المطلب الأول: تطور الشخصيات الرئيسية نحو العودة إلى الجذور 72

أولًا / دوافع ومحفزات اكتشاف الهوية 72

ثانياً /مريم: مسار التحول التدريجي 73

ثالثاً /جان حفيظ: مسار التحول التدريجي 74
المطلب الثاني: النقلة من الهوية المشتتة إلى العودة إلى الجذور 76
أولًا / تمثلات العودة إلى الجذور: اللغة العربية كأداة للعودة 76
ثانياً / تمثلات العودة إلى الجذور: الدين كركيزة للهوية 77
ثالثاً / النهاية وعلاقتها بصراع الهوية في الرواية 77
المبحث الثالث: الأبعاد الدلالية والتأويلية لصراع الهوية والعودة إلى الجذور 79
المطلب الأول: دلالات الأسماء وسيميائية الشخصيات في الرواية 79
أولًا / الأسماء كأداة تأويلية في تجسيد صراع الهوية والعودة إلى الجذور 79
ثانياً / تحليل أسماء الشخصيات ودلالاتها الهوياتية 80
ثالثاً /رمزية موت الأب الفرنسي ديبوسي في الرواية 83
المطلب الثاني: رمزية العنوان والمكان 84
أولًا / شعرية العنوان ورمزيته 84
ثانياً / شعرية البيئة الصحراوية ورمزيتها 85
ثالثاً / تمثيل الأماكن في الرواية 86
الخاتمة 91
قائمة المصادروالمراجع 95
فهرس المحتويات 103
ملخص الدراسة 106

الملخص

يتناول هذا البحث إشكالية صراع الهوية والعودة إلى الجذور في رواية مريم بين النخيل للكاتب محمد ولد الشيخ أغا، التي تندرج ضمن الرواية الجزائرية الفرنكوفونية في الفترة ما بين الحربيين [1919-1939]. وتركّز الدراسة على تجليات التمزق الثقافي والاجتماعي الذي عاناه الجزائريون في ظل الاستعمار الفرنسي، مبرزةً أهمية الهوية الوطنية كوسيلة للمقاومة ضد محاولات الطمس الهوياتي. وقد اعتمدت الدراسة مزيجًا من المناهج التحليلية، شملت المنهج التحليلي-الوصفي، السيميائي، والتاريخي، بغية استكشاف الأبعاد السردية والرمزية التي وظّفها الكاتب. وتخلص إلى أن الرواية تطرح استحالة الاندماج التام في الثقافة الاستعمارية، معتبرة العودة إلى الجذور أفقًا ضروريا لاستعادة التوازن الهوياتي لدى الشخصيات.

الكلمات المفتاحية: الهوية، الاستعمار الفرنسي، صراع الهوية، العودة إلى الجذور، الرواية الجزائرية الفرنكوفونية في الفترة ما بين الحربيين [1919-1939].

Abstract

This research explores the issue of identity conflict and the return to roots in the novel Myriem Among the Palms by Mohammed Ould Cheikh Agha, which is part of the Francophone Algerian novels of the interwar period [1919-1939]. The study focuses on the manifestations of cultural and social rupture suffered by Algerians under French colonialism, highlighting the importance of national identity as a means of resistance against attempts at identity erasure. The study uses a combination of analytical methods, including the analytic-descriptive, semiotic and historical approaches, to explore the narrative and symbolic dimensions employed by the author. It concludes that the novel presents the impossibility of full integration into colonial culture, considering the return to the roots as a necessary horizon to restore the identity balance of the characters.

Keywords: Identity, French colonialism, identity conflict, return to the roots, Francophone Algerian novel in the interwar period [1919-1939].

Résumé

Cette recherche explore la question du conflit identitaire et du retour aux sources dans le roman Myriem parmi les palmiers de Mohammed Ould Cheikh Agha, qui fait partie des romans algériens francophones de l'entre-deux-guerres [1919-1939]. L'étude se concentre sur les manifestations de la rupture culturelle et sociale subie par les Algériens sous le colonialisme français, en soulignant l'importance de l'identité nationale comme moyen de résistance contre les tentatives d'effacement de l'identité. L'étude utilise une combinaison de méthodes analytiques, y compris les approches analytique-descriptive, sémiotique et historique, pour explorer les dimensions narratives et symboliques employées par l'auteur. Elle conclut que le roman présente l'impossibilité d'une intégration complète dans la culture coloniale, considérant le retour aux sources comme un horizon nécessaire pour restaurer l'équilibre identitaire des personnages.

Mots-clés : Identité, colonialisme français, conflit identitaire, retour aux sources, roman algérien francophone de l'entre-deux-guerres [1919-1939].